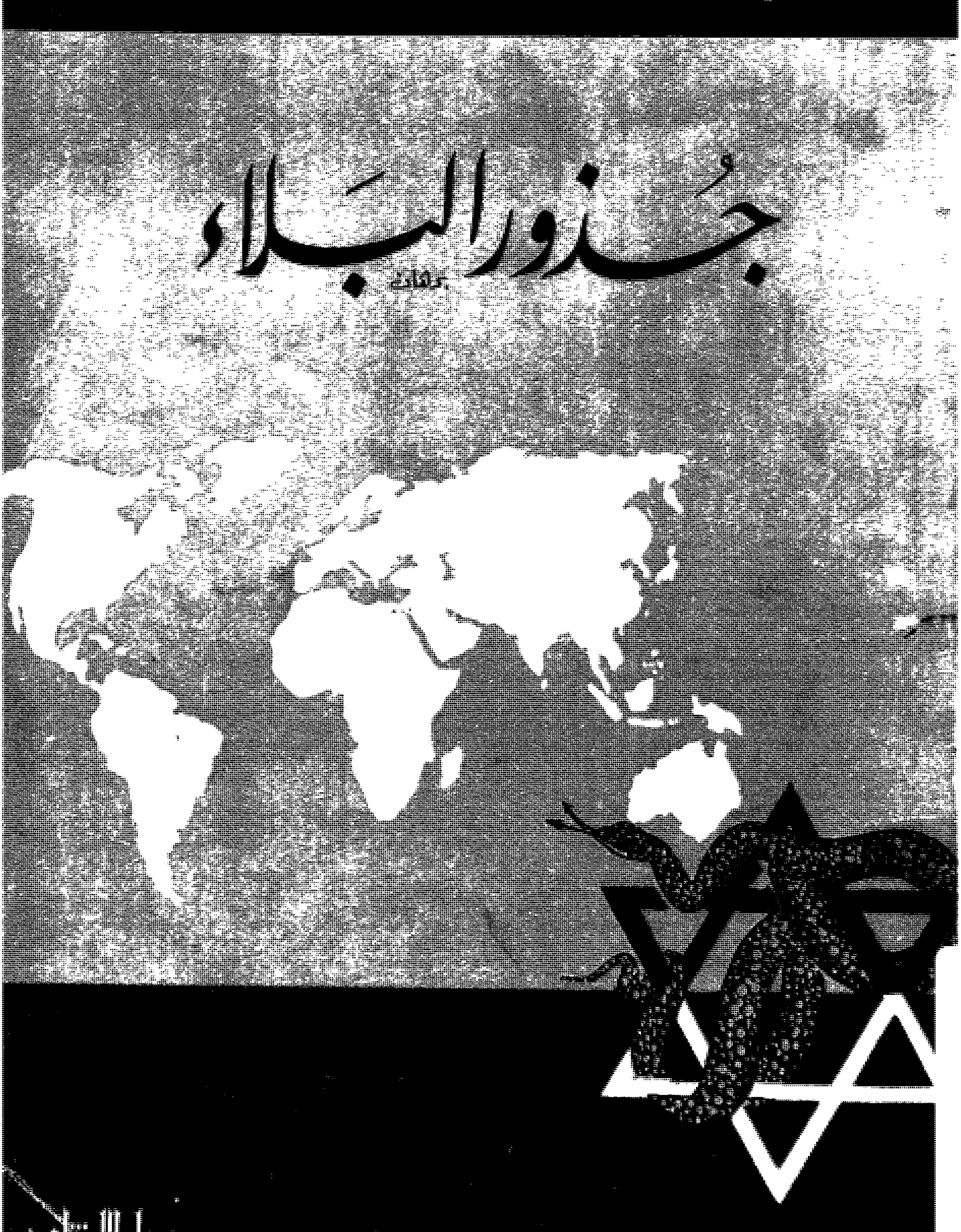
عبد الله التل

جذور البلاء



جُـذورالبَـلاء

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م

جذور البلاء

القسم الأول

تأليف

عبد الله التل



الإهداء

إلى ابنتي العزيزة الطفلة

إيناس

عبد الله التل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فهذا هو القسم الأول من بحث أعددته لنيل الدكتوراه من جامعة الأزهر، وحالت ظروف قاهرة دون مناقشته مما حفزني على إصدار البحث في كتابين. عالجت في هذا القسم مشكلة الخُلق اليهودي المستمد من تعاليم التوراة والتلمود ومقررات حكماء صهيون ، وما حل بالعالم من ويلات وبلاء على أيدي اليهود الذين أمعنوا وما زالوا يمعنون في تخريب الأسس التي قامت عليها الحضارتان الإسلامية والمسيحية ، وكان آخر بلاء حلّ بالعرب والمسلمين خاصة وبالعالم عامة ، هو سقوط بيت المقدس بأيدي اليهود لأول مرة في التاريخ الإسلامي . ولعلّي أردّ في هذا البحث على كثيرين من الكتاب ورجال السياسة والفكر ، دأبوا على ترويج آرائهم في التفريق بين اليهودية كدين والصهيونية كمذهب سياسي عدواني توسعي . وبعض أصحاب هذا الرأي واقع تحت تأثير الإسلام الذي يعترّف بالدين اليهودي ، وبعضهم واقع تحت تأثير الخوف من الاتّهام بمعاداة اليهودية كدين . وينسى هؤلاء جميعاً ان شريعة موسى التي بني عليها

المقدس الثاني – التلمود – وممارسة اليهود لدينهم وتطبيقهم تعاليم التوراة والتلمود سبب للبشر كافة صداعاً بل سرطاناً خبيثاً عكّر صفو الإنسانية وكدّر عيشها ولفّها في دوامة من الحروب والويلات والمصائب . وذلك السرطان هو ما يسمى بالمشكلة اليهودية ذات الجذور العميقة الضاربة في توراة اليهود وتلمودهم قبل قرون عديدة من ظهور الحركة الصهيونية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٧) ، تلك الحركة التي قامت تنادي بتحقيق آمال اليهود ، وتعمل على إنشاء دولة لهم في فلسطين . فاليهود جميعاً وعددهم يربو على ١٢ مليوناً ، صهيونيون حلموا بالدولة اليهودية أولاً ثم حوّلوا الحلم إلى عمل نتج عنه خلق دولة اسرائيل . ولكي نكون دقيقين فإننا نستثني عدداً ضئيلاً جداً من يهود العالم يتظاهرون بمعارضة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل . فهل يصح القول بأن هؤلاء المعارضين يمثلون اليهود في العالم وان ملايين الصهيونيين في العالم هم الأقلية ..؟.

وفي الختام ، لقد حاولت في هذه الدراسة أن أكون إيجابياً ، فلم أكتف بإثبات ان جذور البلاء كامنة في التطبيق العملي للخلق اليهودي التوراتي التلمودي، بل أبرزت آرائي المبنية على عقيدة راسخة بعظمة الإسلام الذي يقف اليوم وحيداً في مواجهة تحدي اليهودية العالمية ، بعد أن نجحت خطط اليهود في إلقاء غشاوة سميكة على أبصار الغرب المسيحي ، فلم يعد ير إلاّ بمنظار اليهودي المتسلح بدين باطل متعفن ، دين جاحد ناكر لجميل المسيحية ، عامل دائماً وأبداً على هدمها وتخريبها . ويعلم اليهود ان القوة الوحيدة الباقية في طريقهم تحول دون سيطرتهم التامة على العالم هي الإسلام . ولذا فإنهم يوجهون اليوم قواهم العالمية لغزو ديار الإسلام في محاولة لضربه في عقر داره . ومحاولات اليهود هذه مكتوب لها الإخفاق التام ، لأن الإسلام دين الحق والعدل والجهاد والمساواة لا ينهزم أمام باطل اليهودية ولو تسلحت بأسلحة الدمار والعدوان جميعها . وما النصر إلاّ من عند الله .

عمان في ١٥ ربيع الأول ١٣٩٠ عبدالله التل
١٩٧٠/٥/٢٠

الفصل الأول

الجذور في كتاب اليهود «المقدس»

الكتاب المقدس عند اليهود عبارة عن مجموعة أسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجوع من سبي بابل [1] . ويقسم إلى ثلاثة أقسام : التوراة ، أسفار الأنبياء ، الكتب أو الصحف .

وكلمة توراة مشتقة من الفعل أورى وعلّم ومنها المعلّم وتعليم . ثم استعملت لتعبّر عن شريعة موسى عليه السلام كما ورد ذكرها في القرآن الكريم . والتوراة عند اليهود تعني الأسفار الخمسة المنسوبة لنبيهم موسى وهي : التكوين الخروج ، اللاويون ، العدد ، التثنية .

ويشتمل القسم الثاني من كتابهم « المقدس » على أسفار أخرى ، هي : يشوع ، قضاة ، صموئيل الأول والثاني ، الملوك الأول والثاني وتسمى أسفار الأنبياء المتقدمين . وأسفار : أشعيا ، ارمياء ، حزقيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، يونان ، ميخا ، ناحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجى ، زكريا ، ملاخى ، ويطلق عليه أسفار الأنبياء الآخرين .

ويشتمل القسم الثالث من كتابهم ، على كتب حكم وآداب وأمثال

---

(١) الدكتور هلال فارحي ، أساس الدين ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٨ .

ومزامير وأخبار تاريخية . سبعة منها كبيرة هي : المزامير ، أمثال ، أيوب ، دانيال ، عزرا ، نحميا ، أخبار الأيام الأوّل والثاني . وخمسة صغيرة هي : راعوث ، نشيد الانشاد ، الجامعة ، المراثي ، استير . [1]

وقد تُرجمتْ هذه الأسفار إلى اليونانية في زمن بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ – ٢٤٧) ق. م. بالإسكندرية على يد سبعين عالماً من اليهود . ثم ترجمت إلى اليونانية الحديثة وإلى اللاتينية وإلى العربية لأول مرة حوالى عام ٩٤٢ ميلادية بواسطة العالم سعديا الفيومي [2] . وتكوّن هذه الأسفار الأساس الأول للدين اليهودي بما فيه من شريعة وتقاليد وطقوس ، كما يكوّن التلمود الذي سنتحدث عنه في فصل آخر ، الأساس الثاني للدين اليهودي .

(١)
الوعود الكاذبة

تشكل هذه الوعود التي تكررت عشرات المرات في التوراة ، حجر الزاوية في الخلق اليهودي الذي تسبب في شقاء العالم وأورث الإنسانية على مَرّ العصور والأحقاب داء عضالاً استعصى على كل دواء .

ويبدأ سيل الوعود في التوراة من أيام إبراهيم الخليل عليه السلام ، يوم اجتاز الأرض إلى شكيم وكان يقطنها الكنعانيون . « وظهر الرب لابرام وقال لنسلك أُعطي هذه الأرض » [3] . « وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه . إرفع عينيك وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أُعطيها ولنسلك إلى الأبد . واجعل

(١) الدكتور فؤاد حسنين علي، التوراة عرض وتحليل، دار المستقبل، القاهرة ١٩٤٦ ص١٤ .
(٢) هلال فارحي ، ص ١٠ .
(٣) تكوين اصحاح ١٢ : ٧ .

نسلك كتراب الأرض ... » [1] . وواضح من هذه الفقرة أن إبراهيم عليه السلام لم يكن ليستطيع أن يرى عن شماله وجنوبه وشرقه وغربه ، إلا في حدود عشرة كيلومترات ، فلا بُدّ إذن من صرف وعود أُخرى تكون أعمّ وأشمل تصل في بعض الأحيان إلى النيل جنوباً والفرات شرقاً ، من أجل أن تتسع للذرية الصالحة التي يصبح عددها كتراب الأرض ... « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً . لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين . » [2] .

ولما كان لا بُدّ للميثاق من أن يشتمل على التزامات للطرفين المتعاقدين ، فقد رأى إله اليهود أن يحول الميثاق إلى عهد من طرف واحد ، ليتحلل اليهود من الالتزامات التي تقيّدهم وتنظم سلوكهم في الحياة . « فسقط ابرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً : اما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم ... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً . لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ... » [3] .

ومن بعد ابراهيم عليه السلام انهالت الوعود على ابنه اسحاق . « وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر . اسكن في الأرض التي أقول لك . تغرب في هذه الأرض . فأكون معك وأُباركك . لأني لك ولنسلك أُعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لابراهيم أبيك . وأكثر نسلك كنجوم السماء . وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . » [4]

ومن بعد اسحق ابنه يعقوب الذي خرج من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكاناً وبات هناك . « ورأى حلماً وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب

---

(١) تكوين صح ١٣ : ١٤ — ١٦ .

(٢) تكوين صح ١٥ : ١٨ — ٢٠ .

(٣) تكوين صح ١٧ : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ .

(٤) تكوين صح ٢٦ : ٢ — ٤ .

واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق . الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض . » [١]

ويبدو أن الحلم لم يكن كافياً فظهر الله ليعقوب وقال له : « اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل .... والأرض التي أعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطي الأرض . » [٢] .

وانهالت الوعود فيما بعد على موسى عليه السلام . « .... فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله . فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم . إني علمت أوجاعهم . فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة . إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً .... » [٣] . وكلم الرب موسى ثانية وكرر له العهد باعطاء بني إسرائيل أرض كنعان . وفي هذه المرة أفصح الرب عن اسمه وقال انه يدعى يهوه . « ... وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء . وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم . وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها ... » [٤] .

ويبدو أن الوعود والعهود والمواثيق وحدها لم تكن كافية لدفع بني إسرائيل إلى اقتحام أرض كنعان ، فصدرت اليهم الوعود المشجعة مقرونة بالملاك الذي يسير أمام القوة الزاحفة . « وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها . وأنا أرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . » [٥] . « يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم

(١) تكوين صح ٢٨ : ١٢ — ١٤ .
(٢) تكوين صح ٣٥ : ١٠ ، ١٢ .
(٣) خروج صح ٣ : ٦ — ٨ .
(٤) خروج صح ٦ : ٣ ، ٤ .
(٥) خروج صح ٣٣ : ١ — ٣ .

فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم »[1] . ورأينا كيف ضم يهوه أرض لبنان إلى الأرض الميعاد ، ويبدو أن الطمع قد دبّ في نفوس بني اسرائيل حينما وصل بهم موسى إلى أطراف أرض كنعان ، فانعكس الطمع وعداً جديداً ذكرته التوراة على لسان موسى ، مفصحة عن الاطماع الجديدة التي تشمل لبنان والساحل إلى نهر الفرات . « الرب إلهنا كلّمنا في حوريب قائلاً : كفاكم قعود في هذا الجبل . تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات »[2].

ولكي يأخذ اليهود حريتهم كاملة ويتحللوا من أية التزامات أمام يهوه ، حصلوا منه على (فرمان) يحذرهم فيه من الاعتقاد بأن اختيارهم شعباً له ناتج عن مزايا خلقية فيهم ، بل يؤكد أنه اختارهم وهو يعلم أن لا خلاق لهم . « اسمع يا إسرائيل . أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء . قوماً عظاماً وطوالاً بني عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف في وجه بني عناق . فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة . هو يبيدهم ويذلّهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب . لا تقل في قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً . لاجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض . ولأجل اثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك . ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم اولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم واسحق ويعقوب . فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة . »[3] .

وفي مكان آخر تقضي عدالة رب اليهود يهوه أن يتسامح مع شعبه المختار

---

(١) تثنية صح ١١ : ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) تثنية صح ١ : ٦ ، ٧ .
(٣) تثنية صح ٩ : ١ — ٦ .

حتى حين يتخلون عن شريعته وينقضون فرائضه ولا يحفظون وصاياه . « لا أنقض عهدي ولا أغيّر ما خرج من شفتي . مرة حلفت بقدس اني لا أكذب لداود . نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي ... »[1] .

ويموت موسى عليه السلام ويخلفه يشوع بن نون ، فتصدر وعود يهوه وأوامره صريحة مشجعة . « وكان بعد موت موسى عبد الرب ان الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : موسى عبدي قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت لموسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . »[2] .

ولما شاخ يشوع وتقدمت به الأيام صدرت أوامر يهوه بتقسيم أرض كنعان على أسباط بني إسرائيل ، حتى تلك التي لم تطأها أقدامهم بعد ، قسمها يهوه على شعبه كما يفعل مدير مساحة ماهر . « وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هي الأرض الباقية . كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عفرون شمالاً تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والاشدودي والاشقلوني والجتي والعقروني والعويين . من اليتمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الاموريين . وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة . جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوث مايم جميع الصيدونيين . أنا أطردهم من أمام بني اسرائيل . إنما أقسمها بالقرعة لاسرائيل ملكاً كما امرتك ... »[3] .

وفي عهد سليمان الحكيم يعده يهوه بأن يجعل الملك الأبدي في نسله . « ... وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي واحكامي فاني أقيم كرسيّ ملكك على اسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلاً لا يعدم لك

---

(١) مزامير ٨٩ : ٣٤ — ٣٦ .
(٢) يشوع صح ١ : ١ — ٤ .
(٣) يشوع صح ١٣ : ١ — ٦ .

رجل عن كرسي اسرائيل . »[1] .

وحين لم يحفظ الملك سليمان وصايا يهوه ومال قلبه عن الرب إله إسرائيل غضب عليه ، ولكنه ساومه ودلله إكراماً لأبيه داود ، وجامله بأن أجل تمزيق دولته إلى ما بعد وفاته . « فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان من أجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك . إلا اني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها . على اني لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطاً واحداً لابنك لاجل داود عبدي ولأجل اورشليم التي اخترتها . »[2] .

تلك هي أهم الوعود التي وردت في التوراة وتكررت في مواضع كثيرة، ومن الواضح انها تبدو لكل ذي عقل ومنطق وضمير انها هراء بثه حاخاميم اليهود في اسفارهم التاريخية الدينية التي جمعت بعد قرون عديدة من وفاة ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان .

(٢)

الكفر والتجديف على الله

ظهر منذ بضع سنين كتاب لعالم لبناني أثبت فيه ان اليهود لم يكونوا موحدين ، وإنما هم كيفوا فكرة الآله حسب خصائص العزلة القبلية والبداوة التي عاشوا فيها .[3] واعتمد في آرائه على اكتشاف مدينة اوغاريت ومكتبتها

(١) الملوك الأول صح ٩ : ٥ .

(٢) الملوك الأول صح ١١ : ٩ — ١٣ .

(٣) نسيب وهيبه الخازن ، اوغاريت ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٤٠ .

في رأس شمرا بمنطقة اللاذقية . والدراسة (القراءة) الفاحصة للتوراة تدل على صحة ما ذهب اليه العالم اللبناني . وتجعل الباحث المحايد يعتقد ان دين اليهود الذي يمارسونه منبثقاً من توراتهم الحالية ، دين عجيب ، والههم اله عجيب ، اله جاهل حيناً وعالم حيناً آخر . اله ضعيف تارة وجبار تارة أخرى. اله يفضل سكنى البيوت على سكنى السحاب ... اله متعطش لسفك الدماء وحرق شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعث في نفسه السرور والبهجة. اله جشع محب للذهب إلى حد بعيد . اله ارستقراطي يحب أن يخدمه عشرات الألوف من الكهنة ، يسخرون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثيل في أي دين من أديان البشر . وقد عدد اليهود آلهتهم في التوراة ، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصر ، ويعتبرون هذا الاله خاصاً بهم . فتارة يسمونه اله إسرائيل وتارة أخرى رب الجنود. ويضفون على يهوه الصفات الحسية التي تنطبق على الإنسان تارة وعلى الشيء المرعب العجيب تارة أخرى . وما أسهل في نظر التوراة من المقابلات والمجادلات والمناجاة التي تتم بينهم وبين يهوه . حتى ليخيل للإنسان أن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التي تتم في الوقت الحاضر مع بعض حكام الدول وملوكها . فهلمّ بنا إلى رحلة شاقة نتتبّع فيها عجائب الدين اليهودي ومواضع الكفر والتجديف على الله .

بدأ اليهود في التوراة عملية مسخ ليهوه مشعرينه انهم أقوى منه كي يسير معهم حسب اهوائهم . « ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق . أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له . فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك ان لم تباركني . فقال له ما اسمك . فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمي . وباركه هناك ... »[1] .

(١) تكوين صح ٣٢ : ٢٢ — ٢٩ .

وحين تمت المقابلة بين يهوه وموسى ، لم يشأ موسى أن ينفرد بهذا التكريم فاصطحب معه شيوخ بني اسرائيل . « ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل . ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صفة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة . ولكنه لم يمد يده إلى اشراف بني اسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا ... » [1] .

ويشرك اليهود ويعترفون بوجود آلهة كثيرة . « الآن علمت ان الرب أعظم من جميع الالهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم » [2] . كما ان هذا الاله رغب عن حياة الخيمة التي كان يتنقل بها مع بني اسرائيل وأحب سكنى القصور . « وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً . اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب . أأنت تبني لي بيتاً لسكناي. لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني اسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن . في كل ما سرت مع جميع بني اسرائيل هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة اسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي اسرائيل قائلاً لماذا لم تبنوا بيتاً من الأرز . والآن فهكذا تقول لعبدي داود . هكذا قال رب الجنود ... » [3] . وانشغل داود في الحروب الطاحنة فلم يتم بناء مسكن الرب في عهده ، بل تم في عهد ابنه سليمان . « حينئذ تكلم سليمان . قال الرب انه يسكن في الضباب . إني قد بنيت لك بيت سكني مكاناً لسكناك إلى الأبد ... » [4] .

وما الحيلة ما دام الرب يشتهي أن يسكن بيتاً معيناً وفي بقعة معينة ...

« لأن الرب قد اختار صهيون . اشتهاها مسكناً له . هذه هي راحتي (الرب) إلى الأبد . هاهنا أسكن لأني اشتهيتها . طعامها أباركه بركة . مساكينها أشبع خبزاً . كهنتها ألبس خلاصاً وأتقياؤها يهتفون هتافاً . » [5] .

---

(١) خروج صح ٢٤ : ٩ ، ١٠ .
(٢) خروج صح ١٨ : ١١ .
(٣) صموئيل الثاني صح ٧ : ٤ — ٨ .
(٤) الملوك الثاني صح ٨ : ١٢ ، ١٣ .
(٥) مزمور ١٣٢ : ١٣ — ١٦ .

وتنفتح في عهد سليمان شهية يهوه إلى الضحايا . والمحرقات ورائحة الشحم . « ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت . ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب . وكان جميع بني اسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت وخروا على وجوههم إلى الأرض ... » [1] .

وما دام أن يهوه قد ارتضى أن يسكن بين دخان المحرقات مستمتعاً برائحة الشحم المحروق ، فليبادر سليمان إلى ارضاء نهم يهوه ويحقق له رغباته على أوسع نطاق . « ثم ان الملك وجميع اسرائيل معه ذبحوا الذبائح أمام الرب . وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً فدشن الملك وجميع بني اسرائيل بيت الرب. في ذلك اليوم قدس الملك وسط الدار التي أمام بيت الرب لانه قرب هناك المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذي أمام الرب كان صغيراً عن أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة »[2]

ولقد اقترنت عملية الذبح التي كانت تتم ارضاء لشهوة يهوه بطقوس ومراسيم كهنوتية معقدة عجيبة ، ورد أغلبها في سفر الخروج أيام موسى وهارون .

«وتأخذ الكبش الثاني ليضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش. فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة اذن هارون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى اباهم أرجلهم اليمنى . وترش الدم على المذبح من كل ناحية . وتأخذ من الدم الذي على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه . فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه . ثم تأخذ من الكبش الشحم والالية والشحم الذي يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما والساق اليمنى . فانه كبش ملء . ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التي أمام الرب . وتضع الجميع في يدي هارون وفي أيدي بنيه وترددها ترديداً أمام الرب . ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على

---

(١) أخبار الأيام الثاني صح ٧ : ١ – ٣ .

(٢) الملوك الثاني صح ٨ : ٦٢ – ٦٤ .

المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب . وقود هو للرب ... » [١] .
ويكتفي الرب بالشحوم المحرقة وبالرغيف والقرص بالزيت ، وتذهب بقية أجزاء الذبائح إلى الكهان ، فريضة أبدية تضمن لهم عيشاً دسماً وحياة رغدة .
ويهوه حريص على أن تقدم له القرابين في أوقاتها طعاماً شهياً ورائحة سرور .
« وكلم الرب موسى قائلاً . أوصي بني إسرائيل وقل لهم . قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته ... وفي رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة ... وتيساً واحداً ذبيحة خطية ... وفي الشهر الأول في الرابع عشر من الشهر فصح للرب ... وتقربون وقوداً محرقة للرب ثورين وكبشاً واحداً وسبعة خراف ... » [٢] . وتستمر الطقوس والذبائح على مدار السنة وبخاصة في الشهر السابع من أشهرهم ، حيث تقدم القرابين في اليوم الأول من الشهر ، وكذلك في الأيام الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر والخامس عشر من ذلك الشهر . [٣] . فهل يكتفي يهوه بكل هذه الدماء والشحوم الحيوانية ...

يبدو من التوراة أن نهم يهوه وشهوته للدم تطمعان في ضحايا بشرية .
« وإذا رجل من بني اسرائيل جاء وقدم إلى اخوته المديانية أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني اسرائيل وهم باكون لدى باب الرب خيمة الاجتماع . فلما رأى ذلك شيخاس بن العازر بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده ودخل وراء الرجل الاسرائيلي إلى القبة وطعن كليهما الرجل الاسرائيلي والمرأة في بطنها . فامتنع الوباء عن بني اسرائيل ... [٤]

«فكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وعبر مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بني عمون . ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً . ان دفعت بني عمون ليدي . فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي

---

(١) خروج صح ٢٩ : ١٩ : ٢٥ .
(٢) عدد صح ٢٨ : ١-٤ .
(٣) عدد صح ٢٩ : ١-٤٠ .
(٤) عدد صح ٢٥ : ٦-٨ .

بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة . ثم عبر يفتاح إلى بني عمون لمحاربتهم . فدفعهم الرب ليده ... ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص . وهي وحيدة . لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها . وكان لما رآها انه مزق ثيابه وقال آه يا بنتي قد أحزنتني وصرت بين مكدري لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع . فقالت له . يا أبي هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بي كما خرج من فيك .. وكان عند نهاية الشهرين انها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر ، وهي لم تعرف رجلاً ... » [١] . ولم ينج الكهنة أنفسهم من الذبح ليكونوا قرباناً ليهوه وارضاء له ليخف غضبه عن شعبه . « وكذا جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة التي عملها ملوك اسرائيل للاغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الاعمال التي عملها في بيت ايل . وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذبح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى اورشليم ... » [٢]

ولسوف نوضح في فصل قادم ، كيف أن تعاليم يهوه هذه كانت أساساً لعادات اليهود الوحشية في ذبح غير اليهود وامتصاص دمائهم لاستخدامها في طقوسهم الدينية .

ويهوه رب الجنود ورب اليهود ورب الحرب ظالم حقود ، شرع قاعدة العقوبات المشتركة التي تأخذ البريء بجريرة المذنب . « لا تسجد لهن ولاتعبدهن لأني أنا الرب الهك اله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي . » [٣] .

وبينما نجد داود « امام المغنين » يصور ربه مرعباً مفزعاً .. « صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت . جمر اشتعلت منه . طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه . ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح . جعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام . من الشعاع قدامه

---

(١) قضاة صح ١١ : ٢٩–٤٠ .

(٢) الملوك الثاني صح ٢٣ : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) خروج صح ٢٠:٥ .

عبرت سحبه . برد وجمر ونار . أرسل سهامه فشتتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم . فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك ... » [1] نجد تصويراً آخر يصفه بالندم . « وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي . لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقتهم وزاحميهم . » [2] « وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لاهلاكها وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك ... [3] » .

ولا يرى كهنة اليهود بأساً من وصم الههم يهوه بالجهل ، وأن يسجلوا هذا الاعتراف على لسانه . فهو يطلب اليهم أن يضعوا علامة دموية على أبواب بيوتهم لتمييزها عن بيوت المصريين الذين يضربهم حينما يمر ليضرب أرض مصر . « ويكون لكم اليوم علامة على البيوت التي أنتم فيها . فأرى الدم وأعبر عنكم . فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر . » [4]

(٣)

العنصرية والتعصب والانعزال

وضع اليهود في توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية . ورسخ في أنفسهم أنهم شعب يهوه المختار ، وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة ، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم . وقد بلغ من تعصبهم وصلفهم وغرورهم أنهم اعتبروا يهوه إلهاً خاصاً بهم ، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية

---

(١) مزمور ١٨ : ٨-١٥ .
(٢) قضاة ٢ : ١٨ .
(٣) أخبار الأيام الأول صح ٢١ : ١٥ .
(٤) خروج صح ١٢ : ١٣ .

الشعوب من الاتصال به . وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى آخر سطر فيها . « وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له . ضع يدك تحت فخذي . فأستحلفك بالرب اله السماء واله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم . » [1] وكذلك فعل اسحق بابنه يعقوب . « فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان ... » [2] . ثم تأتي أوامر يهوه إلى نبيه موسى . « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الاموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت اليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك . فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك . فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلون بنيك يزنون وراء آلهتهن . » [3] . ثم يمضي يهوه في حقن عقول شعبه بسموم العنصرية والغرور والتعالي والابتعاد عن البشر . « وان سمعت سمعاً لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض . » [4] .

« ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية الشعوب اولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم اليهم وهم اليكم . فاعلموا يقيناً أن الرب الهكم لا يعود يطرد اولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلهكم . » [5] .

ويؤكد يهوه غرامه ومحبته والتصاقه بشعبه المختار . « لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم . بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك ...

---

(١) تكوين صح ٢٤ : ٢ ، ٣ .
(٢) تكوين صح ٢٨ : ١ .
(٣) خروج صح ٣٤ : ١١ – ١٦ .
(٤) تثنية صح ٢٨ : ١ .
(٥) يشوع صح ٢٣ : ١٢، ١٣.

لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك . إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر . »(1)

« ولكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم ... » (2)

ويطبّق عزرا كاهن اليهود وجامع توراتهم تعاليم يهوه عملياً ، حين عاد مع يهود السبي إلى أورشليم ليجد أن اليهود المساكين الذين تخلفوا بعد السبي إلى بابل ، قد تزوجوا من نساء شعب فلسطين غير اليهودي . وتلك كانت الطامة الكبرى عند عزرا ورفاقه من كهان اليهود . فأقدم على تنفيذ عملية اجرامية ظالمة ، وفصل بين الأزواج اليهود وزوجاتهم الفلسطينيات وأطفالهم. « فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم في الثلاثة الأيام أي في الشهر التاسع في العشرين من الشهر وجلس جميع الشعب في ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار . فقام عزرا الكاهن وقال لهم . انكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم اسرائيل . فاعترفوا الآن للرب اله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة . فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم كما كلمتنا كذلك نعمل . إلا أن الشعب كثير والوقت وقت أمطار ولا طاقة لنا على الوقوف في الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو لاثنين لأننا قد أكثرنا الذنب في هذا الأمر ... » (3) ويتغنى نبيهم داود في مزاميره ، مردداً أوامر يهوه في أن تخضع ملوك الأرض للملك اورشليم وتقدم له الهدايا . « قد أمر الهك بعزك . أيد يا الله هذا الذي فعلته لنا . من هيكلك فوق أورشليم تقدم ملوك هدايا . » (4) .

---

(1) تثنية صح ٧ : ٢ — ٨ .
(2) تثنية صح ١٠:١٥ .
(3) عزرا صح ١٠:٩ — ١٣ .
(4) مزمور ٦٨ : ٢٨،٢٩ .

بيد ان تقديم الهدايا لا يشبع نهم يهوه اله اليهود ، فلا بد اذن من اجراء حاسم وعنيف . « هللويا . غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الاتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبحوا اسمه برقص . بدف وعود ليرنموا له . لأن الرب راض عن شعبه . يجمل الودعاء بالخلاص . ليبتهج الاتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم . ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب . لاسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب . كرامة هذا لجميع أتقيائه . هللويا . »[١] ولم لا ؟ أليس هو الشعب المدلل الذي تغفر ذنوبه مهما كانت كبيرة . « لأني أنا معك يقول الرب لاخلصك . وان أفنيت جميع الأمم الذين بددتك اليهم فأنت لا أفنيك بل اؤدبك بالحق ولا ابرئك تبرئة . »[٢] .

واله اليهود هذا ، وقف عليهم لا يسمحون له أن يتصل بسواهم من الشعوب لهدايتها ، كما لا يسمحون لتلك الشعوب أن تتصل به لتتعرف اليه وتعبده . وبدأت عملية الاحتكار هذه من أيام موسى وفرعون . « فقال فرعون من هو الرب اسمع لقوله فأطلق اسرائيل . لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه . فقالا اله العبرانيين قد التقانا . فنذهب سفر ثلثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف . »[٣] .

« فدخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب اله العبرانيين إلى متى تأبى أن تخضع لي . اطلق شعبي ليعبدوني . »[٤]

« فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب . فان لي كل الأرض . وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة . »[٥]

---

(١) مزمور ١٤٩ : ١-٩ .
(٢) ارميا صح ٣٠ : ١١ .
(٣) خروج صح ٥ : ٢ ، ٣ .
(٤) خروج صح ١٠ : ٣ .
(٥) خروج صح ١٩ : ٥ ، ٦ .

وعبثاً يحاول الشعب الفلسطيني أن يتقرب إلى شعب يهوه ليستفيد منه ويفيده ، وأبت العنصرية المدمرة أن تقبل العون من غير اليهود حتى في أعمال السخرة لبناء هيكلهم أيام عزرا . « ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بني السبي يبنون هيكلاً للرب اله اسرائيل تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبني معكم لأننا نظيركم نطلب الهكم وله قد ذبحنا من ايام اسرحدون ملك اشور الذي أصعدنا إلى هنا . فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء اسرائيل ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لالهنا ولكننا نحن وحدنا نبني للرب اله اسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس ... » [1]

ولا ننسى ونحن في مجال الحديث عن احتكار الاله ، قرار يهوه بأن ذنب شعب فلسطين لا يغتفر لأن ذلك الشعب لم يسارع إلى ملاقاة اليهود الزاحفين لاحتلال وطنه ، حاملاً الخبز والماء .

« في ذلك اليوم قرىء في سفر موسى في آذان الشعب ووجد مكتوباً فيه ان عمونيا وموأبيا لا يدخل في جماعة الله إلى الأبد . لأنهم لم يلاقوا بني اسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم بلعام لكي يلعنهم . » [2] .

ولم ينس يهوه وهو يحض شعبه المختار على التعصب والانعزال وعدم عقد العهود والمواثيق مع غير اليهود ، لم ينس التهديد بفرض العقوبات الصارمة على من يخالف أوامره وتعاليمه . « ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص ان تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع اللعنات وتدركك . ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل . ملعونة تكون سلتك ومعجنك . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك واناث غنمك . ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك . يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني . يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل اليها لكي تتملكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك

---

(١) عزرا صح ٤ : ١-٣ .

(٢) نحميا صح ١٣ : ١ ، ٢ .

حتى تفنيك ... ويضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . يضربك بجنون وعمى وحيرة قلب ... الخ »[1] .

هذا جزاء يسير من المصائب واللعنات التي تنصب على اليهودي المخالف المتمرد على وصايا يهوه . وكثير مثل هذا موزع في اسفار التوراة . فمن ذا الذي يجرؤ على عصيان وصايا يهوه ليعرض نفسه لمثل هذه الويلات ...؟!

(٤)

القسوة والهمجية

يهوه رب الجنود ورجل الحرب ، اله إسرائيل القاسي الظالم المتوحش كما تصوره توراة اليهود ، غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة الهمجية . ولاثبات ذلك نقوم بجولة قصيرة نتصفح فيها كتاب اليهود المقدس . ولا ذنب لي حين تزكم الروائح الكريهة أنف القارىء وتصاب نفسه بالغثيان . فان الواجب العلمي قضى أن أتعمق في البحث وان اصل الى الجذور مهما كانت الطريق اليها شاقة مرهقة .

وتبدأ الجولة مع رب موسى التوراتي ونقتفي آثار القسوة التي خطها لشعبه المختار لنجد أنه يأمر بقتل الذين يأكلون خبزاً خميراً في أيام حرم فيها أكل الخمير . . . « سبعة أيام تأكلون فطيراً . اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فان كل من اكل خميراً من اليوم الأول الى اليوم السابع **تقطع تلك النفس من اسرائيل** ... سبعة ايام لا يوجد خمير في بيوتكم . فان كل من اكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل . . . »[2]

واستفتح يهوه عمليات القسوة والعنف بالشعب المصري . « وقال موسى

(١) تثنية صح ٢٨ : ١٥ — ٢٨ .
(٢) خروج صح ١٢ : ١٥ ، ١٩ .

هكذا يقول الرب اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر . فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة . » (١)

وقبل التوغل في ارض فلسطين تمت مجزرة ابتغاء مرضاة يهوه الذي غضب على شعبه المحب للذهب الساجد له من من دون يهوه . « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه . ففعل بنوا لاوي بحسب قول موسى . ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى املاءوا ايديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه . فيعطيكم اليوم بركة . » (٢)

وبعد ان استراحت نفس يهوه واستمتع برؤية شعبه يذبح بعضهم بعضاً ، وجه ارادته الى الشعب المختار ، راسماً خطة المجازر الجديدة وحرب الإبادة ليضمن لشعبه الحبيب ارضاً بلا سكان ووطنا قوميا بلا منازعين ومشاغبين من السكان الأصليين . « متى اتى بك الرب الهك الى الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب اكثر واعظم منك ودفعهم الرب الهك امامك وضربتهم فانك تحرمهم (تقتلهم) . » (٣)

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح . فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . واما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا (فلسطين) . واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك

(١) خروج صح ١١ : ٤ ، ٥ .
(٢) خروج صح ٣٢ : ٢٦ — ٢٩ .
(٣) تثنية صح ٧ : ١ ، ٢ .

فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريما كما امرك الرب الهك ... » [1]

وفوجيء اهل مديان من شعب فلسطين بالجموع اليهودية المتدفقة كالوحوش الضارية ، وشرعتها في الحرب فتك وابادة وسبي ونهب وسلب دون سابق انذار . « وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين ثم تضم الى قومك ... فتجندوا على مديان كما امر الرب **وقتلوا كل ذكر** . وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ... وسبى بنو اسرائيل نساء مديان واطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم . واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ... » [2]

وغضب موسى التوراة على قادة جيشه الذين ابقوا على حياة النساء والاطفال وسبوهم الى المحلة . فأمر بأن يطهر الجند من النجاسة بعد ذبح النساء والاطفال « وقال لهم موسى هل ابقيتم كل انثى حية ... فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال . وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها . » [3] وزحفت جموع اليهود لتفاجيء سيمون ملك حشبون ومن بعده عوج ملك باشان في جنوب ارض كنعان ، وتبيد شعبيهما بناء على اوامر يهوه . « فدفعه الرب الهنا امامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه . واخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة **الرجال والنساء والاطفال** لم نبق شاردا . لكن البهائم نهبناها لانفسنا وغنيمة المدن التي اخذنا . » [4]

« فدفع الرب الهنا الى ايدينا عوج ملك باشان وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد . واخذنا كل مدنه في ذلك الوقت . لم تكن قرية لم نأخذها منهم . ستون مدينة ... كل هذه كانت مدنا محصنة بأسوار شامخة وابواب ومزالج سوى قرى الصحراء الكثيرة جدا . فحرمناها كما فعلنا بسيمون ملك حشبون محرمين كل مدينة **الرجال والنساء والاطفال** .. » [5]

---

(١) تثنية صح ٢٠ : ١٠ — ١٧ .

(٢) عدد صح ٣١ : ١—١٠ .

(٣) عدد صح ٣١ : ١٥،١٧ .

(٤) تثنية صح ٢ : ٣٣ — ٣٥ .

(٥) تثنية صح ٣ : ٣ — ٦ .

وتسلم يشوع بن نون الراية – راية يهوه – من بعد موسى الذي قضى ولما تزل جموع اليهود في اطراف ارض كنعان . واستهل يشوع بطولاته بأريحا المنكوبة . « وحرموا كل ما في المدينة **من رجل وامراة من طفل وشيخ** حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب .. »[1] واستمرأ رب اليهود عملية الافناء والابادة . « فقال الرب ليشوع مد المزراق الذي بيدك نحو عاي لاني بيدك ادفعها . فمد يشوع المزراق الذي بيده نحو المدينة وضربوهم حتى **لم يبق منهم شارد** ولا منفلت . واما ملك عاي فأمسكوه حيا وتقدموا به الى يشوع . وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم **وسقطوا جميعا** بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي وضربوها بحد السيف . فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم **من رجال ونساء اثني عشر الفا** جميع اهل عاي . ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاي . لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لانفسهم **حسب قول الرب** الذي امر به يشوع . »[2] وبعد ان احرق يشوع عاي ودمرها قتل ملكها الاسير وعلق جثته على باب المدينة ...

وواصل يشوع عملية الفتك والابادة بهمة عظيمة يرضى عنها رب الجنود يهوه . « واخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو و**كل نفس بها** . ولم يبق شاردا ... ثم اجتاز الى لبنة وحارب لبنة ... فضربها بحد السيف وكل نفس بها. لم يبق بها شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا[3]... ومن بعد لبنة اباد سكان لخيش وعجلون وحبرون ودبير مع ملوكهم . كما اباد ملك حاصور وشعبه ، ومن كان معه من ملوك مادون وشمرون واكشاف . ثم أخذ يشوع حاصور وقتل كل نفس فيها بحد السيف . وفي سفر يشوع تفصيل لمعارك الابادة والاصرار على ذكر القتل قتل جميع السكان وافنائهم ، الملوك والشعب ، النساء والرجال والاطفال والشيوخ [4] . واستمرت المذابح

---

(١) يشوع صح ٦ : ٢١–٢٤ .

(٢) يشوع صح ٨ : ١٨–٢٦ .

(٣) يشوع صح ١٠ : ٢٨–٣٠ .

(٤) يشوع صح ١١ : ١–٢٢ .

والمجازر بعد يشوع ، تارة بين بني اسرائيل في الشمال وبين بني بنيامين في الجنوب ، وتارة اخرى بين هذين الفرعين من اليهود وبين شعب كنعان المنكوب . وها هو ابيمالك يخدع اخواله ويأخذ منهم الموافقة على تنصيبه ملكاً ، ثم يسارع الى الفتك باخوته . « ثم جاء الى بيت ابيه في عفرة وقتل اخوته بني يربعل سبعين رجلا على حجر واحد . وبقي يوثام بن يربعل الاصغر لانه اختبأ . » [1]

وتقضي غريزة سفك الدماء وشهوة الافناء والابادة ان يهود جلعاد ذبحوا اثنين واربعين الفا من يهود افرايم لأنهم اخطأوا في لفظ حرف (ش) ولفظوه (س)

« فأخذ الجلعاديون مخاوض الاردن لافرايم وكان اذا قال منفلتوا افرايم دعوني اعبر . كان رجال جلعاد يقولون له أأنت افرايمي فان قال لا يقولون له قل اذاً شبولت فيقول سبولت ولم يتحفظ للفظ بحق . فكانوا يأخذونه ويذبحونه على مخاوض الاردن . فسقط في ذلك الوقت من افرايم اثنان واربعون الفا . » [2]

وقتل عشرات الالوف في شرعة يهوه التي غرسها في نفوس شعبه المختار ، امر سهل يسير يروي تعطش يهوه الى شرب الدماء . « فخرج بنو بنيامين من جبعة واهلكوا من اسرائيل في ذلك اليوم **اثنين وعشرين الف** رجل الى الارض. وتشرد الشعب رجال اسرائيل ... فخرج بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني واهلك من بني اسرائيل ايضا **ثمانية عشر الف** رجل الى الارض . » [3] وحين زال غضب يهوه عن اسرائيل سارع الى الفتك ببني بنيامين « فضرب الرب بنيامين امام اسرائيل واهلك بنو اسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين الف رجل ومئة رجل . كل هؤلاء مخترطوا السيف ... ورجعوا امام بني اسرائيل في طريق البرية ولكن القتال ادركهم والذين من المدن اهلكوهم في وسطهم . فحاوطوا بنيامين وطاردوهم بسهولة وادركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس . فسقط من بنيامين **ثمانية عشر الف رجل ...** ورجع رجال بني اسرائيل الى بني بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة

---

(١) قضاة صح ٩: ٥ .

(٢) قضاة صح ١٢: ٥ ، ٦ .

(٣) قضاة صح ٢٠: ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ .

بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد وايضا جميع المدن التي وجدت احرقوها بالنار .. » [1]

وتخلف يهود يابيش عن زيارة يهوه في المجمع فكان جزاؤهم الابادة . « وقالوا اي سبط من اسباط اسرائيل لم يصعد الى الرب الى المصفاة . وهوذا لم يأتي الى المحلة رجل من يابيش جلعاد الى المجمع ... فأرسلت الجماعة الى هناك اثني عشر الف رجل من بني البأس واوصوهم قائلين واضربوا سكان يابيش جلعاد بحد السيف مع **النساء والاطفال** . وهذا ما تعملونه تحرمون كل ذكر **وكل امراة** عرفت اضطجاع ذكر ... »

وحين كان شعب يهوه يتريث قليلا عن مواصلة سفك الدماء ، نجد ان يهوه نفسه يسارع الى القيام بهذه المهمة . « وضرب اهل بيتشمس لانهم نظروا الى تابوت الرب ، وضرب من الشعب خمسين الف رجل وسبعين رجلا . » [2]

« فجعل الرب وباء في اسرائيل فسقط من اسرائيل سبعون الف رجل. » [3]

وجاء نبيهم صموئيل ، وهو من اعظم انبيائهم ، فجرب حظه في التقرب الى يهوه عن طريق سفك الدماء . «هكذا يقول رب الجنود . اني قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالان اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا . بقرا وغنما . جملا وحمارا .. » [4]

وحين هب شاؤل لتنفيذ اوامر صموئيل وحرم جميع الشعب بحد السيف ، عفا عن اجاج ملك عماليق واخذه اسيرا ، كما استبقى خيار الغنم والبقر والخراف ولم يسمح بابادتها مع الشعب . فثار صموئيل ونقل الى شاؤل غضب الرب لانه خالف تعاليمه بالابادة الكاملة . ولما كان شاؤل قد مسح ملكا على اسرائيل ببركة صموئيل ، فانه سارع الى طلب المغفرة عن الذنب العظيم الذي اقترفه يوم ابقى على حياة اجاج مع خيار المواشي ... « وقال صموئيل قدموا الي اجاج

---

(١) قضاة صح ٢٠ : ٣٥ ، ٤٢ — ٤٨ .

(٢) صموئيل الأول صح ٦ : ١٩ .

(٣) اخبار الأيام الأول صح ٢١ : ١٤ .

(٤) صموئيل الأول صح ١٥ : ٢ ، ٣ .

ملك عماليق . فذهب اليه اجاج فرحا . وقال اجاج حقا قد زالت مرارة الموت ... فقطع صموئيل اجاج امام الرب في الجلجال ... ولم يعد صموئيل لرؤية شاوُل الى يوم موته لان صموئيل ناح على شاوُل والرب ندم لانه ملك شاوُل على اسرائيل ... » [١]

ولننظر الى شاوُل الذي عده صموئيل متسامحا يعفو عن اسيره اجاج ولا يفتك بالمواشي ، لنجد غريزة العنف والوحشية تنمو في نفسه ، فيطلب من داود ان يقطع له مائة غلفة من اعضاء الذكور من الفلسطينيين ويقدمها مهرا لابنته ميكال . « فقال شاوُل هكذا تقولون لداود . ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من اعداء الملك ... ولم تكمل الايام حتّى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل واتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك . فأعطاه شاوُل ميكال ابنته امرأة ... » [٢]

ولا نعجب لوحشية شاوُل هذه ، اذا ما علمنا انه اخذ يفتك بالكهنة من بني اسرائيل انفسهم ، وبالنساء والاطفال والحيوانات . « ووقع هو بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلا لابسي افود كتان . وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف . الرجال والنساء والاطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف ... » [٣]

وجاء دور داود نبيهم الاعظم ، وابن يهوه المفضل وخليفته الذي اقسم ان يظل ملك اسرائيل في عقبه الى الابد . فاستهل عهده الدامي بالفتك بالفلسطينيين الذين احسنوا اليه وآووه يوم كان هاربا من بطش شاوُل .

« وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم واخذ داود زمام القصبة من يد الفلسطينيين ، وضرب المؤابيين وقاسمهم بالجبل . اضجعهم على الارض فقاس بحبلين للقتل وحبل للاستحياء ...

وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة فاخذ داود منه الفا وسبع مئة فارس وعشرين الف رجل . وعرقب داود جميع خيل المركبات وابقى

---

(١) صموئيل الأول صح ١٥ : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) صموئيل الأول صح ١٨ : ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) صموئيل الأول صح ٢٢ : ١٨ ، ١٩ .

منها مئة مركبة . فجاء آرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة فضرب داود من آرام اثنين وعشرين الف رجل ... ونصب داود تذكارا عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر الفا من آرام في وادي الملح ... وهرب آرام من امام اسرائيل وقتل داود من آرام سبعمئة مركبة واربعين الف فارس ... » (١)

ولم تقنع طريقة الابادة بالسيف الملك داود فاستنبط طريقة جديدة فذة .

« واخرج غنيمة المدينة – ربة بني عمون – كثيرة جدا . واخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وامرهم في اتون الاجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ... » (٢)

واستتب الامر لداود، فلم يبق على عدائه له سوى ابنه ابشالوم . واستحكم العداء بينهما فلا بد اذن من مجزرة . « وكان القتال في وعر افرايم . فانكسر هناك شعب اسرائيل امام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم قتل عشرون الفا وكان القتال هناك منتشرا على وجه كل الأرض وزاد الذين اكلهم الوعر من الشعب على الذين اكلهم السيف في ذلك اليوم ... » (٣)

وجاء سليمان الحكيم ، فوجد انه لا بد من سفك الدماء لتتم الحكمة ويكمل الدهاء وتتوطد اركان الملك ... « فنزل هؤلاء مقابل اولئك سبعة ايام وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو اسرائيل من الاراميين مئة الف رجل في يوم واحد . وهرب الباقون الى افيق الى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين الف رجل الباقين ... » (٤)

ولا يصح ان نهمل ذكر نصيب ملائكة توراة اليهود في سفك الدماء والمجازر التي توردها اسفار اليهود . « وكان في تلك الليلة ان ملاك الرب خرج وضرب من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفا . ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة . » (٥)

---

(١) صموئيل الثاني صح ٨ : ١ – ١٨ .
(٢) صموئيل الثاني ١٢ : ٣٠، ٣١ .
(٣) صموئيل الثاني صح ١٨ : ٦ – ٨.
(٤) الملوك الأول صح ٢٠ : ٢٩، ٣٠ .
(٥) الملوك الثاني صح ١٩ : ٣٥ .

واشتد الصراع على مرضاة يهوه بين يهوذا واسرائيل ، فدارت بينهما رحى معركة طاحنة . « وهتف رجال يهوذا ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل اسرائيل امام ابيا ويهوذا . فانهزم بنو اسرائيل من امام يهوذا فدفعهم الله ليدهم . وضربهم ابيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من اسرائيل خمس مئة الف رجل مختار . فنزل بنو اسرائيل في ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم اتكلوا على الرب اله آبائهم ... » (١)

ويهورام بن يهو شافاط يجرب سيفه باخوته . « فقام يهورام على مملكة ابيه وتشدد وقتل جميع اخوته بالسيف وايضا بعضا من رؤساء اسرائيل ... » (٢)

ثم تأتي عتليا ام اخزيا ابن يهورام وتبيد جميع النسل الملكي المقدس . ولم لا ؟ اهي اقل من الرجال شجاعة ورغبة في سفك الدماء . « ولما رأت عتليا ام اخزيا ان ابنها قد مات قامت وابادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا... » (٣)

وحين تنبأ الكاهن زكريا قتلوه في بيت الرب . ولبس روح الله زكريا الكاهن بن يهوياداع فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون . لانكم تركتم الرب تركك . ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بامر الملك في دار بيت الرب ... » (٤)

وانتقم يهوه لقتل نبيه زكريا فاوقع يواش الملك بايدي جيش ارام فاهلكوا جميع رؤساء الشعب في يهوذا واورشليم . (٥)

ويبدو ان يهوه قد غضب على شعبه لان حدة المجازر قد خفت ، فجاء امصيا الصالح « فتشدد واقتاد شعبه وذهب الى وادي الملح وضرب من بني سعير عشرة آلاف احياء سباهم بنو يهوذا واتوا بهم الى رأس سالع وطرحوهم عن رأس سالع فتكسروا اجمعين ... واما الرجال الذين ارجعهم امصيا عن الذهاب معه الى القتال فاقتحموا مدن يهوذا من السامرة الى بيت حورون وضربوا

(١) أخبار الأيام الثاني صح ١٣ : ١٥ – ١٨ .
(٢) أخبار الأيام الثاني صح ٢١ : ٤ .
(٣) المرجع نفسه صح ٢٢ : ١٠ .
(٤) المرجع نفسه صح ٢٤ : ٢٠ ، ٢١ .
(٥) المرجع نفسه ٢٤ : ٢٣ .

منهم ثلاثة آلاف ونهبوا نهبا كثيرا ... » [1]

واشتد ساعد اسرائيل ونال حظوة عند رب الجنود يهوه فنصره على يهوذا ... « ودفع ايضا ليد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة . وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين الفا في يوم واحد . الجميع بنو بأس لانهم تركوا الرب اله آبائهم . وقتل زكرى جبار افرايم معسيا ابن الملك وعزريقام رئيس البيت والقانة ثاني الملك . وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مئتي الف من النساء والبنين والبنات ونهبوا ايضا غنيمة وافرة واتوا بالغنيمة الى السامرة . » [2]

وتوراة اليهود لا تخفي حقيقة الشعب المختار وميوله لشرب الدماء وقضم عظام البشر وقتل الاولاد حتى اولاد اليهود انفسهم . « هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد . لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى ... الله اخرجه من مصر . له مثل سرعة الرئم . يأكل امما مضايقيه ويقضم عظامهم ... » [3]

وارميا نبيهم الذي يندد احيانا بحرق ابناء اليهود بالنار . « وبنوا مرتفعات توفة التي في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذي لم آمر به ولا صعد على قلبي ... » [4] نجده يترنم بترديد قسوة يهوه رب الجنود وسحقه للشيخ والفتى والغلام والعذراء . « ... وقضيب ميراثه رب الجنود اسمه . انت لي فأس وادوات حرب فأسحق بك الامم واهلك بك الممالك واكسر بك الفرس وراكبه واسحق بك المركبة وراكبها واسحق بك الرجل والمرأة واسحق بك الشيخ والفتى واسحق بك الغلام والعذراء واسحق بك الراعي وقطيعه واسحق بك الفلاح وفدانه واسحق بك الولاة والحكام . » [5]

وقديسة التوراة استير ، خصها كهان بني اسرائيل بسفر كامل جاء رمزا على الكذب والتآمر والغدر والوحشية والقسوة . فقد اثبت السفر قصة مردخاي احد افراد حاشية الملك احشويروش ، وكيف افسد هذا اليهودي ما بين الملك

---

(١) المرجع نفسه صح ٢٥ : ١١–١٢ .
(٢) أخبار الأيام الثاني صح ٢٨ : ٥ – ٨ .
(٣) عدد صح ٢٣ : ٢٤ ، صح ٢٤ : ٨ .
(٤) ارميا صح ٧ : ٣١ .
(٥) ارميا صح ٥١ : ١٩ – ٢٣ .

والملكة ليزوجه من ابنة عمه استير ، وكيف دبر قصة تآمر الشعب على اليهود ثم استخدم استير لادخال قصة التآمر الكاذب في روع الملك والحصول منه على امر برد العدوان المرتقب عن اليهود . ونجح مردخاي نجاحا باهرا كان من نتيجته ذبح عشرات الالوف من الشعب اللاهي الذي فوجيء باليهوب المسلحين المستعدين يهاجمونه ويفتكون به . ولم يخسر اليهود قتيلا واحدا مما يؤكد براءة الشعب المسكين من قصة التآمر على اليهود التي اخترعها مردخاي . « ولما رأى هامان ان مردخاي لا يجثو ولا يسجد له امتلأ هامان غضباً وازدرى في عينيه ان يمد يده الى مردخاي وحده لأنهم اخبروه عن شعب مردخاي فطلب هامان ان يهلك جميع اليهود الذين في كل مملكة احشويروش شعب مردخاي ...

« فجاء الملك وهامان ليشربا عند استير الملكة . فقال الملك لاستير في اليوم الثاني ايضا عند شرب الخمر ما هو سؤلك يا استير الملكة فيعطى لك وما هي طلبتك . ولو إلى نصف المملكة تقضى ...» فمد الملك لاستير قضيب الذهب فقامت استير ووقفت امام الملك . وقالت اذا حسن عند الملك ووجدت نعمة امامه واستقام الامر امام الملك وحسنت انا لديه فليكتب لي لكي ترد كتابات تدبير هامان بن همداثا الاجاجي التي كتبها لابادة اليهود الذين في كل بلاد الملك ...

« فقال الملك احشويروش لاستير الملكة ومردخاي اليهودي هوذا أعطيت بيت هامان لاستير أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود ... »[1] ولم يكتف مردخاي بالقضاء على هامان ، فدبر عملية سفك دماء الآلاف ليشبع غريزته وينتقم من الأبرياء .

« فكتب باسم الملك احشويروش وختم بخاتم الملك وأرسل رسائل بأيدي بريد الخيل ... التي بها أعطى الملك اليهود في مدينة فمدينة ان يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكوره تضادهم حتى الأطفال والنساء وان يسلبوا غنيمتهم ...

« وقتل اليهود في شوشن القصر وأهلكوا خمس مئة رجل ، عشرة بني هامان بن همداثا عدو اليهود قتلوهم ... فقال الملك لاستير الملكة في شوشن

---

(١) استير صح ٣ ، ٥ .

القصر قد قتل اليهود وأهلكوا خمس مئة رجل وبني هامان العشرة .. فما هو سؤلك فيعطى لك وما هي طلبتك بعد فتقضى » ...

وبعد أن صلب أبناء هامان العشرة على الخشبة حسب طلب استير اتجه اليهود إلى الفتك بالشعب في بقية المناطق ... » وباقي اليهود الذين في بلدان الملك اجتمعوا ووقفوا لأجل أنفسهم واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين الفاً . في اليوم الثالث عشر من شهر آذار . واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح (عيداً رسمياً لليهود) . (١)

ولا ننسى ونحن نعرض لهذه المجازر التي كان يذهب ضيحتهامئات الألوف في معركة واحدة تدوم يوماً أو بعض يوم ، أن نذكر بأن السلاح الرئيسي الذي كان يستخدم في تلك المذابح هو السيف . ولنا أن نقيس درجة الوحشية والهمجية من تصورنا لمعركة يسقط فيها نصف مليون قتيل ، من غير استخدام قنابل ذرية أو هيدروجينية ، أو مدافع ورشاشات ودبابات وطائرات من قاذفات القنابل والصواريخ .... ولنا أن نقيس كذلك درجة المدنية التي قدمها اليهود للعالم ، حين نتصور المآسي والكوارث التي كانت تنجم عن سبي مئتي ألف سيدة وطفل ، في معركة واحدة بعد ذبح مئات الألوف من الرجال المحاربين وغير المحاربين . إنها لعمري ليست مدنية بل همجية ووحشية . حتى اننا نخطئ كثيراً حين ننسبها إلى الوحوش ونسميها وحشية . ذلك لأن جميع أنواع الوحوش لا تقترف جرائم القتل إلا لتأمين وجبات طعامها ، في حين أن اليهود كانوا وما زالوا متعطشين لسفك الدماء بشكل جنوني محموم ، لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر .

---

(١) استير صح ٩ .

(٥)

الفسق والدعارة

ما اكتسب العهر والفجور والفسق والدعارة قداسة كما اكتسبت في توارة اليهود . ونظمت التوراة عهارات لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عالجها بالشكل الذي عولجت به في دين اليهود . وتعد التوراة بحق الكتاب الأول في التاريخ كله الذي قدّم للإنسانية الدروس الأولى في الانحلال الخلقي والاباحية .

في شرعة التوراة لا بأس من مضاجعة الأب لابنته حتّى ولو كان شيخاً فانياً سكراناً . « وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً . فسقيا أباهما خمراً في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً . وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي . وهو أبو بني عمون إلى اليوم . » [١]

واسنّ رأوبين بن يعقوب سنة الاعتداء على زوجة الأب . « ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب . واصغوا إلى اسرائيل أبيكم . رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز . فائراً كالماء لا تتفضل . لأنك صعدت على

---

(١) تكوين صح ١٩ : ٣٠ - ٣٨ .

مضجع أبيك . حينئذ دنسته . على فراشي صعد . » [1] وتفشت هذه العادة عند ملوكهم وأبناء ملوكهم فطبقها ابشالوم بن داود على نطاق واسع . « وقال ابشالوم لاخيتوفل اعطوا مشورة ماذا نفعل . فقال اخيتوفل لابشالوم ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت فيسسمع كل اسرائيل انك قد صرت مكروهاً من أبيك وتتشدد أيدي جميع الذين معك. فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع اسرائيل . وكانت مشورة اخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله (مقدسة) . » [2]

وابشالوم هذا ورث الدعارة عن أبيه داود التوراة ، وليس داود النبي الذي يجله القرآن الكريم ويحقره اليهود . فداود التوراة يسطو على زوجة أحد ضباطه أثناء غيابه في الجبهة ، ثم يتآمر على حياته ليخلو له الجو فيتزوج المرأة الجميلة التي زنى بها .

« وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد اليست هذه بتشيبع بنت اليعام امرأة اوريا ... فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت اني حبلى . فأرسل داود إلى يوآب يقول ارسل الي اوريا الحثي . فأرسل يوآب اوريا إلى داود ... [3]

وحين وصل اوريا منحه داود اجازة لقضاء ليلة مع زوجته فتضيع جريمة اغتصابها وحملها . ولكن اوريا كان خبيثاً ففهم الخطة ونام مع الحرس على باب بيت الملك . وعلم داود في الصباح ان اوريا لم يدخل بيته فسأله . وكان رد اوريا ذكياً واعياً . وبرر رفضه بأن الجيش يحارب في الجبهة فلا تطاوعه نفسه على الاستمتاع والراحة في بيته . فأعاده داود إلى الجبهة بعد أن حاك

(1) تكوين صح ٤٩ : ١-٤ .
(2) صموئيل الثاني صح ١٦ : ٢٠-٢٣ .
(3) صموئيل الثاني صح ١ : ١-٤ .

مؤامرة التخلص منه مع القائد العام يوآب . ونجحت الخطة وتخلص داود من اوريا الضابط الذي قتله جمال زوجته ، ثم تزوجها بعد انقضاء فترة الحداد . فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً ... » [1]

وتصور التوراة داود في شيخوخته محباً للعذارى يتدثر بهن حين يصاب بالقشعريرة . « وشاخ الملك داود . تقدم في الأيام . وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ . فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك . ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم اسرائيل فوجدوا ابيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك . وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها ... » [2]

حقاً ان هذه الوصفة الطبية (روشتة) ، وقف على داود وعلى شعبه المنحل الذي يسبح في بحر الجنس والرذيلة منذ ثلاثين قرناً إلى يومنا هذا . ولا ننسى يهوذا أحد أبناء يعقوب وكيف زنى بكنته تامار حسب كلام التوراة .

« ولما طال الزمان وماتت ابنة شوع امرأة يهوذا ، ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه ... فأخبرت تامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه . فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنه ... فنظرها يهوذا وحسبها زانية ... فمال اليها على الطريق وقال هاتي ادخل عليك . لأنه لم يعلم انها كنته . فقالت ماذا تعطينا لكي تدخل علي . فقال اني أرسل جدي معزى من الغنم . فقالت هل تعطيني رهناً حتى ترسله ... » [3] ، وخلاصة ما تم بينهما ، أنه أعطاها خاتمه ومنديله وعصاه . ثم زنى بها واختفت عن الأنظار . وحين أرسل الجدي ليسترد الرهن لم يجدها الرسل . وبعد ثلاثة أشهر أخبر يهوذا بأن كنته حبلى لأنها زنت ولم تنتظر زوجها الصغير ابن يهوذا . فأمر بحرقها . وعند التنفيذ أبرزت الرهن

---

(١) صموئيل الثاني صح ١١ كله .

(٢) الملوك الأول صح ١ : ١ — ٤ .

(٣) تكوين صح ٣٨ : ١٢ — ١٨ .

فاعترف يهوذا أنه صاحبه ، وأوقف التنفيذ . ثم ولدت تامار توأمين هما فارص وزارح . ومن نسل فارص جاء بوعز المتزوج بروث التي هي من نسل موآب . ومن نسلهما جاء داود التوراة . فهو أي داود (ممزير) ابن زنى ، لأن موآب ابن زنى ، فأمه بنت لوط حبلت به من أبيها . وبوعز جاء من فارص من الزنى كذلك ، فيكون داود بحسب قول التوراة ممزير . [1]

وسجلت التوراة وقائع أكثر بشاعة من كل ما مر معنا . سجلت ان امنون ابن داود زنى بأخته تامار ، وغضب شقيقها ابشالوم فانتقم من امنون بواسطة غلمانه . « وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود . وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً . فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخبرني . فقال له امنون اني أحب تامار أخت ابشالوم أخي . فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض . وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع تامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها . فاضطجع امنون وتمارض فجاء الملك ليراه . فقال امنون للملك دع تامار أختي فتأتي وتضع أمامي كعكتين فآكل من يدها . فأرسل داود إلى تامار إلى البيت قائلاً اذهبي إلى بيت امنون أخيك واعملي له طعاماً . فذهبت تامار إلى بيت امنون أخيها وهو مضطجع . وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكاً أمامه وخبزت الكعك . وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل . وقال امنون اخرجوا كل إنسان عني . فخرج كل إنسان عنه . ثم قال امنون لتامار ايتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك . فأخذت تامار الكعك الذي عملته وأتت به امنون أخاها إلى المخدع . وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي يا أختي . فقالت له لا يا أخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في اسرائيل . لا تعمل هذه القباحة ... والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك . فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها . ثم أبغضها امنون بغضة شديدة جداً حتى ان البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها . وقال لها امنون قومي انطلقي .... فجعلت تامار رماداً على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت

---

(١) انظر بقية الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين .

يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة . فقال لها ابشالوم أخوها هل كان امنون أخوك معك . فالآن يا أختي اسكتي . أخوك هو . لا تضعي قلبك على هذا الأمر ... » (١)

أما سليمان التوراة وحياته الجنسية فحدث عنهما ولا حرج . فهي تصوره مزواجاً شبقاً يقتني مئات الأزواج والسراري .

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء الهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مئة من النساء والسيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه ... » (٢)

ويبدو أن رحبعام بن ابشالوم كان فقيراً فلم يتزوج غير ثماني عشرة امرأة في آن واحد ، وكذلك كان ابيا ، فلم يكن عنده سوى أربع عشرة امرأة ...

ولا بدّ أن يكون لي عودة إلى هذه الأمور ، حين أقارن في فصل آخر ، بين علاقات أنبياء التوراة الجنسية وبين حياة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يتعرض له من نقد وهجوم دائم مغرض ، في الوقت الذي ينسى فيه أعداء الإسلام ، أو يتناسون مدرسة الفسق والفجور التي وصمت أنبياء التوراة انهم أصحابها ومؤسسوها ، تلك المدرسة التي حولت اورشليم إلى مدينة عاهرة لا تشبع من الزنى والفجور .

« فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له ... وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ... وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكري أيام صباك ... » (٣)

ولا يصح أن ننهي الحديث عن جذور الفسق والدعارة في التوراة دون أن

---

(١) صموئيل الثاني صح ١٣ : ١–٢٠ .
(٢) الملوك الأول صح ١١ : ١–٤ .
(٣) حزقيال صح ١٦ : ١٥–٢٢ .

نقبس بعض ما جاء في سفر نشيد الانشاد . وأرجو أن لا تحسبوا انني أنقل من كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه ...)

« صوت حبيبتي . هو ذا آت ظافراً على الجبال قافزاً على التلال . حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الايائل . هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص من الشبابيك . أجاب حبيبي وقال لي قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي ... التينة أخرجت فجها وقعال الكروم تفيح رائحتها . قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي ... في الليل على فراش طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته . إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي . وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي . فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي . احلفكن يا بنات اورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء ... ها أنت جميلة يا حبيبتي ، ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك . شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد . أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل وليس فيهن عقيم . شفتاك كسلكة من القرمز . وفمك حلو . خدك كفلقة رمانة تحت نقابك . ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن . قد سبيت قلبي يا أختي العروس قد سبيت قلبي بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك . ما أحسن حبك يا أختي العروس كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الاطياب . شفتاك يا عروس تقطران شهداً . تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان . قد دخلت جنتي يا أختي العروس . قطفت مري مع طيبي . أكلت شهدي مع عسلي . شربت خمري مع لبني . كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء . أنا نائمة وقلبي مستيقظ ... افتحي لي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأن رأسي امتلأ من الطل وقصص من ندى الليل . قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه . قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما . حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائي . حبيبي أبيض وأحمر شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً . يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد . بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق . ساقاه عمودا رخام مؤسستان على

قاعدتين من ابريز . حلقه حلاوة وكله مشتهيات . ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم . دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدي صناع . سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن . ثدياك كخشفتين توأمي ظبية . عنقك كبرج عاج . ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات . قامتك هذة شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد . قلت اني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح . وحنكك كأجود الخمر أنا لحبيبي والي اشتياقه ... واقودك وادخل بك بيت أمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني بشماله تحت رأسي ويمينه تعانقني ... »[1]

(٦)

الظلم والطغيان

تعد التوراة اول كتاب في العالم يبيح قتل الابرياء واخذ الابناء بجريرة الآباء . وتقرر التوراة العقوبات المشتركة التي يذهب ضحيتها الاطفال والشيوخ والنساء ممن لا ذنب لهم . وتجيز كذلك قتل الحيوانات التي لا تعقل والتي لم يعاقبها تشريع من شرائع العالم . فها هو موسى التوراة يعاقب الذين اعترضوا عليه من بني قومه ، ويدعو ربه ليخسف بهم الارض مع نسائهم واطفالهم . « وخرج داثان وابيرام ووقفا في باب خيمتهما مع نسائهما وبنهما اطفالهما . فقال موسى بهذا تعلمون ان الرب قد ارسلني لاعمل كل هذه الاعمال وانها ليست من نفسي ... فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الارض التي تحتهم . وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الاموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية وانطبقت عليهم

---

(١) انظر سفر نشيد الانشاد صح ١-٩ .

الارض فبادوا من بين الجماعة ... » [١] .

وحين عثر قوم موسى على شخص يحتطب في يوم سبت ، لم يرشدوه الى دينهم الذي يحرم العمل يوم السبت وانما قتلا قتلوه ...

« ولما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت . فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا الى موسى وهارون وكل الجماعة . فوضعوه في المحرس لانه لم يعلن ماذا يفعل به . فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل . يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فاخرجه كل الجماعة الى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما امر الرب موسى . » [٢] .

ورب اليهود هو الذي شرع لهم اخذ البريء بجريرة المذنب .

« مفتقد اثم الآباء في الابناء وفي ابناء الابناء في الجيل الثالث والرابع . » [٣]

« يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرىء بل يجعل ذنب الآباء على الابناء الى الجيل الثالث والرابع ... » [٤] واولاد الزنى الابرياء ، منبوذون حتّى الجيل العاشر.

« لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب . حتّى الجيل العاشر لا يدخل منه احد في جماعة الرب . » [٥]

ويشوع بن نون خليفة موسى ، يقرر شرعة العقوبات المشتركة ، فلا يكتفي بعقاب السارق ، وانما يقتل معه جميع افراد اسرته .

« فاخذ يشوع عجان بن زارح (السارق) والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل معه وصعدوا بهم الى وادي يخمور . فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم . فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة واحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة . وقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة الى هذا اليوم . فرجع الرب عن حمو غضبه . » [٦] .

---

(١) عدد صح ١٦ : ٢٧–٣٣ .
(٢) عدد صح ١٥ : ٣٢–٣٦ .
(٣) خروج صح ٣٤ : ٧ .
(٤) عدد صح ١٤ : ١٨ .
(٥) تثنية صح ٢٣ : ٢ ، ٣ .
(٦) يشوع صح ٧ : ٢٤–٢٦ .

وكيف نلوم موسى ويشوع وهما لم يفعلا الا ما شرعه يعقوب الذي صرع ربه فسماه اسرائيل . ويعقوب التوراة هذا ظلم اخاه عيسو وسرق بكوريته وبركته ، ولم يبطل ابوهما اسحق خطة المكر والخديعة ، ولم يرفع الظلم بل حلله واجازه ....

« ... فقال انا ابنك بكرك عيسو . فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا . وقال فمن هو الذي اصطاد صيدا واتى به الي فاكلت من الكل قبل ان تجيء وباركته . نعم ويكون مباركا . فعندما سمع عيسو كلام ابيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا . وقال لابيه باركني انا ايضا ياابي . فقال قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك . فقال الا ان اسمه دعي يعقوب . فقد تعقبني الآن مرتين اخذ بكوريتي وهو ذا الآن قد اخذ بركتي . ثم قال ما بقيت لي بركة . فاجاب اسحق وقال لعيسو اني قد جعلته سيدا لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر . فماذا اصنع اليك يا ابني . فقال عيسو لابيه الك بركة واحدة يا ابي . باركني انا ايضا يا ابي . ورفع عيسو صوته وبكى . فاجاب اسحق ابوه وقال هوذا بلا دسم الارض يكون مسكنك . وبلا ندى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولاخيك تستعبد ... » (١)

ونحن المسلمين نؤمن بان فرعون كان ظالما ، بيد ان التوراة تعالج قصة موسى مع فرعون بشكل عجيب يجتذب عطف القارىء على فرعون وقومه . فالتوراة تسرف في السخط وتطبيق القصاص الجماعي على الشعب المظلوم الذي كان فرعون يستعبده كما يستعبد بني اسرائيل . وعدالة رب اليهود تبيح ان تصبح مياه المصريين دما وان يموت السمك في النهر وينتن ، وان يفيض النهر بالضفادع فتغطي ارض مصر ، وان يتحول تراب الارض الى بعوض ، وان يرسل الذباب ليهاجم بيوت المصريين ولا يدخل إلى بيوت بني اسرائيل وأن تنفق ماشية المصريين وخيلهم وحميرهم وجمالهم وبقرهم بالوباء ، وان يصاب المصريون بالدمامل والبثور ، وان يمطر الرب بردا مقرونا بنار آكلة تصيب الحقول والاعشاب والاشجار ، الا ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل ... وان يرسل الجراد على كل ارض مصر ليأكل الاخضر واليابس ، وان يلف مصر ظلام دامس ثلاثة ايام لا يبصر الاخ فيها اخاه ،

(١) تكوين صح ٢٧ : ٣٢ – ٤٠ .

وان يموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكره الجارية التي خلف الرحى وكل بكر بهيمة .

كل هذه العقوبات المشتركة يصبها رب بنو اسرائيل على الشعب المصري لان فرعون الطاغية تلكأ في السماح لبني اسرائيل في الخروج من ارض مصر الى الارض التي تفيض لبنا وعسلا .... ارض فلسطين . (١)

(٧)

الغش والسرقة والطمع

اباحت التوراة الغش والسرقة والطمع . ونسبت الى الانبياء تحليهم بهذ الصفات القبيحة التي يستنكرها المجتمع الانساني حتى عند الجماعات الهمجية البدائية التي لم تر نبيا واحدا منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا .

فهذه رفقة زوجة اسحق وام عيسو ويعقوب ، تحرض ابنها الاصغر يعقوب على سرقة بركة والده بالغش . والبركة كانت من حق الابن الاكبر عيسو .

« وكانت رفقة سامعة اذ تكلم اسحق مع عيسو ابنه . فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به . واما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة اني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا . ائتني بصيد واصنع لي اطعمة لآكل وابارككك امام الرب قبل وفاتي . فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما انا آمرك به . اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى . فاصنعهما اطعمة لابيك كما يحب . فتحضرها الى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته . فقال يعقوب لرفقة امه هوذا عيسو اخي رجل اشعر وانا رجل املس . ربما يجسني ابي فاكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة لا بركة . فقالت له امه لعنتك علي يا ابني . اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي . فذهب واخذ واحضر

---

(١) راجع سفر الخروج صح ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠، ١١، ١٢ .

لامه . فصنعت امه اطعمة كما كان ابوه يحب واخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر . والبست يديه وملاسة عنقه جلود جدي المعزى واعطت الاطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها ... »(١)

ونجحت الخطة المبنية على المكر والغش ، ونال يعقوب بركة ابيه اسحق باكلة جدي . ويشرب يعقوب بعدئذ من الكأس التي سقاها اخاه عيسو . فبعد ان اكمل خدمته المقررة مهرا لابنته الصغرى ، غشه لابان وزوجه ابنته الكبرى . ثم زوجه الصغرى على ان يخدمه سبع سنين اخرى .

« ثم قال يعقوب للابان اعطني امرأتي لان ايامي قد كملت . فادخل عليها . فجمع لابان جميع اهل المكان وصنع وليمة . وكان في المساء انه اخذ ليئة ابنته واتى بها اليه . فدخل عليها . وفي الصباح اذا هي ليئة . فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي . اليس براحيل خدمت عندك . فلماذا خدعتني . فقال لابان لا يفعل هذا في مكاننا ان تعطى الصغيرة قبل البكر . اكمل اسبوع هذه فنعطيك تلك ايضا بالخدمة التي تخدمني ايضا سبع سنين اخر. ففعل يعقوب هكذا. »(٢)

ثم ينتقم يعقوب من لابان ويغشه بطريقة عجيبة ماكرة ، تتخلص في ان لابان اراد ان يكرم يعقوب على اخلاصه ويبقيه في خدمته ، ويترك له تحديد الاجر . فطلب يعقوب ان تكون اجرته من الغنم كل شاة رقطاء وبلقاء وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين المعزى . فوافق لابان . ولنقرأ خطة يعقوب الجهنمية التي رسمها لغش سيده لابان ...

« فاخذ يعقوب بنفسه قضبانا خضرا من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطا بيضا كاشطا عن البياض الذي على القضبان . واوقف القضبان التي قشرها في الاجران في مساقي الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب . تجاه الغنم . لتتوحم عند مجيئها لتشرب. فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا . وافرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم الى المخطط وكل اسود بين غنم لابان . وجعل له قطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم

---

(١) تكوين صح ٢٧ : ٥ — ١٧ .
(٢) تكوين صح ٢٩ : ٢١ — ٢٨ .

لابان . وحدث كما توحمت الغنم القوية ان يعقوب وضع القضبان امام عيون الغنم في الاجران . لتتوحم بين القضبان . وحين استضعفت الغنم لم يضعها . فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب . فاتسع الرجل كثيرا جدا وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير ... » [1] .

وتعلم موسى التوراة من جده يعقوب فن الغش والسرقة ، كما رسمه له رب اليهود .

« واعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين . فيكون حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين [2]

« فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على اكتافهم . وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا . واعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى اعاروهم . فسلبوا المصريين ... » [3]

وعجبا لهذا الاله الذي يحل لشعبه المختار سرقة غيرهم من عباد الله ، وينظم لهم خطة نفعية utilitarianism كاملة يحققها على حساب الآخرين .

« لان الرب الهك آت بك الى ارض جيدة ارض انهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال . ارض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان . ارض زيتون زيت وعسل . ارض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شيء . ارض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا ... احترز من ان تنسى الرب الهك ... ولئلا تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة . بل اذكر الرب الهك انه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي اقسم لآبائك كما في هذا اليوم ... » [4]

---

(١) تكوين صح ٣٠ : ٣٧ – ٤٣ .
(٢) خروج صح ٣ : ٢١ – ٢٢ .
(٣) خروج صح ١٢ : ٣٤ – ٣٦ .
(٤) تثنية صح ٨ : ٧ – ١٨ .

ومن اسباب القوة التي اعطاها رب اليهود لشعبه المختار (لاصطناع الثروة) ابتزاز مال غير اليهود بالربا .

« لاتقرض اخاك بربا ربا فضة او ربا طعام او ربا شيء ما مما يقرض بربا . الاجنبي تقرض بربا ولكن لاخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد اليه يدك في الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها ... » (١)

وغريزة الطمع والجشع وعبادة المال ، وخاصة ما كان ذهبا وفضة ، اصيلة في نفوس اليهود منذ خلقهم الله . وثبتها في نفوسهم ونماها الههم المحب للذهب والفضة .

« وكلم الرب موسى قائلا . كلم بني اسرائيل ان يأخذوا لي تقدمة . من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي . وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم . ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وارجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة واطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة . فيصنعون لي مقدسا لاسكن في وسطهم . بحسب جميع ما انا اريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون . » (٢)

وبلغ من شدة حبهم للذهب انهم صنعوا منه عجلا وعبدوه ، فجاءت التوراة تفتري على هارون وتنسب اليه صنع عجل الذهب .

« فقال لهم هارون انزعوا اقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتوني بها . فنزع كل الشعب اقراط الذهب التي في آذانهم واتوا بها الى هارون . فاخذ ذلك من ايديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه الهتك التي اصعدتك من ارض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا امامه ... » (٣) .

وكهنة اليهود يحبون الذهب حبا جما . فحين استولى الفلسطينيون على تابوت رب اليهود ، ودعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين قائلين . ماذا نعمل

---

(١) تثنية صح ٢٣ : ١٩ — ٢٠ .
(٢) خروج صح ٢٥ : ١ — ٩ .
(٣) خروج صح ٣٢ : ٢ — ٥ .

بتابوت الرب اخبرونا بماذا نرسله الى مكانه . فقالوا اذا ارسلتم تابوت اله اسرائيل فلا ترسلوه فارغا بل ردوا له قربان اثم . حينئذ تشفون (من البواسير وهجوم الفيران) .. فقالوا وما هو قربان الاثم الذي نرده له . فقالوا حسب اعداد اقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب . لان الضربة واحدة عليكم جميعا وعلى اقطابكم . واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التي تفسد الارض واعطوا الله اسرائيل مجدا لعله يخفف يده عنكم وعن الهتكم وعن ارضكم ... » (١)

وبدا في ايام عزهم ومجدهم اثناء حكم الملك سليمان ، ان عنايتهم بالذهب تفوق كل وصف . حتى ان هيكلهم الذي ملوا بطون الكتب عن عظمته وقداسته ، جاء بناء عادياً لا ذوق في بنائه ولا جمال في هندسته ولا فن في تصميمه برغم اكداس الذهب التي استخدمت في ذلك البناء

« وكان وزن الذهب الذي اتى سليمان في سنة واحدة ست مئة وستا وستين وزنة ذهب وعمل الملك سليمان مئتي ترس من ذهب مطرق . خص الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب وثلاث مئة مجن من ذهب مطرق . خص المجن ثلاث امناء من الذهب ... وعمل الملك كرسيا عظيما من عاج وغشاه بذهب ابريز ... » (٢)

(٨)

الرق والعبودية

شرعت توراة اليهود انظمة الرق والعبودية قبل ان تعرف في التاريخ القديم والحديث . والشعب المختار في نظر التوراة سيد وبقية شعوب الارض من العبيد الذين يخدمون السادة اليهود الى الابد ... ومنذ ايام نوح احلت التوراة

(١) صموئيل الأول صح ٦ : ١ — ٦ .

(٢) الملوك الأول صح ١٠ : ١٤ — ١٨ .

الرق ومهدت للشعب المختار ان يستعبد شعب كنعان لسبب تافه وحكم ظالم عجيب.

« وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما . وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه . فابصر حام ابو كنعان عورة ابيه واخبر اخويه خارجا . فاخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة ابيهما ووجههما الى الوراء . فلم يبصرا عورة ابيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا له . ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لها . »[1]

وتصور التوراة يوسفا عليه السلام مستغلا ماهرا لفقر الشعب المصري ، فيشتّريه وا رضه لحساب فرعون ، بعد ان اشترى منهم الفضة والمواشي بالخبز الذي يدفع عنهم الموت .

« ولما تمت تلك السنة اتوا اليه في السنة الثانية وقالوا له لا نخفي عن سيدي انه اذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي الا اجسادنا وارضنا . لماذا نموت امام عينيك نحن وارضنا جميعا . اشترنا وارضنا بالخبز فنصير نحن وارضنا عبيدا لفرعون ... فاشترى يوسف كل ارض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون. واما الشعب فنقلهم الى المدن من اقصى حد مصر الى اقصاه . فقال يوسف للشعب اني قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون. »[2]

وداود التوراة كان طاغيا مستبدا استعبد اليهود وغير اليهود . فقد كان خدامه الذين يتناوبون على خدمته اربعة وعشرين الفا شهريا . واحصيت عددهم في السنة فكانوا مائتين وثمان وثمانين الفا من افراد الشعب الذين كانوا ينالون شرف الخدمة عند ابن الرب داود .[3] واستمرأ الملك سليمان انظمة العبودية التي خلفها ابوه داود وزاد عليها . واستغل سليمان ابناء الشعب الفلسطيني الذين نجوا من الذبح والابادة وحولهم الى عبيد يبنون له الهيكل . « جميع الشعب

---

(١) تكوين صح ٩ : ٢٠ — ٢٧ .

(٢) تكوين صح ٤٧ : ١٨ — ٢٢ .

(٣) انظر صح ٢٧ من سفر أخبار الأيام الأول .

الباقين من الاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بني اسرائيل . ابناؤهم الذين بقوا بعدهم في الارض الذين لم يقدر بنو اسرائيل ان يحرموهم (يقتلوهم) جعل عليهم سليمان تسخير عبيد الى هذا اليوم . واما بنو اسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيدا لأنهم رجال القتال وخدامه وامراؤه وثوالثه ورؤساء مركباته وفرسانه . » [1]

« وامر سليمان بنباء بيت لاسم الرب وبيت لملكه . واحصى سليمان سبعين الف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحات في الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة . »[2]

ومجموع اولئك العبيد من الفلسطينيين مئة وثلاثة وخمسون الفا وست مئة.. وكيف نلوم داود وسليمان اذا كان رب التوراة ، رجل الحرب ، رب الجنود ، اله اسرائيل هو الذي احل الاستعباد وامر به .

« لأنهم عبيدي (بنو اسرائيل) الذين اخرجتهم من ارض مصر لا يباعون بيع العبيد . لا تتسلط عليه بعنف . بل اخش الهك . واما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيدا واماء . وايضا من ابناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في ارضكم فيكونون ملكا لكم . وتستملكونهم لابنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم الى الدهر . واما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط انسان على اخيه بعنف ... » [3]

وتدعو التوراة الى العبودية الابدية . « ولكن اذا قال لك لا اخرج من عندك لانه قد احبك وبيتك اذ كان له خير عندك . فخذ المخرز واجعله في اذنه وفي الباب فيكون لك عبدا مؤبدا . وهكذا تفعل لامتك ايضا . » [4]

ولا تكتفي التوراة بان يستعبد بنو اسرائيل شعب فلسطين ، بل تسوق كل الشعوب والامم وتجعلهم عبيدا لاسرائيل .

« هكذا قال السيد الرب ها اني ارفع الى الامم يدي والى الشعوب اقيم

---

(١) الملوك الأول صح ٩ : ٢٠ – ٢٢ .
(٢) أخبار الأيام الثاني صح ٢ : ١ – ٢ .
(٣) لاويون صح ٢٥ : ٤٢ – ٤٦ .
(٤) تثنية صح ١٥ : ١٦ – ١٧ .

رايتي . فيأتون باولادك في الاحضان وبناتك على الاكتاف يحملن . ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك . وبالوجوه الى الارض يسجدون لك ويلمسون غبار رجليك . » [١]

« وبنو الغريب يبنون اسوارك وملوكهم يخدمونك . وتنفتح ابوابك دائما . نهارا وليلا لا تغلق ليؤتى اليك بغنى الامم وتقاد ملوكهم . لان الامة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخرابا تخرب الامم . » [٢]

(٩)

الحقد والغدر والمكر

ما اكثر دروس الحقد والغدر والمكر التي تسردها التوراة ناسبة اغلبها الى انبياء اليهود . فقصة ابناء يعقوب مع شكيم الذي تزوج باختهم ، تعتبر الدرس الاول من هذه الدروس اللا أخلاقية . وهم بعد ان مكروا وخدعوا آل شكيم واقنعوهم بالاختتان لتتم المصاهرة ويصبح الشعبان شعبا واحدا ، انقلبوا عليهم بعد اتمام عملية الاختتان وابادوهم .

« فاجاب بنو يعقوب شكيم وحمور اباه بمكر وتكلموا لانه كان قد نجس دينة اختهم . فقالوا لهما لا نستطيع ان نفعل هذا الامر ان نعطي اختنا لرجل اغلف . غير اننا بهذا نواتيكم ان صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا ... فحسن كلامهم في عيني حمور وعيني شكيم بن حمور .ولم يتأخر الغلام ان يفعل الامر . لانه كان مسرورا بابنة يعقوب . وكان اكرم جميع بيت ابيه . فأتى حمور وشكيم ابنه الى باب مدينتهما وكلما اهل مدينتهما قائلين . هؤلاء القوم مسالمون لنا . فليسكنوا في الارض ويتجروا فيها . وهوذا الارض واسعة الطرفين

(١) اشعياء صح ٤٩ : ٢٢ — ٢٣ .

(٢) اشعياء صح ٦٠ : ١٠ — ١٢ .

امامهم . نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا ... فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة . واختتن كل ذكر . فحدث في اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ان ابني يعقوب شمعون ولاوي اخوي دينةاخذ كل واحد سيفه واتيا على المدينة بامن وقتلا كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف واخذا دينة من بيت شكيم وخرجا . ثم اتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل . وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل اطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت . » (١)

وما لبث ابناء يعقوب ، حينما اكتشفوا ان اباهم يؤثر يوسف بمحبته ، ان تآمروا عليه ونفسوا عن الحقد الذي كان يأكل صدورهم ، ونفذوا جريمة ماكرة غادرة ، بان باعوا اخاهم بعشرين من الفضة .

« فقال يهوذا لاخوته ما الفائدة ان نقتل اخانا ونخفي دمه . تعالوا فنبيعه للاسماعيليين ولا تكن ايدينا عليه لانه اخونا ولحمنا . فسمع له اخوته .واجتاز رجال مديانيون تجار . فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة ... » (٢)

وسرت هذه الاخلاق الغادرة الحاقدة الماكرة الى بني اسرائيل جميعهم . ومارسها انبياؤهم وملوكهم وكهنتهم وقادة الجند منهم . وتصور التوراة داود اعظم انبيائهم وملوكهم ، حقودا غادرا ، غدر بالشعب الفلسطيني الذي حماه واكرمه يوم كان شريدا طريدا امام خصمه شاؤل . فبعد مقتل شاؤل . تسلم داود الملك ، وكشف عن مكره وغدره ، بان بطش بالفلسطينيين الذين ظنوا ان داود لا بد ان يرد الجميل وخاصة انهم عرضوا عليه الولاء وفرحوا بتسلمه الملك بعد ان كان لاجئا عندهم .

« وسمع الفلسطينيون انهم قد مسحوا داود ملكا على اسرائيل فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود . ولما سمع داود . نزل الى الحصن . وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائيين . وسأل داود من الرب قائلا أأصعد الى الفلسطينيين اتدفعهم ليدي . فقال الرب لداود اصعد لاني دفعا ادفع

(١) تكوين صح ٣٤ : ١٣ – ٢٩ .

(٢) تكوين صح ٣٧ : ٢٦ – ٢٨ .

الفلسطينيين ليدك . فجاء داود الى بعل فراصيم وضربهم داود هناك ... »[1]
وفي كل عمليات الغدر تستصدر التوراة اوامر الهية تبيح الغدر وتبرره وتأمر به . فداود التوراة لم يقدم على الغدر باللذين ساعدوه وحموه الا بعد ان استشار رب اليهود فأمره بضرب الفلسطينيين .... !

ولم ينس داود قبل ان يموت ، ان يوصي ابنه سليمان بقتل عدد من الرؤساء والقادة غدرا . « وانت تعلم ما فعل بي يوآب ابن صروية ... فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية ... وهوذا معك شمعي بن جيرا ... فحلفت له بالرب قائلاً اني لا اميتك بالسيف والان فلا تبرره لانك انت رجل حكيم فافعل ما تفعل به واحدر شيبته بالدم الى الهاوية ... »[2]

ولم يخالف سليمان وصية ابيه داود ، فاستهل حكمه بسفك الدماء ، وقتل غدرا ادونيا اخاه . ثم قتل يوآب القائد رغم انه لجأ الى خيمة الرب ليأمن على حياته ، والحق شمعي بحسب وصية ابيه داود .[3]

اما حقد رب اليهود على الامم غير اليهودية فهو عنيف لا يقاوم .

« اقتربوا ايها الامم لتسمعوا وايتها الشعوب اصغوا . لتسمع الارض وملؤها . المسكونة وكل نتائجها . لان الرب سخطا على كل الامم وحموا على كل جيشهم . قد حرمهم دفعهم الى الذبح . فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم ... »[4]

(١٠)

الغاية تبرر الوسيلة

اباحت توراة اليهود ان يصل الانسان الى غايته باية وسيلة حتى لو كانت

(١) صموئيل الثاني صح ٥ : ١٧ — ٢٠ .
(٢) الملوك الأول صح ٢ : ٥ — ٩ .
(٣) انظر صح ٢ من الملوك الأول .
(٤) اشعياء صح ٣٤ : ١ — ٣ .

تلك الوسيلة منافية للاخلاق . وميكافللي الذي يضرب به المثل على تطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، مظلوم حقا ، لان هذا المبدأ موجود في توراة اليهود التي تثبت ان انبياء التوراة قد طبقوا هذا المبدأ قبل آلاف السنين . فها هو ابراهيم عليه السلام تصوره التوراة انانيا غايته ان يعيش ولو على حساب كرامته . وتنسب اليه انه فرط في عرضه خوفا على حياته .

« وحدث جوع في الارض . فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك . لان الجوع في الارض كان شديدا . وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امرأته اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر . فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك . قولي انك اختي . ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك. فحدث لما دخل ابراهيم الى مصر ان المصريين رأوا المرأة انها حسنة جدا . ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى ابرام خيرا بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال ... » [١]

وانتقل ابراهيم من هناك الى ارض الجنوب وسكن بين قاوش وشور وتغرب في جرار. وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي اخته . فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة ... واخذ ابيمالك غنما وبقرا وعبيدا واماء واعطاها لابراهيم . ورد اليه سارة امرأته ... » [٢]

وكذلك فعل اسحق بن ابراهيم يوم امره رب اليهود ان يتغرب في ارض جرار .

« وسأله اهل المكان عن امرأته . فقال هي اختي . لانه خاف ان يقول امرأتي لعل اهل المكان يقتلونني من اجل رفقة لانها كانت حسنة المنظر . وحدث اذ طالت له الايام هناك ان ابيمالك ملك الفلسطينيين اشرف من الكوة ونظر واذا اسحق يلاعب رفقة امرأته . فدعا ابيمالك اسحق وقال انما هي امرأتك . فكيف قلت هي اختي . فقال له اسحق لاني قلت لعلي

(١) تكوين صح ١٢ : ١٠ — ١٦ .
(٢) تكوين صح ٢٠ : ١ — ١٤ .

اموت بسببها ... » [1]

وما دامت الغاية في نظر انبياء التوراة تبرر الوسيلة فلماذا لا يطبقها الملوك.؟ فها هو اخاب ملك السامرة ، يعجبه كرم جاره نابوت ، فيحاول شراءه . الا ان نابوت لا يبيع الكرم الذي ورثه عن ابيه . فيكتئب الملك اخاب وتهرع زوجه ايزابل الى نجدته . وترسم الخطة الغادرة الماكرة التي توصل الملك الى غايته . وتدبر ايزابل الخطة وتستدعي رجلين ليشهدا ان نابوت قد جدف على الله وعلى الملك فيرجمه كهنة بني اسرائيل ليخلو للملك الجو فيستولي على كرم نابوت ...

« ففعل رجال مدينته الشيوخ والاشراف الساكنون في مدينته كما ارسلت اليهم ايزابل كما هو مكتوب في الرسائل التي ارسلتها اليهم . فنادوا بصوم واجلسوا نابوت في رأس الشعب . واتى رجلان من بني بليعام وجلسا تجاهه وشهد رجلا بليعام على نابوت امام الشعب قائلين قد جدف نابوت على الله وعلى الملك . فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات وارسلوا الى ايزابيل يقولون قد رجم نابوت ومات. ولما سمعت ايزابل ان نابوت قد رجم ومات قالت ايزابل لاخاب قم رش كرم نابوت اليزرعيلي الذي ابى ان يعطيك اياه بفضة لان نابوت ليس حيا بل هو ميت . ولما سمع اخاب ان نابوت قد مات قام اخاب لينزل الى كرم نابوت اليزرعلي ليرثه ... » [2]

وشرعت توراة اليهود قواعد التجسس وجعلتها ركنا اساسيا في حياة اليهود ولعل كلمة تجسس لم ترد على لسان احد في الدنيا قبل ورودها على لسان رب اليهود .

« ثم كلم الرب موسى قائلا . ارسل رجالا ليتجسسوا ارض كنعان التي انا معطيها لبني اسرائيل . رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسلون . كل واحد رئيس فيهم . فارسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كلهم رجال هم رؤساء بني اسرائيل . » [3]

---

(١) تكوين صح ٢٦ : ٧ – ٩ .
(٢) الملوك الاول صح ٢١ : ١١ – ١٦ .
(٣) عدد صح ١٣ : ١ – ٣ .

واستهل يشوع زحفه على اريحا بان ارسل جاسوسين استعانا بالزانية راحاب التي اخفتهما عن عيون ملك اريحا ورجاله . فقدر لها يشوع هذا الصنيع وابقى على حياتها من دون شعب اريحا الذي افناه يشوع وجيشه ...

« وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الارض ادخلا بيت المرأة الزانية واخرجا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها . فدخل الغلامان الجاسوسان واخرجا راحاب واباها وامها واخوتها وكل ما لها واخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة اسرائيل.واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها[1]

ثم طبق ملوك اسرائيل وانبياؤهم وسيلة التجسس على نطاق واسع ، حتى ان الملك داود قد استخدم يوناثان بن شاول جاسوسا على ابيه . كما بث ابشالوم الجواسيس من جميع اسباط اسرائيل . [2]

(١١)

الجبن والنفاق

سجلت توراة اليهود على الشعب المختار جبنا اصيلا ونفاقا فطريا . فحين سحبهم موسى من مصر ورأوا المصريين من خلفهم دب الرعب في نفوسهم . « ففزعوا جدا وصرخ بنوا اسرائيل الى الرب . وقالوا لموسى هل لانه ليست قبور في مصر اخذتنا لنموت في البرية . اليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به من مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من ان نموت في البرية . فقال موسى لا تخافوا ... الرب يقاتل عنكم وانتم تصمتون . » [3]

---

(١) يشوع صح ٦ : ٢١ — ٢٤ .

(٢) صموئيل الثاني صح ١٥ : ١٠ .

(٣) خروج صح ١٤ : ١٠ — ١٤ .

وحين عاد الجواسيس الذين بعث بهم موسى للتجسس ومعرفة احوال البلاد ، اشاعوا ان الارض قاحلة تأكل ساكنيها ، وان شعبها من الجبابرة طوال القامة .

« فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر . فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر » [١]

وتعترف التوراة بأن عدد الجيش الزاحف مع موسى ويشوع كان كبيراً خيالياً . فقد ورد في الاصحاح الأول من سفر العدد ان عدد الخارجين للحرب من سن عشرين فصاعداً قد بلغ ست مئة ألف وثلثة آلاف وخمس مئة وخمسون محارباً . [٢] فإذا ما علمنا بأن شعب فلسطين وسكان اريحا بوجه خاص ، كانوا قلة غافلة غير مستعدة لهذا الزحف المفاجئ ، أدركنا حالة الجبن التي كانت مسيطرة على نفوس اليهود .

ولا شك أن قارئ التوراة يعجب حين يجد ذكر رب الجنود الذي هو رب اليهود ، يرد في أغلب صفحات التوراة محارباً جباراً نيابة عن شعبه المختار ، مما يساعد على ادراك حقيقة جبن اليهود ، وخاصة من خلال جميع أعمالهم الحربية التي هي بحق رمز القسوة والوحشية والهمجية .

(١٢)
الجحود ونكران الجميل

تحمل التوراة في ثناياها طبيعة اليهود الجاحدة الناكرة الجميل والمعروف . وتكشف قصة يوسف في مصر ، التي توردها التوراة ، عن لؤم اليهود

(١) عدد صح ١٤ : ١ — ٤ .
(٢) عدد صح ١ : ٢٠ — ٥٠ .

وجحودهم ونكرانهم الجميل . وتبدأ القصة من أيام تسلط يوسف على أرض مصر وشعبها ، بسبب نفوذه عند فرعون ، وما كان من مجاعة عامة في أرض كنعان ، أدت إلى أن يهب يوسف لمساعدة أبيه واخوانه وانقاذهم من المجاعة وتزويدهم بالمال والطعام والعجلات والدواب التي تنقلهم إلى مصر .

« فقام يعقوب من بئر السبع . وحمل بنو اسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله . وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . »[1]

وحين قابلهم يوسف اتفق معهم على أن يذكروا أمام فرعون انهم رعاة غنم وأهل مواشي ، ليسكنهم أرض جاسان المنعزلة. وتلك لعمري خطة أملتها أخلاق اليهود المستمدة من الغرور والتعالي والانعزال وكره الناس كافة . وكان فرعون شهماً كريماً فوافق على طلبهم .

« فكلم فرعون يوسف قائلاً أبوك واخوتك جاءوا اليك . أرض مصر قدامك . في أفضل الأرض اسكن أباك واخوتك . ليسكنوا في أرض جاسان . وان علمت انه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشي على التي لي .. فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر من أفضل الأرض في أرض رعمسيس كما أمر فرعون وعال يوسف أباه واخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد . »[2]

وتكاثر بنو اسرائيل في مصر ، لأنهم كانوا ينعمون بخيرات البلاد ، ويعيشون بهدوء في ظلال سطوة يوسف ومجده حتى بعد مماته . ولم يكن عبثاً أن يشعر فرعون جديد بالقلق لكثرة بني اسرائيل وتجمعهم وانكماشهم على أنفسهم .

« ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف . فقال لشعبه هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب انهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض »[3]

---

(١) تكوين صح ٤٦ : ٥ — ٦ .

(٢) تكوين صح ٤٧ : ٥ — ١١ .

(٣) خروج صح ١ : ٨ — ١٠ .

ثم تأتي قصة موسى مع فرعون مصر ، فتوردها التوراة بأسلوب ينم عن جحود صارخ ، يجعل القارئ عطوفاً على فرعون الطاغي الباغي ، لا على موسى وبني اسرائيل المضطهدين ...

ومن لا يعطف على فرعون التوراة ، فانه لا شك منجذب بأحاسيسه وعواطفه إلى ذلك الشعب البريء الكريم المضياف ، الذي صب عليه رب اليهود أو اله التوراة ، جام غضبه وسخطه ، ورماه بالأوبئة والدواهي ، وذلكم هو الشعب المصري .

ورب اليهود الذي ضرب المصريين اشباعاً لغريزة اليهود اللئيمة الجاحدة ، هو رب الجنود الذي أوحى إلى داود أن يغدر بالفلسطينيين الذين آووه وحموه في أيام محنته ، وحين أصبح ملكاً تنكر لهم وجحد فضلهم وأنكر جميلهم ، ثم فتك بهم واستعبدهم .[1]

(١٣)
الاستغلال والسيطرة

لا يكاد سفر من أسفار التوراة ولا اصحاح من اصحاحاتها يخلو من بيان يجلو غريزة الاستغلال وحب السيطرة ، الكامنة في نفوس اليهود منذ أيامهم الأولى ، حتى قبل أن تنهال عليهم الوعود الالهية من رب الجنود يهوه ، تلك الوعود التي ضاعفت من تلك الغريزة ونمتها لتغدو شهوة مسعورة لا يمكن معالجتها أو كبح جماحها .

ويبدو لنا من قراءة التوراة أنه بعد أن استقر حكم اليهود في الجزء الجبلي من فلسطين — اورشليم والسامرة — على أنقاض شعب فلسطين الشجاع ، أعلن الملك داود ان رب اليهود أمره ببناء بيت لسكناه . وان الرب قد اختار اورشليم محلاً لسكناه لأنه اشتهاها ...

(١) أخبار الملوك الأول صح ١٤ : ٨ – ١٠ .

وأعلن داود أن يهوه قدر انشغاله بالحروب الكثيرة ، فنقل مسؤولية بناء بيت الرب لابنه سليمان . وحين تولى سليمان الملك شرع في تنفيذ وصية أبيه داود المبنية على أوامر رب الجنود . وبدأت عملية بناء هيكل سليمان التي تعد من أشد عمليات التاريخ ظلماً واستغلالاً وتسلطاً .

« وسخر الملك سليمان من جميع اسرائيل وكانت السخر ثلاثين الف رجل . فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة . يكونون شهراً في لبنان وشهرين في بيوتهم ... » (١)

« وعدّ سليمان جميع الرجال الأجنبيين الذين في أرض اسرائيل بعد الله الذي عدهم اياه داود أبوه فوجدوا مئة وثلاثة وخمسين الفاً وست مئة . فجعل منهم سبعين الف حمال وثمانين الف قطاع على الجبل وثلاثة آلاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب . » (٢)

ولا يعجبن القارئ حين يعلم أن هذا الهيكل الذي كان نذير شؤم وبلاء على اليهود بوجه خاص وعلى الإنسانية بوجه عام ، قد بناه مهندسون لبنانيون وعمال فلسطينيون ، وجلبت مواد بنائه وبخاصة خشب الأرز من غابات لبنان ، وعماله الفنيون في صناعة الذهب والفضة من لبنان كذلك . ولم يكن دور سليمان وبني اسرائيل فيه سوى استخدامه بعد تمامه مكاناً للعبادة ذات الطقوس العجيبة التي تتمثل في حرق شحوم الذبائح لتصعد روائحها ليلاً ونهاراً، إشباعاً لشهوة يهوه ورغبته، في استنشاق رائحة المحروقات الحيوانية .

وتستمر قصة هيكل سليمان وتسخير الشعوب من أجل إعادة بنائه . ففي عهد كورش ملك الفرس ، سمح بعودة بني اسرائيل من السبي وسخر لهم موارد الدولة يستخدمونها في إعادة بناء الهيكل . « وقد صدر مني أمر بما تعملون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله هذا . فمن مال الملك من جزية عبر النهر تعط النفقة عاجلاً لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا . وما يحتاجون اليه من الثيران والكباش والخراف محرقة لاله السماء وحنطة وملح وخمر وزيت حسب قول الكهنة الذين في أورشليم لتعط لهم يوماً فيوماً حتى لا يهدأوا . وقد

(١) أخبار الملوك الأول صح ١٤ : ٨ – ١٠ .

(٢) أخبار الأيام الثاني صح ٢ : ١٧ – ١٨ .

صدر مني أمر ان كل إنسان يغير هذا الكلام تسحب خشبة من بيته ويعلق مصلوباً عليها ويجعل بيته مزبلة من أجل هذا .

وفي عهد الملك ارتحشستا ظهر الكاهن عزرا الذي استطاع أن يتقرب إلى الملك ويحصل منه على رسالة من أعجب رسائل الانتهازية والمكر والاستغلال . والرسالة عبارة عن أوامر ملكية إلى الحكّام والولاة الذين يمر بهم عزرا في طريقه من بابل إلى أورشليم ، ليضعوا تحت تصرفه موارد البلاد وثروتها .

« قد صدر مني أمر ان كل من أراد في ملكي من شعب اسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى اورشليم معك فليرجع . من أجل انك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة لأجل السؤال عن يهوذا واورشليم حسب شريعة الهك التي بيدك . ولحمل فضة وذهب تبرع به الملك ومشيروه لاله اسرائيل الذي في اورشليم مسكنه . وكل الفضة والذهب الذي تجد في بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت الههم في اورشليم . لكي تشتري عاجلاً بهذه الفضة ثيراناً وكباشاً وخرافاً وتقدماتها وسكائبها وتقربها على المذبح الذي في بيت الهكم الذي في اورشليم . ومهما حسن عندك وعند اخوتك ان تعملوه بباقي الفضة والذهب فحسب ارادة الهكم تعملونه . والانية التي تعطى لك لأجل خدمة بيت الهك فسلمها أمام اله اورشليم . وباقي احتياج بيت الهك الذي يتفق لك أن تعطيه فأعطه من بيت خزائن الملك . ومني أنا ارتحشستا الملك صدر أمر إلى كل الخزنة الذين في عبر النهر ان كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء فليعمل بسرعة . إلى مئة وزنة من الفضة ومئة كر من الحنطة ومئة بث من الخمر ومئة بث من الزيت والملح من دون تقييد...ونعلمكم ان جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيم وخدام بيت الله هذا لا يؤذن ان يلقى عليهم جزية أو خراج أو خفارة ... » (١)

وتكررت عملية الاستغلال حين ظهر الكاهن نحميا ، وخدع الملك وناح أمامه حزناً على بني اسرائيل الذين ينتظرون نجدته في اورشليم .

« وقلت للملك ان حسن عند الملك فلتعط لي رسائل إلى ولاة عبر النهر

---

(١) عزرا صح ٧ : ١٣ — ٢٤ .

لكي يجيزوني حتى أصل إلى يهوذا . ورسالة إلى آساف حارس فردون الملك لكي يعطيني أخشاباً لسقف أبواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي أدخل اليه . فأعطاني الملك حسب يد الهي الصالحة علي . » [1]

وكان لنحميا ما أراد وسخرت أموال البلاد في خدمة اليهود وأعاد ترميم الهيكل وأصعد المحرقات ارضاء ارب اليهود الساكن في اورشليم .

واستغلال اليهود لغيرهم من شعوب الأرض ، شيء عادي يعتبرونه حقاً قرره لهم اله اسرائيل .

« ارفعي عينيك حواليك وانظري (يا اورشليم) . قد اجتمعوا كلهم . جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد . وتحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول اليك ثروة البحر ويأتي اليك غنى الأمم ... وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوك ... عوضاً عن النحاس آتي بالذهب وعوضاً عن الحديد آتي بالفضة وعوضاً عن الخشب بالنحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد ... » [2]

« ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك. انظر . قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب . وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض ... » [3]

(١٤)

الكـــذب

الكذب في توراة اليهود من الأمور الشائعة التي يصادفها القارئ في أغلب صفحات العهد القديم البالغة ١٣٥٨ صفحة . ويأخذ الكذب عند يهود التوراة

(١) نحميا صح ٢ : ٧ — ٨ .
(٢) اشعياء صح ٦٠ : ٤ — ١٧ .
(٣) ارميا صح ١ : ٩ — ١٠ .

أشكالاً مختلفة تصور كلها نفسية اليهود المريضة وخيالهم السقيم وعقولهم السخيفة التي تؤمن بالخرافات والسحر والشعوذة . ولقد سبق أن عرضنا في أول هذا الفصل ، للوعود الكاذبة الكثيرة التي لفقها حاخامات اليهود وحشوا بها توراتهم . فلنعرض اذن لأشكال أخرى من الكذب المفضوح الذي لا ينطلي على عقل طفل بله إنسان عاقل . وها هي التوراة تكذب على لسان يشوع :

« حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الاموريين امام بني اسرائيل وقال أمام عيون اسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه . أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان . لأن الرب حارب عن اسرائيل . »(1)

وتكذب التوراة كثيراً في قصة شمشون الذي يمسك في آن واحد بثلاث مئة ثعلب ويربطها بأذنابها بمشاعل تحرق زروع الفلسطينيين .

« وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط . ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الاكداس والزرع وكروم الزيتون »(2)

وقوته الخارقة حين يقتل ألف رجل فلسطيني بفك حمار ...

« ووجد لحي حمار طرياً فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل . فقال شمشون بلحي حمار كومة كومتين . بلحي حمار قتلت ألف رجل ... » (3)

« ثم خاتمة شمشون التوراة ، حين يمسك بيديه ، العمودين المتوسطين في المعبد ، وينحني عليهما ليسقط المعبد على رؤوس آلاف الفلسطينيين ... »(4)

وكذب التوراة في مسائل الحرب كثير جداً . « وابتدأ ابيا في الحرب بجيش من جبابرة القتال أربع مئة الف رجل مختار ويربعام اصطف لمحاربته

(1) يشوع صح ١٠ : ١٢ — ١٤ .
(2) قضاة صح ١٥ : ٤ — ٥ .
(3) قضاة صح ١٥ : ١٥ — ١٦ .
(4) قضاة صح ١٦ : ٢٧ — ٣٠ .

بثمان مئة الف رجل مختار جبابرة بأس ... فخرج اليهم زارح الكوشي بجيش ألف ألف وبمركبات ثلاث مئة ... »[1]

وهذه الأرقام التي تصل إلى ثمان مئة ألف وتصل إلى ألف ألف (مليون)، خيالية كاذبة . لأن وسائل التعبئة والسوق في حروب ذلك الزمن كانت عاجزة عن اعداد مثل تلك الجيوش الضخمة .

وداود التوراة كذوب لا يخفي كذبه حتى في مزاميره الدينية :

« عند خروج اسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم كان يهوذا مقدسه . واسرائيل محل سلطانه . البحر رآه فهرب . الاردن رجع إلى خلف . الجبال قفزت مثل الكباش والاكام مثل حملان الغنم . مالك أيها البحر قد هربت وما لك أيها الاردن قد رجعت إلى خلف . وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش وايتها التلال مثل حملان الغنم . أيتها الأرض تزلزلي من قدام الرب من قدام اله يعقوب المحول الصخرة إلى غدران مياه الصوان إلى ينابيع مياه . »[2]

وحين تصور التوراة داود كاذباً ، فانها لا تأتي بجديد حين تكذب في وصف ضباطه الابطال ...

« هذه أسماء الأبطال الذين لداود ، يوشيب بشبت التحكموني رئيس الثلاثة . هو هز رمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة .... وابيشاي اخو يوآب ابن صروية هو رئيس ثلاثة . هذا هز رمحه على ثلاث مئة قتلهم فكان له اسم بين الثلاثة ... »[3]

---

(١) أخبار الأيام الثاني صح ١٣ : ٣ ، وصح ١٤ : ٩ .
(٢) مزمور ١٤٠ : ١ — ٨ .
(٣) صموئيل الثاني صح ٢٣ : ٨ — ١٨ .

الفصل الثاني

الجذور في التلمود

رأينا في الفصل الأول كيف تجعل توراة اليهود ربهم يهوه خادماً مطيعاً ، ينفذ رغائب الشعب المدلل المختار . وهي رغائب لا حد لها . فهو بعد أن اختارهم شعباً خاصاً به ، حقق لهم المعجزات الكثيرة :

هان على نفسه وسمح لأحد أجدادهم يعقوب (اسرائيل) أن يصرعه ...

ضرب مصر بالأوبئة ، وملأ أرضها بالضفادع والذباب والجراد ...

أهلك كل بكر من أبكار المصريين من بكر فرعون إلى بكر الخادمة البريئة ...

شق لهم البحر ليمروا بسلام ...

أهلك الجيش المصري من خلفهم ...

أوقف الشمس في فلكها من أجلهم ...

حماهم في التيه أربعين سنة ، فلم تبلَ لهم ثياب أو يعلق الغبار على أقدامهم ...

أنزل عليهم المن والسلوى ...

أرسل أمامهم ملاكاً دليلاً ومرشداً ...

وضع لهم الخطط وحارب عنهم ...

أباح لهم إبادة الشعب الفلسطيني ...
منحهم أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً ...
أحلّ لهم استعباد الشعوب وتسخيرها لخدمتهم ...
أوجد من بينهم أبطالاً مثل شمشون الذي قتل ثلاثة آلاف فلسطيني بفك حمار وآخر قتل ثمان مئة فلسطيني بهزة رمح واحدة ...
وعدهم بملكوت العالم ، وجعل لهم فلسطين قاعدة ذلك الملك ...
أحل لهم عمل المنكرات واتباع القسوة والهمجية ...
كفّر عن ذنوبهم في المنفى ...
أحل لهم دم غير اليهود وماله وعرضه ...
أحل لهم تحقير أنبيائهم واهانتهم وقتل بعضهم ...

وقد وصف الإمام البوصيري حال يهود التوراة بلاميته الشهيرة التي جاء فيها :[1]

والعابدون العجل قد فتنوا به   ودّوا اتخاذ المرسلين عجولا
فإذا أتت بشرى اليهم كذبوا   بهوى النفوس وقتلوا تقتيلا
أبناء حيات ألم تر أنهمْ   يجدون ترياق السموم قتولا
أخلوا كتاب الله من أحكامه   غدراً وكان العامر المأهولا
جعلوا الحلال به حراماً والهدى   غيا وموصول التقى مفصولا
كتموا العبادة والمعاد وما رعوا   للحق تعجيلاً ولا تأجيلا
ودعاهمو ما ضيعوا من فضله   ان يملئوه من الكلام فضولا
وكفاهم أن مثلوا معبودهم   سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له في قبة   اذ ازمعوا نحو الشآم رحيلا
وبأن اسرائيل صارع ربّه   فرمى به شكراً لاسرائيلا
وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم   في الحرب بوقات لهم وطبولا
وبأنه من أجل آدم وابنه   ضرب اليدين ندامة وذهولا
وبأن رب العالمين بدا له   في خلق آدم يا له تجهيلا
وبدا له في قوم نوح وانثنى   أسفاً يعض بنانه مذهولا

---

١ لامية البوصيري ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٥٣ ، للإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري .

وبأن إبراهيم حاول أكله خبزاً ورام لرجله تغسيلا
وبأن أموال الطوائف حللت لهمو رباً وخيانة وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا لوط فكيف بقذفهم روبيلا
وعزوا إلى يعقوب من أولاده ذكراً من الفعل القبيح مهولا
ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكاً عليه مقولا

وهذه الامتيازات التي حشاها حاخامات اليهود في التوراة ، أدت إلى تمادي من جاء بعدهم من الكهنة ، فبادروا إلى وضع كتب التفسير للتوراة ، بروح اليهودي المتعصب ذي العقل المتحجر المشحون بامتيازات خيالية منحهم إياها يهوه . وتعد هذه التفاسير الأساس الثاني لدين اليهود وهي ما تسمى بالتلمود .

نبذة تاريخية

لا بدّ لنا حين نتحدث عن التلمود من ذكر شيء عن حال اليهود وفرقهم الدينية في العصر الذي وضع فيه التلمود ، وهو العصر الروماني البيزنطي الذي امتد من سنة ٦٣ ق. م. إلى الفتح الإسلامي [1] . وأهم الفرق اليهودية التي عاصرت وضع التلمود هي :

١ — الفريسيون :

وأصل الفعل في اللغة العبرية بمعنى فرز أو انعزل . فاتباع هذه الفرقة انعزلوا عن عامة الشعب واتخذوا معالم خاصة لسلوكهم . وكانوا يقولون بالمحافظة على الشريعة مع التقاليد اليهودية المتوارثة . وعندهم ان التوراة هي الدين والدنيا ولا انفصال بينهما ، ويؤمنون بقدسيتها ، ويضيفون اليها الروايات الشفوية والوصايا والشروح والتفاسير التي كوّنت التلمود . عاصروا المسيح عليه السلام وعارضوه في نظرية فصل الدين عن الحكومة التي نادى بها.

(1) Heinrich Gratez, History of the Jews, Philadelphia 1941, vol. 2, p.57

٢ ــ الصدوقيون :

طبقة من « اشراف » اليهود ، كانوا يمثلون الغنى والسلطة والدين . أنكروا تعاليم التلمود ، ولم يؤمنوا بالبعث والحساب والعقاب . صادقوا المسيح عليه السلام أكثر من غيرهم ، لأنهم آمنوا بنظريته (اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

٣ ــ القراءون :

فئة قليلة من اليهود الذين لم يعترفوا بغير التوراة . ولم يكن لديهم روايات شفوية يتناقلونها خلفاً عن سلف ، ولا يؤمنون بالتلمود .

٤ ــ الكتبة :

كان منهم المعلمون الذين يتولون نسخ التوراة وتعليمها كمدرسين ووعاظ.

٥ ــ الاسينيون :

فرقة غريبة الاطوار ذات صبغة اشتراكية . ويقال ان يوحنا المعمدان كان منها . أقاموا قرب البحر الميت بانقطاع وتبتل وتقشف . ولم يزد عددهم على أربعة آلاف ليس بينهم نساء . وقد انطفأ ذكرهم في القرن الثالث للمسيح حتى اكتشف بعض الرعاة الأردنيين كنوزهم المهمة قرب البحر الميت سنة ١٩٤٧ . فعثر على رقوق تحتوي على أقسام من التوراة والانجيل . وهبّ العلماء يدرسون الرقوق التي عثر عليها في الأردن ويؤلفون الكتب الكثيرة في تفسيرها والتعليق عليها .

٦ ــ السامريون :

تعيش بقيتهم في مدينة نابلس حتى اليوم . يقولون بأن توراتهم هي الصحيحة دون غيرها . وقد انقطعت صلاتهم بفرق اليهود الأخرى منذ العودة من السبي ورفضهم المشاركة في إعادة بناء الهيكل . وهم يصعدون في كل سنة ثلاث مرات إلى جبل جرزيم في نابلس للعبادة وترقب مجيء المسيح ... [١]

تلك كانت أهم الفرق اليهودية التي وجدت في فلسطين حين بدىء في

---

(١) دكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ، اليهودية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٩٦ إلى ٢٠٣ .

شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٤ ، ص ١١٧ – ١٢٢ .

وضع التلمود . ويجدر بنا أن نذكر شيئاً عن الظروف التي أحاطت باليهود ومهدت لوضع التلمود . وأهمها تلك الأحداث التي واكبت ظهور المسيحية . ففي بداية الثلث الأخير من القرن الأول للميلاد ، عاد اليهود إلى تكتلهم وتآمرهم محاولين الانتفاض على الحكم والثورة على الرومان . فجاءهم تيطس الروماني سنة ٧٠ ميلادية ، ودمّر اورشليم وهدم الهيكل الذي أعاد بناءه عزرا ونحميا بموافقة هيرودس [١] . وشتت تيطس جمع اليهود ، وألغى المجمع العلمي الأعلى (سنهدرين) . وبعد الغاء السنهدرين بات اليهود ولا ملاذ لهم ، فانتقل جمهور علمائهم إلى طبرية التي بنيت حديثاً اكراماً للامبراطور طيباريوس . وعمل اولئك العلماء في طبرية وصفورية بحذق ومكر وصمت ، على إعادة بناء زعامة دينية تعوض عليهم زعامة اورشليم . وأخذوا يتصلون باليهود ويحرضونهم على التجمع الروحي حول ذلك المركز الجديد الذي لم يطلقوا عليه اسم السنهدرين ، والذي أصبح فيما بعد مصدراً لما سمي بالتلمود. وساعدهم على التجمع الثورة التي قام بها باركوخبا على الامبراطور هدريان ، وما كان من الفتك باليهود الذين تخلفوا في القدس بعد تيطس وثاروا من جديد بزعامة باركوخبا سنة ١٣٢ م [٢] . وقد أتم هدريان ما صنعه تيطس ، فأخمد الثورة وطرد جميع اليهود من المدينة ولم يعودوا اليها رسمياً إلا بعد وعد بلفور سنة ١٩١٧ .

وحين تجمّع علماء اليهود في شمالي فلسطين ، نظروا فوجدوا ان التوراة تنطوي على أحكام مختلفة تحتاج إلى شرح وتفسير وتأويل وتوسيع . فشرعوا في هذا وهم آنئذ مرجع اليهود بعد تشتيت تيطس وهدريان ، وسموا عملهم ذاك (المشنة) ، ومعناها الاعادة أو التكرار . وانتهوا من عملهم المفسر للتوراة سنة ٢٠٠ م . ثم جعلوا يوالون العمل جيلاً بعد جيل ، ويزدادون في الشرح ، وشرح الشرح ، حتى تم لهم ذلك سنة ٤٠٨ م في طبرية ، وسموا مجموع ما صنعوا أولاً وأخيراً بالتلمود . وليس في العربية من فعل يقابل هذه الكلمة . وهي في العبرية من لمد أي علم . وسمي هذا التلمود بالاورشليمي . وبعد أن

---

(١) مكاريوس ، ص ٧٢ .

(٢) Gratez vol . 2 , P. 421

اضطهد علماء اليهود زمن البيزنطيين ، رحل قسم كبير منهم إلى فارس ، وأقبلوا هناك على زيادة التوسع في التفسير والشرح . ووضعوا تلموداً جديداً هو البابلي . وشرحوا المشنة التي وضعت في طبرية ، وسموا شرحهم هذا (جمارا) . وبلغت مجلدات التلمود البابلي أكثر من عشرين مجلداً ضخماً ولقد صارت الدولة والصولة بعد ذلك للتلمود، لأن فيه كل ما تشتهيه غرائز اليهود تحت ستار أحكام التوراة التي تم تفسيرها وتشويه معانيها على أبشع صورة عرفتها الأديان . وأول مرة طبعت فيها المشنة سنة ١٤٩٢ م في نابولي[١] ثم تكررت الطبعات ، فكان أهمها ما طبع في امستردام (١٦٤٤ م) وفي سلزباج (١٧٦٩ م) وفي فارسوفيا (١٨٦٣ م) وفي براج (١٨٣٩ م) . [٢]

وحين اطلع المسيحيون على الطبعات الأولى للتلمود ، ثاروا على ما ورد فيها من حقد وتهجم وبغضاء للمسيحية وللمسيحيين ولغير اليهود عامة ، مما أكره اليهود في المائة سنة الماضية على اصدار طبعات خالية من التهجم الصريح على المسيحية ، وتركت أماكن بيضاء في صفحات عديدة بعد حذف ما كتبوه عن المسيح والمسيحيين . واقتصروا في تعليم ونشر آرائهم عن المسيحية على مدارسهم الخاصة في نشرات توزع في نطاق التعليم اليهودي الخالص . [٣]

اهم التعاليم التلمودية

قدسية التلمود : [٤]

يقول التلمود ان التوراة كالماء والمشنة كالخمر والجمارا كالخمر المعطر . والعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر معطر ... ولهذا السبب فان العالم لا يمكنه

---

(١) هلال فارحي ،ص ٢٥ .
(٢) الدكتور روهلنج ، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ، مطبعة المعارف بمصر ١٨٩٩ ، ص ٣١ .
(٣) المرجع السابق، ص ٣٠ .
(٤) بولس حنا مسعد ، همجية التعاليم الصهيونية ، مطبعة كوستا، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٦ – ٢٢ .

الثبات بدون التوراة والمشنة والجمارا . فالشريعة هي كالملح ، والمشنة كالبهار ، والجمارا كالتوابل ، والعالم لا يستطيع أن يعيش بدون ملح وبهار وتوابل ... وقال الحاخام روسكي بأن أقوال الحاخامات أهم من شريعة موسى .

وقال الرابي مناحم بأن الله يستشير الحاخامات على الأرض حين توجد معضلة لا يستطيع حلها في السماء . وجاء في التلمود ، ان جميع كلمات الربانيين في كل عصر ومصر ، هي من كلام الله ، ولذلك فانها أعظم من كلام الأنبياء ولو كانت متناقضة متنافرة . ومن يسخر منها ويقارع صاحبها ويتأفف منها ، يرتكب إثماً عظيماً كما لو سخر من الله وقارعه وتأفف منه .

الخطايا المقترفة ضد التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة .

من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت .

لو أراد الله أن يكتب التلمود برمته على الورق لما وسعته الأرض صحفاً مكتوبة .

إذا قال لك الحاخام أن يدك الشمال هي اليمنى ، لا يجوز لك أن تنبذ كلامه .

اله التلمود : (١)

قسم اله التلمود النهار إلى اثنتي عشرة ساعة . في الساعات الثلاث الأولى يجلس الله ويدرس الشريعة . وفي الساعات الثلاث الثانية يحاكم الشعوب . وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم ، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع الحوت ملك الأسماك . وفي الليل لا عمل لله غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين ...

حين يسمع رب اليهود تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول : ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك ، ولكن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذي يترك أولاده للشقاء ... يندم اله التلمود على تركه اليهود في حالة التعاسة ، حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤ – ٢٨، وانظر كذلك Max webr Ancient judeism the Free Pressillinois 1952, P. 128

فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل ...

اعترف الله بخطئه واعتذر للقمر لأنه خلقه أصغر من الشمس .

يحتاج اله التلمود حين يحلف يميناً غير قانونية ، إلى من يحلله من يمينه . سمع أحد عقلاء اليهود ربه ينادي من يحللني من اليمين التي أقسمت بها . ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله اعتبروه حماراً لأنه لم يحلل ربه من يمينه . ولذلك نصبوا ملكاً بين السماء والأرض لتحليل الله من ايمانه ونذوره عند اللزوم .

اله التلمود قدوس ليس في أفعاله الحرة طيش . ولكن عندما يستشيط غضباً يفعل أفعالاً لا قيمة لها ولا وزن . وهذا ما جرى له حين أقسم غاضباً بغير عدل أن الاسرائيليين الذين تمتعوا في البرية لن يدخلوا الحياة الأبدية .

وجاء في التلمود أن يهودياً اسمه اسماعيل ، سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول الويل لمن أخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته . ويلي على ما خربت من بيتي ويلي على ما فرقت من بني وبناتي . فأمتي منكسة حتى ابني بيتي واردد اليه بني وبناتي. وقال اليهودي اسماعيل فأخذ الله بثيابي وقال لي اسمعتني يا بني اسماعيل ؟.. قلت يا رب لا يا رب . فقال لي يا بني اسماعيل بارك عليّ قال . فباركت عليه ومضيت ... [1]

الملائكة والشياطين : [2]

عمل الملائكة الرئيسي هو سكب النوم على عيون البشر وحراستهم في الليل . وفي النهار يصلون عن البشر . والملائكة لا يفهمون السريانية والكلدانية، ولذا فانهم لا يسمعون صلوات أبناء هاتين اللغتين وطلباتهم . وهذا مفيد لليهود لأن لهم صلاة بالكلدانية لا يفهمها الملائكة فلا يحسدون اليهود . والملائكة موزعون على المسؤوليات الكثيرة ، فمنهم واحد وعشرون الفاً يحرسون الاعشاب . ومنهم من يحرس الصقيع ، والامداد ، والنار والفواكه ، والحب،

---

(١) الإمام أبي محمد علي ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مكتبة المثنى ، بغداد د . ت . ج . ا . ، ص ٢٢٢ .

(٢) مسعد ، ص ٣٠ — ٣٧ .

والسلام ، والطيور ، والأسماك ، والحيوانات المفترسة ، والأمراض ، والشمس والقمر والنجوم . والحاخامات يعرفون أسماء الملائكة الذين يتولون السلطة على الأرض . أما الشياطين فقد جاء أغلبهم من آدم يوم تزوج الشيطانة ليليت مئة وثلاثين سنة ، لم يخلف منها في تلك المدة إلا شياطين وأقزاماً . وكذلك فعلت حواء فانها قد تزوجت شيطاناً مئة وثلاثين سنة ولم تنجب منه سوى الشياطين .

والإنسان يستطيع قتل الشيطان في بعض الظروف ، مثال ذلك حين يكون اليهودي مشغولاً بصنع الحلوى في عيد الفصح حسب الشريعة اليهودية . ونوح عليه السلام أنقذ كثيراً منهم لأنه أخذهم معه في السفينة .

وشياطين التلمود يحبون الرقص بين قرون الثيران الصاعدة من المياه .

والتلمود يعتبر كتاب السحر الأول في العالم ، فقد جاء فيه : ان أحد مؤسسي المذهب اليهودي التلمودي كان بمقدوره أن يحيي الإنسان بالسحر بعد قتله . وانه كان يخلق في كل ليلة عجلاً بمساعدة أحد الربانيين ويأكلانه معاً . وأن يهودياً آخر ادعى انه يستطيع ابدال القرع والبطيخ بالظباء والجداء. وساحر آخر قلّب المياه إلى عقارب وحوّل امرأة إلى حمار كان يركبه في نزهاته .

وممارسة اليهود السحر قديمة منذ أيامهم في بابل ومن قبلها في أيام موسى عليه السلام . ونقل علماء كثيرون في أوروبا أمور السحر وعاداته وطقوسه كما مارسها اليهود وكما وردت في التلمود ونشروها في أوروبا المسيحية في فترات متقطعة . ومن أشهر ما كتب عن السحر اليهودي التلمودي :

فرنسا	(١٤٨٧ — ١٥٣٥ م)	H. C. Agrippa
ايطاليا	(١٤٦٠ — ١٥٤٠ م)	Francesco zorz
المانيا	(١٤٩٣ — ١٥٤١ م)	Theophrostus Paracelous
ايطاليا	(١٥٠١ — ١٥٧٦ م)	Hieronymo Cardano
هولنده	(١٥٧٧ — ١٦٤٤ م)	Johamvon Helmout
انجليزي	(١٥٧٤ — ١٦٣٧ م)	Robert Fludd
فرنسا	(١٦١٠ — ١٦٨٥ م)	Joseph de voisin

المانيا (١٦٣٦ — ١٦٨٩ م) Knor von Roserroth

المانيا (١٥٧٥ — ١٦٢٤ م) Jacob bochme [١]

الأسرار : [٢]

يدعي حاخامات اليهود أن دينهم خال من الأسرار وأن تعاليمه معقولة في حين ان تعاليم الأديان الأخرى مبنية على الجنون ، فلننظر بعض الاسرار التلمودية التي يراها اليهود مقدسة وتقبلها عقولهم ...

خلق الله آدم وحواء بأن أخذ حفنة تراب من جميع بقاع الأرض وكونها كتلة وخلقها جسماً ذا وجهين ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثاني حواء . وكان آدم طويلاً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، وحين ينام تصبح رجلاه في المغرب ورأسه في المشرق . وحين عصى آدم ربه مسخه حتى صار كباقي الناس ...

أما الملك عوج الذي ورد اسمه في التوراة فسبب تسميته بهذا الاسم مقابلته مع ابراهيم الخليل حين كان يصنع فطير الفصح الذي يسمى بالعبرية (عجة) . ويقول التلمود إن هذا الملك تخلص من الغرق زمن الطوفان لأنه مشى بجانب سفينة نوح حيث كان الماء بارداً في حين كان الماء يغلي في بقية الجهات . وان الملك عوج كان يتغذى كل يوم بألفي ثور ومثلها من الطيور ويشرب ألف صفيحة من الماء . ومن أخبار عوج التلمودية ، أنه لما اقترب من جيش اسرائيل الذي كان يشغل مسافة ثلاثة فراسخ من الأرض ، اقتلع جبلاً مساحته ثلاثة فراسخ وحمله على رأسه وذهب لمقابلة جيش موسى . فسلط يهوه على الجبل نملاً شرعت تقرضه بأسنانها حتى وصل الحفر إلى رأس الملك عوج فسقط الجبل حول عنقه على هيئة طوق . فانتهز موسى الفرصة وحضر ومعه بلطة طولها عشرة أذرع وقفز في الهواء بعلو عشرة أذرع وضرب الملك عوج على عرقوبه فقضى عليه .

وجاء في التلمود كذلك ان الرابي يوحانان وجد مرة عظمة ساق ميت

---

(١) Abrahams, the Legacy of Israel, oxford 1953, P. 325

(٢) روهلنج ، ص ٤٤ — ٤٥ .

فمشى بجوارها ثلاث ساعات ولم ينته لآخرها ، وكانت هذه العظمة لساق الملك عوج ...

وخلع الملك عوج ضرسه مرة فأخذه ابراهيم الخليل واستعمله سريراً لينام عليه . ولا بأس في رأي التلمود من وجود الملك عوج زمن ابراهيم الخليل وفي زمن موسى وغيره من أنبياء بني اسرائيل ...

علاقة اليهود بغيرهم : [1]

انصب سخط اليهود في أغلب صحائف التلمود على المسيحيين ، ذلك لأن أهم أجزائه وضعت في أول عهد المسيحية واحتكاكها الشديد باليهود . ولم يكن الإسلام قد ظهر بعد . على ان كلمة جوييم أو الجنتايلز التي يطلقها اليهود على غيرهم تشمل المسيحيين والمسلمين أصحاب الديانتين السماويتين ، وهم في نظر اليهود كفّار دماؤهم حلال لليهود وكذلك أموالهم وأعراضهم . ولا ذكر في تلمود اليهود للكفّار الحقيقيين الذين يعبدون الشمس أو النار أو الشيطان أو البقر أو بوذا ... الخ . فلنمضِ مع التلمود نقبس من أدبه وفنّه وحكمه وفلسفته ... لنرى أهمية العلم الذي قدّمه للإنسانية كما يدعي اليهود :

١ — حين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبّه بقَدْر كلاوي الثيران الكبيرة . وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود ، وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح . وسوف يملك كل يهودي ألفين وثمانمائة عبد لخدمته . ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني اسرائيل .

٢ — على كل يهودي أن يحول دون باقي الأمم واستملاك الأرض ، لكي تبقى السلطة لليهود وحدهم .

٣ — قبل أن يحكم اليهود نهائياً لا بد من قيام حرب بين الامم يهلك خلالها ثلثا العالم ، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد

(١) انتقيت هذه التعاليم التلمودية من: روهلنج ، ص ٣٢ — ٨٧ ؛ ومسعد ، ص ٥٠ — ١٠٠ ؛ ومحمد علي الزعبي ، اسرائيل بنت بريطانيا البكر ، المكتبة الشرقية ، القاهرة ، د. ت. ، ص ٨٧ .

النصر . وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني اسرائيل بمقدار أثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم ...

٤ ــ تتجمع ثروة الأمم في خزائن اليهود التي لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلاثمائة حمار ...

٥ ــ اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أمي (جوييم) يهودياً فكأنه ضرب العزة الالهية .

٦ ــ لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس .

٧ ــ الفرق بين الحيوان والإنسان كالفرق بين الامم واليهود .

٨ ــ الأجانب (غير اليهود) كالكلاب ، والأعياد لبني اسرائيل وليست للأجانب وللكلاب .

٩ ــ مصرح لليهودي أن يطعم الكلاب وغير مصرح له أن يطعم الأجانب لحماً ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم . والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست كلاباً فحسب ، بل حمير أيضاً . الشعب المختار يستحق الحياة وحده ، أما باقي الشعوب فهم كالحمير .

١٠ ــ بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات .

١١ ــ أرواح اليهود مصدرها روح الله ، وأرواح غير اليهود مصدرها الروح النجسة . والخارج عن دين اليهود كالخنزير النجس الذي يسكن الغابة .

١٢ ــ خلق الناس باستثناء اليهود من نطفة حصان . وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم .

١٣ ــ يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان . ومن تبعه من المسيحيين أعداء لله ولليهود .

١٤ ــ لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهود من الاميين .

١٥ ــ يحق لليهودي أن يغش الكافر ، وأن ينافق معه عند اللزوم .

١٦ ــ كل من لا يختتن فهو كافر شرير ، أما المسلمون الذين يختتنون فهم كفّار أشرار لأن ختانهم ليس حقيقياً .

١٧ — مصرح لليهودي أن يجامل الأجنبي ظاهراً ليتقي شره ، على أن يضمر له الشر والأذى .

١٨ — يجب على اليهودي أن يتسلط على الأجنبي ، ولليهود حق امتلاك الدنيا ومَنْ فيها .

١٩ — إذا سرق أولاد نوح وهم غير اليهود شيئاً يستحقون الموت ، أما اليهودي فمصرح له أن يلحق الضرر بالامي . وموسى قال في الوصايا لا تسرق مال القريب ، والامي ليس قريباً ، ولم يقل موسى لا تسرق مال الامي. والسرقة غير جائزة من الإنسان أي اليهود ، وأما الخارجين عن دين اليهود فسرقتهم جائزة . والسرقة عند اليهود إذا كانت من غير اليهود فهي استرداد لأموالهم المغتصبة التي يجب على اليهودي أن يستردها بأي شكل من الأشكال . وأموال المسيحيين كرمال البحر مباحة لليهود فأول من يضع يده عليها يمتلكها . ومثل اليهود في هذا كمثل سيدة في منزلها يكد زوجها ليحضر لها النقود دون أن تشترك معه في الشغل والجهد .

٢٠ — مصرح لليهودي أن يغشّ الأجنبي من خلال التعامل معه في البيع والشراء والربا .

٢١ — إذا كان اليهودي قاضياً بين يهودي وأجنبي ، فواجب عليه أن يعمل جهده ولو بالغش والخداع ليظهر الحق بجانب اليهودي ويحكم له .

٢٢ — مصرح لليهودي أن يغش مأمور الجمرك ويقسم له كاذباً ، على أن ينجح في غشه وكذبه .

٢٣ — اشترى الرابي صموئيل آنية ذهب من أجنبي كان يظنها البائع نحاساً ، ودفع ثمنها أربعة دراهم ثم سرق درهماً منها . وفعل الرابي هذا ليؤكد لليهود في التلمود ان سرقة الأجنبي وغشه مباحان .

٢٤ — مارس الرابي كهان الغش والسرقة بنفسه ، حين اشترى مرة مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل فقط .

٢٥ — إذا غلط أجنبي في الحساب ، فعلى اليهودي أن لا يغشه بل يقول له (لا أعرف) لأنه من الجائز أن يكون الأجنبي فعل ذلك عمداً لامتحان اليهودي وتجربته .

٢٦ — قال الرابي برنز ان اليهود يجتمعون كل أسبوع ، ويتفاخرون بما فعل كل منهم من أساليب غش المسيحيين ، ويتداولون في ابتكار أساليب جديدة تساعد على ابتزاز مال الكفار .

٢٧ — لا يغفر اله اليهود ذنب اليهودي الذي يرد مالاً مفقوداً للأجانب.

٢٨ — إذا دل أحد اليهود على محل يهودي هارب من دَيْن فانه يعد مذنباً وعليه أن يدفع قيمة الضرر الذي لحق بأخيه اليهودي من ذلك البلاغ .

٢٩ — إذا فقد الأجنبي سنداً على يهودي ، ووجده يهودي آخر فلا يجوز رده لصاحبه ، لأن الدَيْن يسقط بوجود السند تحت يد يهودي .

٣٠ — غير مصرح لليهودي اقراض الأجنبي إلا بالربا . والربا محرم بين اليهود ومباح تعاطيه من غير اليهود . وقال الحاخام ليفي بن جرسون ، ان حياة الأجنبي ملك يد اليهودي فكيف بأمواله ...

٣١ — مصرح لليهودي أن يقرض بالربا ، من أجل تمرينهم ليذوقوا حلاوة الربا ويمارسونه مع غير اليهود .

٣٢ — إن لحم الاميين لحم حمير فهو نجس ، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة . أما اليهود فقد تطهروا في طور سينا . والأجانب تلازمهم النجاسة ويجب اهلاكهم ...

٣٣ — يجب قتل الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة ، بل يجب أن يسد الحفرة التي وقع بها الوثني .

٣٤ — محرم على اليهودي الاشفاق على غير اليهود. فإذا رأى اليهودي أجنبياً يغرق في نهر أو يتعرض لهلاك فلا يصح انقاذه ، لأن الشعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان وأمر يهوه بقتلهم ، لم يقتلوا عن آخرهم بل نجا منهم فريق اختلط بباقي الأمم ، ومن المحتمل أن يكون كل أجنبي من نسل اولئك الكنعانيين ، ولذا وجب على اليهودي أن يقتل كل من يقدر على قتله من غير اليهود .

٣٥ — كل من يقتل أجنبياً يقرب قرباناً إلى الله .

٣٦ — إذا قتل يهودي يهودياً آخر خطأ وكان قصده أن يقتل أجنبياً ،

فخطيئته مغفورة لأنه كان يهدف إلى قتل الأجنبي .

٣٧ ــ أخطر الكفّار من الناس هم المسيح وأتباعه .

٣٨ ــ الذي يقتل أجنبياً يكافأ بالخلود في الفردوس . ويصفح عن الأجنبي إذا قتل أو زنا بامرأة غير يهودية ثم تهود. والذي يرتد من اليهود عن دينه يُعامل كالأجنبي إلا إذا فعل ذلك تقية ومن أجل غش الاميين .

٣٩ ــ مباح استخدام النفاق والخيانة والغش إذا كانت توصل اليهودي إلى هدفه في القضاء على غير اليهودي .

٤٠ ــ لا ذنب على اليهودي حين يزني بغير اليهودية . وموسى قال لا تشته امرأة قريبك . والمرأة غير اليهودية ليست قريبة . واليهودي لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجانب ، لأن كل عقد نكاح عندهم فاسد ، والمرأة غير اليهودية بهيمة وعقد الزواج لا يتم بين البهائم .

٤١ ــ الزنا بغير اليهود سواء أكانوا ذكوراً أم اناثاً مباح ولا عقاب عليه .

٤٢ ــ من حلم من اليهود أنه جامع والدته يؤتى الحكمة ، ومن جامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة ، ومن رأى أنه جامع أخته فمن نصيبه نور العقل ، ومن رأى أنه جامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية .

٤٣ ــ مصرح لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات والرذائل .

٤٤ ــ ادعى التلمود ان الرابي اليعازر فتك بكل نساء الدنيا . وانه سمع مرة واحدة تطلب صندوقاً من الذهب لتسلم نفسها ، وانه حمل الصندوق وقطع سبع شلالات حتى وصل اليها ...

٤٥ ــ لا يحق للمرأة اليهودية أن تشكو زوجها إذا زنى على فراش الزوجية .

٤٦ ــ مباح تعاطي اللواط مع الزوجة لأنها بالنسبة للزوج كقطعة لحم اشتراها من الجزار وله الحق في أكلها مطبوخة أو مشوية حسب رغبته .

٤٧ ــ اليمين الذي يؤديه اليهودي للأجنبي لا قيمة له ولا يلزم اليهودي بشيء لأنه لا أيمان بين اليهودي والحيوان .

٤٨ ــ مباح لليهودي أن يحلف زوراً وبهتاناً . وأن يضمر في نفسه غير

الذي ينطق به لسانه .

٤٩ — مباح لليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة يومياً . وتمحى ذنوب هذه الايمان في اجتماعات الغفران التي يعقدها الحاخامات لشطب حساب الايمان الكاذبة .

٥٠ — المسيح مجنون وساحر ووثني وكافر والمسيحيون كفرة مثله .

٥١ — الألمان من نسل كنعان وتجب إبادتهم .

٥٢ — كنائس المسيحيين بيوت ضالين ومعابد أصنام فيجب على اليهود تخريبها .

٥٣ — أناجيل النصارى واجب احراقها لأنها عين الضلال والظلم والخطايا .

٥٤ — على اليهودي أن يلعن كل يوم النصارى ثلاث مرات ويطلب من يهوه أن يبيدهم ويفنيهم .

٥٥ — يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار وان أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى .

٥٦ — اليهود من عنصر الله .

٥٧ — التلمود وجد قبل الخليقة ، ولولاه لزال الكون . ومن يخالف حرفا منه يمت .

٥٨ — ان الله يدرس التلمود منتصبا على قدميه .

٥٩ — اذا احتدم خلاف بين الله والحاخامين فالحق مع الحاخامين .

ونكتفي بهذا القدر من الأوامر التلمودية والقوانين الاخلاقية التي فسر بها كهنة اليهود توراتهم ، تفسيراً يتناسب والحقد الذي يأكل نفوسهم ، والانحلال الذي قدسوه لانه يلائم طبائعهم وعاداتهم ، والقسوة الموروثة ، والانانية البشعة ، والفوضى العقلية التي لا مثيل لها بين شعوب الارض . اليس يحق لنا بعد كل هذا الذي ورد في التلمود ان نعتبره من جذور البلاء في العالم ... ؟

الفصل الثالث

عداء اليهود الأول للمسيحية والإسلام

١ — عداوهم للمسيحية :

كان اليهود وما زالوا ينتظرون مسيحاً خاصا بهم، يحقق لهم السيادة على شعوب الارض ، ويحكمهم بالشريعة التي زيفوها واستبدلوها بشريعة موسى ، شريعة العنصرية والتعصب والقسوة والفساد . وفي العصر الذي سبق مجيء المسيح عليه السلام ، عم الفساد بينهم وتفشت الرذيلة وعبادة الذهب ، وانحرفوا عن جادة الصواب . فقضت ارادة الله العلي القدير ، ان يرسل نبيه الكريم عيسى بن مريم ، ليعيد للانسانية كرامتها التي اهدرها اليهود ، وليردهم الى الحق ، ويهذب من اخلاقهم ، ويعلمهم كيف يحبون الناس ويبتعدون عن التعصب والغدر والوحشية وعبادة الذهب والفسق والظلم .

وأولى النقائص التي حاول المسيح ان يعالجها في نفوس اليهود الشريرة ، هي تلك الدعوى الآثمة بانهم اولاد ابراهيم ولهم الفضل على من سواهم ، وهي الدعوى التي كانت عماد عنصريتهم المدمرة على مر العصور وفي مختلف مراحل التاريخ . وقد بدأ المعالجة يوحنا المعمدان المبشر الأول برسالة المسيح .

« فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصديقيين يأتون الى معموديته قال لهم

يا أولاد الافاعي من آراكم ان تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة ولا تفتكروا ان تقولوا في انفسكم لنا ابراهيم ابا . لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم . » [1]

وحين لم يصغ اليهود لنصائح يوحنا خاطبهم المسيح محاولا تحطيم كبريائهم وغرورهم . « الحق اقول لكم ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله . لان يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به . وأما العشارون والزواني فآمنوا به . وانتم اذ رأيتم لم تندموا اخيرا لتؤمنوا به ... لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره .. » [2]

واراد عليه السلام ان يخفف من غطرستهم واحتقارهم الفقراء والمساكين ، في مجتمع تحيله عنصرية اليهود وغرورهم جحيما لا يطاق . فارسل المسيح تطوبياته التسع .

طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماوات .
طوبى للحزانى لانهم يتعزون .
طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض .
طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون .
طوبى للرحماء لانهم يرحمون .
طوبى لانقياء العقب لانهم يعاينون الله .
طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يدعون .
طوبى للمطرودين من اجل البر لان لهم ملكوت السماوات .
طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا لكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا . لان اجركم عظيم في السماوات . فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم . [3]

وحاول المسيح ان يعلمهم الحب بانتزاع الكراهية المزمنة من صدورهم ، ويعلمهم التسامح وكرم الأخلاق وكرم النفس .

---

(١) متى صح ٢ : ٧ — ٩ .
(٢) متى صح ٢١ : ٣٢، ٤٣ .
(٣) متى صح ٥ :٣ — ١٢ .

« لكني اقول لكم ايها السامعون احبوا اعداءكم . احسنوا الى مبغضيكم . باركوا لاعنيكم . وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم . من ضربك على خدك فاعرض له الآخر ايضا . ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضا . وكل من سألك فأعطه . ومن اخذ الذي لك فلا تطالبه . وكما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضا بهم هكذا . وان احببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم . فان الخطاة ايضا يحبون الذين يحبونهم . واذا احسنتم الى الذين يحسنون اليكم فأي فضل لكم ... الخ »[1]

وتلك كانت فلسفة المسيح في محاولاته لنسف الاسس التي تقوم عليها الاخلاق التوراتية التلمودية عند اليهود . فهو عليه السلام كان ملما بدخائل اليهود وقسوتهم وظلمهم الناس وبخلهم وشح انفسهم وحقدهم على غير اليهود فأراد ان يطالبهم بنقيض ما تمليه طبائعهم وعاداتهم ، ليحصل على تطوير في في اخلاقهم مهما كان يسيرا ، فتخف احقادهم وتكبح جماح نفوسهم .

وحاربهم عليه السلام في تمسكهم الشديد بحرفية طقوس كثيرة عمرت بها ديانتهم ، مما جعلها رمز كهانة عجيبة قاسية .

« فسألوه قائلين هل يحل الإبراء في السبوت . لكي يشتكوا عليه . فقال لهم اي انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا في السبت في حفرة افما يمسكه ويقيمه . فالانسان كم هو افضل من الخروف . اذاً يحل فعل الخير في السبوت .. »[2] ومعلوم انهم كانوا يكفرون من يمارس اي عمل يوم السبت .

وحارب المسيح المكابرة والمراءاة وعبادة الذهب واكل اموال اليتامى والارامل واحتكار عبادة الرب .

« لكن ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون والمراؤون لانكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تأكلون بيوت الارامل . ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة اعظم . ويل لكم ... لانكم تطوفون

---

(١) لوقا صح ٦ : ٢٧ — ٣٥ .

(٢) متى صح ١٢ : ١١ — ١٣ .

البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا . ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم اكثر منكم مضاعفاً . ويل لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . ايها الجهال والعميان ايما اعظم الذهب ام الهيكل الذي يقدس الذهب ... ايها القادة العميان الذين يعفون عن البعوضة ويبلعون الجمل . » [1]

وحارب ما في نفوس اليهود من زيف وباطل واظهارها غير ما تبطن .

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة . ايها الفريسي الاعمى نق اولا داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما ايضا نقياً . ويل لكم لانكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة . هكذا انتم من خارج تظهرون للناس ابرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما » . [2]

واراد المسيح ان يكسر حدة جشعهم وحبهم للمال وعبادة الذهب ، فندد بذوي الأموال . وطبيعي ان يكون هدف المسيح من ذلك التنديد ، هم اليهود الذين يكنزون الذهب والفضة ويكفرون بالله ويخالفون الشريعة .

« فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه ما اعسر دخول ذوي الأموال الى ملكوت الله . فتحير التلاميذ من كلامه . فاجاب يسوع ايضا وقال لهم يا بني ما اعسر دخول المتكلين على الاموال الى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله ... » [3] .

ولم يصغ اليهود وهم غلاظ الاكباد والرقاب ، الى تعاليم المسيح السامية وارشاداته القويمة ، لانها تتعارض مع اخلاقهم وعاداتهم الذميمة التي استعصت على جميع انبيائهم السابقين . ثم كانت الطامة الكبرى بالنسبة لاحقادهم على المسيح حين زار اورشليم ووجدهم يحيلون الهيكل الى بورصة تجارة ووكر دعارة .

---

(١) متى صح ٢٣ : ١٣ — ٣٤ .
(٢) متى صح ٢٣ : ٢٥ — ٢٩ .
(٣) مرقس ١٠ : ٢٣ — ٢٥ .

« ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام . ولم يدع احد يجتاز الهيكل بمتاع . وكان يعلم قائلا لهم اليس مكتوبا بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الامم . وانتم جعلتموه مغارة لصوص . وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لانهم خافوه اذ بهت الجمع كله من تعليمه . » [1] .

واحس اليهود بعد هذا العمل الشجاع الذي اقدم عليه المسيح ، يوم تحداهم في معقلهم الكبير ، واشعرهم بخستهم وكفرهم ، بالخطر يتهدد انظمتهم وطقوسهم العفنة ، فشرعوا يتآمرون على قتله . واجتمع رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود في دار رئيس الكهنة ، ورتبوا الخطة وحبكوا المؤامرة . وكما يئس اليهود من المسيح وتعاليمه المعارضة لاسس حياتهم ، فقد يئس عليه السلام من امكان اصلاحهم والاخذ بايديهم الى سواء السبيل . وجاءت علائم يأسه منهم حكما بليغة صادقة فاه بها وقال :

« فأنتم تشهدون على انفسكم انكم ابناء قتلة الانبياء . فاملأوا انتم مكيال آبائكم . ايها الحيات اولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة . لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح ...

« يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا . » [2]

وحينما تمت خطة اليهود ، اتفقوا مع احد الحواريين ، على ان يدلهم على المسيح حين تواجهه جموعهم الثائرة . وابى يهوذا الاسخريوطي وهو احد الحواريين الا ان يظل يهوديا جشعا يقدس الدرهم ويبيع شرفه وضميره بثلاثين من فضة .

---

(١) مرقس صح ١١ : ١٥ — ١٨ .

(٢) متى صح ٢٣ : ٣١ — ٣٨ .

« فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطي وهو من جملة الاثني عشر . فمضى وتكلم مع روساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه فضة . فواعدهم . وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلوا من جمع ...

« وبينما هو يتكلم اذا جمع والذي يدعى يهوذا احد الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله . فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان ... » [1]

وساقت جموع اليهود المتوحشة المسيح ليحاكم امام بلاطس البنطي . وجرت محاكمة عجيبة صورية ظالمة ، تنم عن اخلاق اليهود وقسوتهم وتعطشهم لسفك الدماء .

« وكان الوالي معتادا في العيد ان يطلق للجمع اسيرا واحدا من ارادوه . وكان لهم حينئذ اسير مشهور يسمى باراباس . ففيم هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون ان اطلق لكم . باراباس ام يسوع الذي يدعى المسيح . لانه علم انهم اسلموه حسدا . واذ كان جالسا على كرسي الولاية ارسلت اليه امرأته قائلة اياك وذاك البار لانني تألمت اليوم كثيرا في حلم من اجله . ولكن روساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فاجاب الوالي وقال لهم من من الاثنين تريدون ان اطلق لكم . فقالوا باراباس . قال لهم بيلاطس فماذا افعل بيسوع الذي يدعى المسيح . قال له الجميع ليصلب . فقال الوالي واي شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب . فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب اخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا اني بريء من دم هذا البار . ابصروا انتم . فاجاب جميع الشعب دمه علينا وعلى اولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . واما يسوع فجلده واسلمه ليصلب ... » [2] .

ثم تمت عملية الصلب بطريقة همجية بشعة . ومارس اليهود خلالها فنون التعذيب الجسماني والمعنوي.وأظهروا الكامن من الشر في اعماق نفوسهم.ومع ان القرآن الكريم يقرر ان اليهود لم يصلبوا المسيح وانما صلبوا شبيهه ، فان

---

(١) لوقا صح ٢٢ : ٣ ، ٤ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) متى صح ٢٧ : ١٥ — ٢٦ .

نية قتل المسيح كانت متوفرة لديهم ، وان رفعه الى السماء كان فوق ارادتهم ، وهم يحملون وزر ظلمهم وغدرهم بالمسيح الى قيام الساعة . وبعد المسيح عليه السلام ، حمل الحواريون رسالته ، ولاقوا من اليهود افظع انواع الاضطهاد والجحود والظلم . وليس ابلغ من الوصف الذي وصفهم به بولس الرسول :

« لان غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحق بالاثم ... لانهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كاله بل حمقوا في افكارهم واظلم قلبهم الغبي . وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء ... لذلك اسلمهم الله ايضا في شهوات قلوبهم الى النجاسة لاهانة اجسادهم بين ذواتهم . الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك الى الابد آمين . لذلك اسلمهم الله الى اهواء الهوان . لان اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة . وكذلك الذكور ايضا تاركين استعمال الانثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور ونائلين في انفسهم جزاء ضلالهم المحق ... مملوئين من كل اثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءاً . نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شرورا غير طائعين للوالدين. بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة [1]

« الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح . بالسنتهم قد مكروا . سم الاصلال تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة ومرارة . ارجلهم سريعة الى سفك الدم . في طرقهم اغتصاب وسحق . وطريق السلام لم يعرفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم ... » [2]

اما اتباع المسيح الذين آمنوا بالدين الجديد الذي بشر به الحواريون ، فقد تعرضوا الى اهوال ونكبات يعجز القلم عن وصفها . فقد دأب اليهود على محاربة الدين المسيحي واتباعه ، وانتهزوا كل فرصة مواتية لذبح النصارى وتدبير المؤامرات ضدهم مع الرومان والبيزنطيين . واول جريمة وحشية اقترفها اليهود في عهد المسيحية ، كانت رقصة الافعى سالومي ابنة هيروديا

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية صح ١ : ١٨ – ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه صح ٣ : ١٢ – ١٦ .

امام هيرودس ، وما كان من اعجاب هيرودس بالفتاة اللعوب الى الحد الذي جعله يلبي طلبها وتقديم رأس يوحنا المعمدان هدية اعجاب لها. وكانت المؤامرة قد حبكت بمعرفة امها هيروديا التي رفض يوحنا المعمدان ان يزوجها الى هيرودس باعتبارها زوجة اخيه . وتمت الجريمة وقدم هيرودس رأس المبشر الاول بالمسيحية هدية اعجاب الى فتاة يهودية لعوب . (١)

وبعد جرائمهم الموجهة الى المسيح نفسه ، فتكوا بالنصارى عام ٤١ م وقطعوا رأس مار يعقوب . (٢) ومرت باليهود سنوات محمومة كانوا فيها يذبح بعضهم بعضا ، ويتعرض النصارى معهم الى الذبح والاضطهاد . ويقول مؤرخهم الكبير يوسيفوس الذي شهد تلك الحقبة ان ظهور بعض مجرمي اليهود وعصاباتهم احالت الحياة الى جحيم لا يطاق . فقد كثر الغش والظلم والقتل والفسق ونهب اموال الناس وقطع الطرق . وكان كل واحد يقتل خصمه بلا خوف من رقابة حاكم او قانون . وكثر الاشرار في اورشليم وباعوا انفسهم لمن يرغب في التخلص من خصمه غيلة وغدرا . فكثر القتل ولم يعرف السفاكون المجرمون وسمي ذلك الحال بالموت الاعمى. (٣)

ثم وقعت بينهم مذابح كثيرة في عهد نيرون ، مهدت السبيل الى تدمير اورشليم والقضاء على الفتن والمؤامرات اليهوديةعلى يد القائد الروماني تيطس سنة ٧٠ م (٤)

ورغم ان اليهود ، حسب رأي يوسيفوس قد خسروا في حربهم ضد تيطس اكثر من ستمئة الف، فانهم عادوا الى تدبير الفتن والدسائس . ودبروا في عهد الامبراطور تراجان (٩٨ — ١١٧ م) مذابح عديدة في قبرص والقيروان ومصر وليبية ، ذهب ضحيتها (٢٢٠) الفا في ليبية والقيروان و(٢٤٠) الفا في قبرص . والشيء الذي يبعث على الدهشة والاشمئزاز ليس عدد القتلى ، وانما الهمجية التي ابداها اليهود اثناء تلك المجازر . فقد كانوا يشطرون

---

(١) متى صح ٣١١٤ — ١١ .

(٢) اميل الخوري حرب،مؤامرة اليهود على المسيحية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٧ ، ص ٣٢ .

(٣) يوسيفوس ، المكتبة العمومية سليم صادر ،بيروت دبشا ، ص ٢١٩ — ٢٤٩ .

(٤) يوسيفوس،ص ٢٥٩ — ٢٩٤ .

ضحاياهم من المسيحيين الى نصفين ، ويسلخون جلودهم ويلبسونها ويأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دماءهم ويتحزمون بامعائهم . [١]

وجاء الامبراطور هدريان (١١٧ — ١٣٨ م) ، فلم يجد بدا من الفتك باليهود واستئصال شأفتهم وحماية البلاد من مؤامراتهم ودسائسهم واحقادهم وظهر في عهد هدريان مسيح كذاب هو اليهودي باركوخبا ، قاد اليهود الى الهلاك ، فقتل منهم في حربهم ضد هدريان (٥٨٠) الفا من جملتهم باركوخبا نفسه . [٢]

ومن اكبر جرائمهم ضد المسيحيين قبل مجيء الاسلام ، مذبحةالاخدود التي اقترفها اليهود ضد النصارى ، وقضى فيها ذو نواس على عشرات الألوف منهم حرقا سنة ٥٢٤ م [٣] وقد وردت قصة الاخدود في القرآن الكريم .

ودأب اليهود على التآمر على كل حكم ، فحين وقعت الحرب بين فارس والقيصر هرقل (٦١١ — ٦٤١ م) ، انتهز اليهود الفرصة وتعاونوا مع الفرس وغدروا بالرومان . وحين نجح الفرس في الاستيلاء على سورية سنة ٦١٥ م وسبوا كثيرا من النصارى ، بادر اليهود الى شراء اعداد كبيرة من المسيحيين قدر عددهم بتسعين الفا ، وذبحوهم صبرا . [٤]

واستمرت حرب اليهود ضد المسيحية والمسيحيين على مر الزمن . وفي الازمنة التي كان اليهود فيها ضعفاء عاجزين عن الفتك بالنصارى وابادتهم ، كانوا يلجأون الى الحرب الادبية مستخدمين نفوذهم المالي في العالم لنشر الكتب التي تهاجم المسيحية وتتطاول على المسيح والسيدة العذراء . وقد تم ذلك في ازمنة مختلفة وتحت سمع الغرب المسيحي وبصره . وقد اقتبست مجلة لبنانية [٥] بعض ما في تلك الكتب اليهودية القذرة عن السيد المسيح ونشرته تحت عنوان : انهم يصلبونه كل يوم — ماذا تقول الكتب والمنشورات

---

(١) المطران يوسف الدبس ، تاريخ سورية،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ ، مجلد ٣ ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٢) محمد عزة دروزة،تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، نهضة مصر ١٩٥٨ ، ص ٣١٩ .

(٣) اميل حرب،ص ٣٤ .

(٤) دروزة،ص ٣٢٤ .

(٥) مجلة الصياد،بيروت ، عدد ١٩-١٢-١٩٦٣ .

اليهودية . وبعض ما جاء فيها :

« اما الوجه الآخر ... الوجه الكالح الشرير فهو ذاك الذي يرمي الى تفسيخ الشباب بنشر الكتب والصور والمجلات الجنسية الداعرة . ومنها ما يتعرض لشخص المسيح بالذات . ففي نيويورك يوجد عدد كبير من دور النشر اليهودية المعروفة بميولها للصهيونية تهتم بطبع هذه الكتب وترويجها ومنها دار (سيمون وشوستر) التي نشرت كتابا بعنوان (التجربة الاخيرة للمسيح) فيه من القذارة ما جعلنا نتردد في نشر مقاطع منه . ولكنا سننشرها اطلاعا للقارىء على مرامي الصهيونية واهدافها الشريرة . يقول الكتاب في صفحة ٢٥ :

« ذهب المسيح الى قانا الجليل ، قرية امه ، ليختار زوجته . لقد اجبرته امه على ذلك لأنها تريد ان تفرح به . وقف وسط البلدة وفي يده وردة حمراء يحدق ببنات القرية اللاتي كن يرقصن تحت شجرة حور . اخذ يتطلع الى كل منهن ويقارن الواحدة بالاخرى . لم تكن له الجرأة ان يختار . انه يريدهن كلهن وجاءت المجدلية ابنة خاله الوحيدة : شعرها مسدل على كتفيها ، تتهادى ببطء . اهتز عقل الشاب عندما وقع نظره عليها وصرخ : هي التي اريدها .. ومد يده ليقدم لها الوردة الحمراء .. » ويقول الكتاب في الصفحة ٨٦ :

« كانت المجدلية مستلقية على ظهرها في الفراش عارية تماما .. مبللة بالعرق ، وشعرها الاسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها ... لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر فكانت منهوكة القوى . وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الامم .. وخفض ابن مريم نظره ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة ... » وفي الصفحة ٤٥٠ يقول الكتاب :

« امسك بها يسوع وطبع على شفتها قبلة ملتهبة ...وامتقع لونهما واصطكت ركبهما ، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدأا يتدحرجان على الارض . طلعت الشمس ووقفت فوقهما . وهب نسيم عليل اسقط ازهار الليمون على جسديهما العاريين . وضمت المجدلية يسوع اليها والصقت جسده بجسدها الملتهب .. » وفي الصفحة ٤٨٢ يقول الكتاب على لسان يهوذا الإسخريوطي :

« وعندما واجه الصليب داخ المسيح المزيف واغمي عليه . فامسكت به

نساء كن موجودات واسعفنه ليضاجعهن كي ينجبن اطفالا .. ويخاطب يهوذا المسيح بقوله : واجبك ان تعلو على الصليب .. انك تفاخر بانك قاهر الموت .. الويل لك . هكذا تقهر الموت بمضاجعة النساء .. »

وسنواصل الحديث عن عداء اليهود للمسيحية وخططهم لتدميرها في فصل مقبل .

٢ — عداؤهم للإسلام :

بعد مرور ستة قرون على مجيء المسيحية ، حاولت خلالها ان تهذب من اخلاق اليهود وتردهم الى الايمان بالله وتبعدهم عن عبادة الذهب ، وتروضهم على حب الخير للناس والتسامح والاخاء ، ظهر عجز المسيحية عن اداء المهمة التي اراد سبحانه وتعالى لها ان تؤديها . فقضت ارادة الله العلي القدير ان يحمل الرسالة الاصلاحية الجديدة النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت في هذه المرة رسالة عامة شاملة لم يكن الغرض منها اصلاح شعب معين وهدايته ، بل اصلاح الناس كافة وهدايتهم الى ما فيه خير الانسانية كلها . وحين بعث الرسول الكريم كان اليهود يعيشون في شمال الحجاز وخاصة حول المدينة (يثرب) . ويعلل المؤرخ اليهودي اسرائيل ولفنسون وجود اليهود في شمال الحجاز بالاسباب الآتية :

(١) — زيادة عدد سكان فلسطين من اليهود مما اضطرهم الى الهجرة .

(٢) — العداء الشديد بين اليهود وحكم الرومان ، وما وقع من حروب دامية اجبرت الكثيرين من اليهود على الهجرة .

(٣) — تدمير اورشليم على يد تيطس سنة ٧٠ م وذبح اليهود وتشتت قسم منهم في اصقاع العالم ومنها شمال الحجاز . (١)

وعاش اليهود مع عرب الحجاز في صراع دائم ، تارة يحتربون وتارة يتهادنون . ومع ان العرب كانوا وثنيين ليس لهم دين سماوي ، الا انهم كانوا يتحلون بالصفات الحميدة التي لم يتحل بها اليهود اصحاب الدين السماوي

---

(١) اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ، تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد بمصر ٩٢٧ ص ٩ .

وحاملو الكتاب الذي يزعمون انه يشتمل على شريعة موسى . كان اليهود يمارسون الزراعة واعمال الربا الفاحش ، وبث روح الشقاق والفرقة بين عرب المدينة (الاوس والخزرج) . وفي كثير من الاحيان كانت الفرقة الناجمة عن الدسائس اليهودية تؤدي الى الحرب الطاحنة ، مما يسهل لليهود تحقيق اهدافهم في السيطرة على العرب المتخاصمين . على ان النزاع الذي كان يضعف القبائل العربية ويضرم اوار الحرب بينها ، لم يكن كافيا لان يعتنق العرب الدين اليهودي لسبب رئيسي هو الخلق اليهودي الذي كرهه العرب ، والعادات اليهودية المبنية على العزلة والغرور والمكر والجشع والحقد والهمجية . وكيفما كانت العداوة بين العرب انفسهم فانهم كانوا يجمعون على كره اليهود واحتقارهم ، وبالتالي كره دينهم وعدم الايمان به مفضلين عليه عبادة الاصنام [1] .

وقبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان احبار اليهود قد تحدثوا عن نبي يبعث في الجزيرة العربية وردت صفاته في كتبهم وتنبوآتهم . قال ابن اسحق : وحدثني عاصم بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : ان مما دعانا الى الاسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا اهل شرك اصحاب اوثان ، وكانوا اهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم ؟ فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اجبناه ، حين دعانا الى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . » [2]

ورغم ذلك لم يعترف اليهود بنبوة محمد عليه السلام . وحين هاجر الى المدينة واتخذها مركزا لنشر دعوته الى توحيد الله وعبادته ، رأى اليهود

---

(١) عبد الله التل ، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٨

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٣٦ ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

ان الدين الجديد قد اصبح منافسا خطيرا يوشك ان يقضي على نفوذهم وينتزع الزعامة الدينية التي كانوا يدعونها . فكرهوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونظروا اليه والى دينه الجديد والى اتباعه نظرة الحسد والحقد والضغينة والبغضاء. وظهرت عداوتهم لدين الاسلام واضحة جلية حينما رأوا الناس يدخلون في دين الله افواجا . فاخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين بالدس والارجاف ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون وفيما لا يعلمون . واذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه ولبسوا الحق بالباطل ليكسبوا عطف المشركين بالغض من شأن الاسلام ونبي الاسلام ، بسبب كراهيتهم للرسول عليه الصلاة والسلام لما اختصه الله به من الرسالة . وقد نعى الله عليهم ذلك بقوله : [1]

« بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . [2]

وكان اليهود هم البادئين بمعاداة الرسول الكريم ، رغم انه عليه السلام وادعهم وعاهدهم وساواهم بالمسلمين ، وسمح لهم بالبقاء على دينهم ، واقر لهم اموالهم ، وكتب في ذلك كتابا يعتبر من الاسس الاولى لتعاليم الاسلام السمحة العادلة ، جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم امة واحدة ... وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة (المساواة) غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ... وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم ، فانه لا يوتغ (يهلك) الا نفسه ، واهل بيته ، وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الاوس ويهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف الا من ظلم واثم ... وان على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون

---

(١) خطر اليهودية، ص ٤٠ .

(٢) سورة البقرة، ٩٠ .

الاثم ... »[1]

وتظاهر اليهود بقبول هذا العهد وهذه الموادعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيد انهم حينما رأوا جماعة المسلمين تتكاثر ، والاسلام ينتشر ، ويفتح الله قلوب الناس لقبوله ، ايقنوا ان لا سبيل للمحافظة على كبريأهم وزعمهم انهم شعب الله المختار وضمان مصالحهم وسيطرتهم على مقدرات البلاد المادية والمعنوية ، الا بالقضاء على محمد واتباعه ، واجتثاث آثار دينه من اصولها . فاخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين بكافة الطرق ومختلف الوسائل ، وينتهزون الفرص للقضاء على الرسول الكريم . وقد خانوا العهد ، والبوا عليه وعلى صحابته من المسلمين سائر العرب من كفار قريش وشمال الحجاز . ومالأوا اعداء المسلمين وحزبوا الأحزاب ضد المسلمين لاستئصال شأفتهم وابادتهم . ونزلت الآيات الكثيرة عن كفر اليهود واحقادهم وجرائمهم منها قوله تعالى : « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ، اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . »[2]

وناصر اليهود كفار قريش عبدة الاصنام واكدوا لهم ان اوثانهم افضل من الدين الاسلامي الذي يقوم على التوحيد وعبادة رب العالمين . فاشار القرآن الكريم الى عملهم هذا بقوله « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . »[3]

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . »[4]

ولم يتوان اليهود عن السعي في دين الله معاجزين لكي يفتنوا الناس عن دينهم ويوهنوا عقائدهم بالشبه الزائفة والاباطيل المختلفة ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

---

(١) ابن هشام ، ج٢،ص ١٤٨ — ١٥٠ .
(٢) آل عمران،٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة النساء،٥١ ، ٥٢ .
(٤) سورة البقرة١٠١ .

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . » (١)

وكثيرا ما كان المسلمون ينخدعون بمكر اليهود وخداعهم ، حين كانوا يتظاهرون بالمودة لجيرانهم المسلمين ذاكرين لهم صلة القرابة وان العرب واليهود من نسل ابراهيم عليه السلام ، فيواصلونهم بحسن نيتهم عملا بشرعة الجوار والموادعة ، فانزل الله تعالى آياته ينهى بها المسلمين عن مباطنة اليهود والاطمئنان اليهم .

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم . ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط . » (٢)

وحين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ، واصلح ذات بين الاوس والخزرج سكان يثرب ، واجتث من قلوبهم آثار العداوة والبغضاء التي كان اليهود ينمونها ، ونسي المسلمون ما كان بينهم من فتن وحروب دامت عشرات السنين ، لم يرق ذلك لليهود ، واعتبروا ان اتفاق الاوس والخزرج قوة للدين الجديد ، فاخذوا يبثون اسباب الفتن ويثيرون الاحقاد والضغائن ليشتتوا شمل المسلمين ويفرقوا صفوفهم من جديد .

واستطاع اليهود عن طريق شيخ من شيوخهم هو شاس بن قيس ان يثيروا بين مسلمي الاوس والخزرج الفتنة ويذكروهم بعداوة الجاهلية . فحملوا السلاح ولولا خروج النبي اليهم وردهم عن غيهم وتبصيرهم بخطة اليهود ، لوقعت الحرب من جديد بين قوم هداهم الله الى الاسلام وابعد عنهم دعوة الجاهلية . وتلك كانت اولى الفتن اليهودية ضد الاسلام والمسلمين . وفيها نزل قول الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ١٠٩ .

(٢) آل عمران ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله . ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم . » (١)

وكعادة اليهود في التلون والخداع والغش ، تظاهر بعضهم بالاسلام ثم اخذوا يدسون الشكوك والريب . بالقاء الاسئلة على الرسول الكريم ليزعزعوا عقيدة المسلمين ويشككوهم في رسالته التي يدعو اليها ، فانزل الله تعالى قوله :

« وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . » (٢)

« وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون . » (٣) ولما كان الله العلي القدير عالما بما يبطنه اليهود من العداوة والخصام والحقد على المسلمين ، بيّن في كتابه العزيز بعبارة صريحة ان اشد الناس عداوة للمسلمين اليهود لتعاملهم معاملة الاعداء الالداء .

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . » (٤)

وآمن الرسول بنبوة عيسى بن مريم ، فأنكر اليهود عليه ذلك لأنهم كانوا يكفرون برسالة عيسى ويجحدون نبوته . فأنزل الله تعالى فيهم :

« قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا ، الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون . » (٥)

وبينما كان الاسلام يمجد المسيح عليه السلام ويصون شرف السيدة العذراء في نظرة قدسية سامية ، كان اليهود يواصلون حربهم على المسيح

---

(١) آل عمران ١٠٠، ١٠١ ؛ انظر تفسير الشيخ محمود شلتوت عن فتنة شاس بن قيس .
(٢) آل عمران ٧٢ .
(٣) المائدة ٦١ .
(٤) المائدة ٨٢، ٨٣ .
(٥) المائدة ٥٩ .

« ... ويهاجمون اليهود لنسبتهم الفرية على السيدة العذراء . فضلاً عن تبرئتهم ساحتها من هذه التهمة الشنيعة لا تصفها مريم البتول . ومن يقرأ آي الإسلام المسيح (؟؟) ويقارن بين ذلك وبين آراء اليهود وتصرفهم مع المسيح وأمه ، يعجب لموقف مسيحيي الغرب الذين أعمى الله بصائرهم وأبصارهم . فصاروا يقفون إلى جانبهم مناصرين لأعداء دينهم . وأعداء نبي جنسهم بل وأعداء الإنسانية كلها . ويحسن بنا أن نذكر بعض الآيات الكريمة في قصة مولد المسيح عليه السلام . الدالة على الذوق الرفيع . والنظرة الحقة الشريفة . البعيدة عن نظرة اليهود عند السماء على الأرض :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا . وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا . فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (١)

« ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (٢)

---

(١) سورة مريم ١٦ — ٣٣ .

(٢) التحريم ١٢ .

« وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . » [1]

وترد من كلام الله تعالى على لسان نبيه الكريم ، آيات تتعقب اليهود ، وتكشف عن دخائلهم ، وتنفذ الى لب جوهرهم ، وتصفهم بكلمات معجزة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . وقد حلل القرآن الكريم الخلق اليهودي ، ووصف ما انطوى عليه ذلك الخلق من جبن وفسق وطغيان و كفر و كذب وافتراء ومكر وحقد وجشع وذلة وانحطاط وفجور . واعتقد جازما ان ما ورد في القرآن الكريم عن اليهود ، يعد دليلا اساسيا على ان هذا الكتاب الخالد من وحي الله تعالى وليس من صنع بشر . وذلك لانه اورد مسائل كثيرة عن اليهود قبل اربعة عشر قرنا ، لو اجتمعت الهيئات المختصة بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاديان وعلم الاجناس ، على ان تصنع بعض ما في القرآن من دراسة علمية عن اليهود ، لعجزت ان تأتي بمثل ما ورد على لسان النبي الامي الذي لم يطلع على التوراة والتلمود لانهما ترجما بعده بقرون عديدة . وأرى أنه من صميم هذا البحث ان اورد بعض ما نزل في القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا عن اليهود ، مما سيظل شاهدا ابد الدهر على ان اليهود لا يغيرون ما بأنفسهم من الصفات الاجرامية الذميمة والعادات القبيحة المستهجنة .

الجبن :

كان اليهود وما زالوا ، يتظاهرون بالشجاعة والاقدام ، والواقع عكس ذلك . فالجبن طبعهم الاصيل ، حتى انهم يظهرون دائما على حقيقتهم ، ويتكشفون عن حمار يلبس ثوب اسد ، واليهود جبناء بالفطرة ، يهابون الموت لانهم لا يؤمنون بالدار الآخرة . وحين يحاربون ، يفضلون معارك الليل التي تحجبهم عن اعدائهم . ويفضلون الاحتماء بالجدر والمنازل والقلاع .

« لايقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر . » [2]

« ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون . » [3]

---

(١) النساء ١٥٦ .

(٢) الحشر ١٤ .

(٣) البقرة ٩٦ .

ولا عجب في ذلك فقد اظهروا جبنهم يوم ان دعاهم نبيهم موسى لمحاربة شعب فلسطين . .

« قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . » (١)

وسبحانك اللهم ، لقد ذكرت عين الحقيقة والصواب ، اذ بعد ثلاثين قرنا على قولهم الذي قالوه لموسى وجبنهم الذي ابدوه ، قالوا لعبيدهم من الانجليز والاميركان في اوائل القرن العشرين : خذوا لنا فلسطين واحكموها واعدوها لنا بعد ان تفعلوا كل شيء لتهويدها ، فنحن نريدها خالية من سكانها العرب .

الاجرام والقسوة :

لم يعرف التاريخ من هم اقسى قلوبا من اليهود . ويحدثنا القرآن الكريم عن تلك القسوة وذلك الاجرام الذي التصق بهم منذ القديم . مصورا قصتهم مع يوسف يوم تآمر عليه اخوته غيرة وحسدا ، واقنعوا اباهم ان يرسله معهم للهو واللعب ، ثم نفذوا جريمتهم .

« اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين... فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون . . » (٢)

وحين لم يوافق بعضهم على قتله،اكتفوا بالقائه في بئر بعيدة ، ثم عادوا لوالدهم يبكون ... مدعين انه قد اكله الذئب ، مبرزين قميصه وعليه دم كذب ... انها لوحة رائعة تصور الاجرام المتأصل في نفوسهم ، وتصور المقدرة على التلون والادعاء والافتراء والقسوة .

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشَّقَّق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون . » (٣)

---

(١) المائدة ٢٤ .

(٢) يوسف ٩ ، ١٥ .

(٣) البقرة ٧٤ .

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم... »[1]

وصدق الله تعالى ، فقد عشت بنفسي حالات اجرام يهودي وقسوة نادرة لا مثيل لها . ففي ٩ ابريل ١٩٤٨ ، هجم اليهود على قرية دير ياسين العربية الكائنة في قطاعهم مطمئنة الى وعودهم وعهودهم ، عزلاء من كل سلاح ، وجمعوا سكانها صفا واحدا ، رجالا ونساء وشيوخا واطفالا . ثم رموهم بنار الرشاشات ، وامعنوا في تعذيبهم اثناء عملية الذبح والابادة . فبقروا بطون الحبالى واخرجوا الاطفال وذبحوهم ، وقطعوا اوصال الضحايا وشوهوا الجثث ليصعب التعرف اليها . ثم جمعوا الجثث وجردوها من الالبسة والقوا بها في بئر القرية . وحين جاء مندوب الصليب الاحمر الدكتور لينر ورأى الجريمة لم يقو على الوقوف ليتم عملية احصاء الجثث (٢٥٠) فأغمي عليه وغادر المكان . انها طبيعة اليهود الهمجية ، مارسوها منذ الازل الى يومنا هذا ، كلما احسوا بقوتهم وواتتهم الفرصة للانقضاض على الكفار وهم المسيحيون والمسلمون وجميع من هم على غير دينهم .[2]

الكفر وقتل الأنبياء :

وسجل القرآن كفرهم بالانبياء والرسل ، وقتلهم الانبياء ، بغير حق .

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »[3]

« واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين . »[4] .

---

(١) المائدة ١٣ .

(٢) خطر اليهودية، ص ٥٧ .

(٣) البقرة ٨٧ .

(٤) البقرة ٩١ .

« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم . » [1].

« فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا . » [2]

« لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . » [3]

الكذب والافتراء لزعزعة العقيدة :

لجأ اليهود في حربهم ضد الاسلام الى الوسائل الدنيئة من كذب وافتراء وتضليل وتحريف لكلام الله تعالى ، واستخدموا المال في تحقيق مآربهم ورد المسلمين عن دينهم ، فسجل القرآن عليهم كل ذلك .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا . » [4]

« ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ... » [5]

« ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. » [6]

« يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون . » [7]

« ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم

---

(١) آل عمران ٢١ .

(٢) النساء ١٥٥ .

(٣) المائدة ٧٠ .

(٤) النساء ٤٦ .

(٥) المائدة ٤١ .

(٦) الصف ٧، ٨ .

(٧) آل عمران ٧١ .

تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون . »[1]

المكر والكيد :

واتصف اليهود بالمكر والخداع والكيد . وعانى المسلمون الاول من صفاتهم هذه الشيء الكثير ، ولم يزل المسلمون يعانون الويلات من جراء مكر اليهود وخبثهم وخداعهم .

«وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال . »[2]

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . »[3]

« ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط . »[4]

« يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم . »[5]

« ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . »[6]

وسبحان الله العظيم سجل في قرآنه الكريم خطط اليهود الماكرة في تغيير دينهم في الظاهر ، من أجل تحقيق غاياتهم وتحطيم غيرهم ممن هم ليسوا على دينهم ولقد شهد القرن العشرون خاصة ، عملية بارزة في التاريخ الحديث استطاع فيها اليهود الذين غيروا دينهم وتظاهروا باعتناق الاسلام ، ان يسهموا في القضاء على الخلافة الاسلامية . وسيأتي تفصيل ذلك في فصل مقبل .

عبادة الذهب وأكل المال الحرام :

الذهب معبود اليهود الاول والاخير ، يقدسونه ويتبعون مختلف الوسائل

---

(١) الانفال ٣٦ .
(٢) ابراهيم ٤٦ .
(٣) الانفال ٣٠ .
(٤) آل عمران ١٢٠ .
(٥) المائدة ٤١ .
(٦) التوبة ٥٦ .

لجمعه وتكديسه ، ثم يستخدمونه في تحقيق مآربهم وخططهم لحكم العالم وتدمير القيم والاخلاق والقضاء على الديانات غير اليهودية . لقد عبدوا الذهب قبل موسى وفي ايام موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم ما زالوا يعبدونه حتى يومنا هذا .

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . »[1]

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين » . [2]

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون . » [3]

« وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . » [4]

« سماعون للكذب اكالون للسحت ... » [5]

المكابرة ونقض العهود :

برع اليهود في المكابرة والتطاول على الله سبحانه وتعالى . فتارة يدعون انهم اغنى من الله، وتارة يصفون الله بالبخل، وتارة اخرى يزعمون انهم اولياء الله . ومع انهم في حقيقة امرهم عصبة اجرامية تمزقها الاهواء المتنافرة والبغضاء المستحكمة في نفوسهم ودمائهم ، فانهم يتظاهرون امام غيرهم كتلة واحدة . وهم منذ ايام موسى ويشوع ، شيع واحزاب . ونجد في ايامنا هذه ان في الدولة المغتصبة اسرائيل اكثر من عشرة احزاب متنافرة متناحرة . والانتصارات التي يحققها اليهود في العالم ليست ناجمة عن قوتهم وانما عن ضعف الشعوب الاخرى من غير اليهود ، وجهلها وانخداعها وتفرق كلمتها امام العدوان

(١) البقرة ٩٢ .
(٢) الاعراف ١٤٨ .
(٣) التوبة ٣٤ ، ٣٥ .
(٤) المائدة ٦٢ .
(٥) المائدة ٤٢ .

اليهودي الدائم .

« وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين . »[١]

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق . »[٢]

« قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . »[٣]

« بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون . »[٤]

الفحشاء والمنكر :

وعاش اليهود طوال حياتهم بوْرة فساد ومنكر وفحشاء ، ينشرون الرذيلة في العالم ويحاربون الفضيلة في كل مكان ، تنفيذا لما ورد في توراتهم وتلمودهم من دعوة سافرة الى الفسق والفجور والدعارة .

« لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . »[٥]

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون . »[٦]

وصدق الله العظيم ، فقد كان اليهود وما زالوا مصدرا للمنكر والفحشاء .

---

(١) المائدة ٦٤ .
(٢) آل عمران ١٨١ .
(٣) الجمعة ٦ .
(٤) الحشر ١٤ .
(٥) المائدة ٧٨ ، ٧٩ .
(٦) النور ١٩ .

انهم اصحاب بيوت الدعارة في العالم وناشرو الانحلال الجنسي في كل مكان . انهم يسخرون المال الذي سرقوه من دماء الشعوب في اشاعة الرذيلة من اجل تحطيم القيم الخلقية عند الناس كافة . انهم اعداء الداء لكل ما له صلة بالشرف الانساني . انهم يحتقرون البشر ويستحلون سرقة مال غير اليهود وتدنيس اعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم . واليهود في خطتهم هذه لا يخسرون شيئا ، لانهم لا شرف عندهم ولا كرامة ولا ضمير . وينطبق عليهم قول الشاعر علي بن الجهم :

بلاء ليس يعقبه بلاء　　عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه　　ويرتع منك في عرض مصون

الربا :

لجأ اليهود من أجل سرقة مال غير اليهود الى وسيلة دنيئة غدت وقفا عليهم ورمزا على جشعهم ، فبرعوا فيها واتقنوا فنها . ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والاسر نتيجة ممارستها ، وتلك الوسيلة هي الربا . وحين جاء الاسلام حاربهم في اعز ما لديهم في الحياة ، حاربهم ،في جشعهم وحبهم لابتزاز مال غيرهم . حاربهم في الركن الاساسي الذي تقوم عليه انظمة حياتهم الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غير اليهود في سبيل تأمين حياة رغدة لشعب الله المختار. حارب الاسلام الربا عدو الانسانية والسيف البتار الذي يقطّع به اليهود النظام الاجتماعي للبشر كافة .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم . » (١)

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل

(١) البقرة ٢٧٥،٢٧٦ .

وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما . » [1]

« يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التي اعدت للكافرين . » [2]

الذلة والمسكنة والخزي :

الله العلي القدير عالم بحقيقة هذا النفر من عباده ، في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة الى يوم الدين ، واخزاهم بشر اعمالهم . ومهما حاولوا التظاهر بالقوة والمنعة فان كلمة الله هي العليا ، والقرآن يسجل آراء السماء وارادة السماء وحكم السماء .

« واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . » [3]

« ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . » [4]

« ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . » [5]

« افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون . » [6]

---

(١) النساء ١٦٠ ، ١٦١ .
(٢) آل عمران ١٣٠ ، ١٣١ .
(٣) البقرة ٦١ .
(٤) آل عمران ١١٢ .
(٥) الاعراف ١٥٢ .
(٦) البقرة ٨٥ .

كان طبيعيا ان يقع الصدام المسلح بين اليهود والمسلمين، بعد ان ظهر بجلاء ان **الاسلام** يدعو الى مثل عليا تتعارض مع ما يدعو اليه اليهود .

فالاسلام دين اقدام وفداء واليهود جبناء رعاديد . **الاسلام** يلائم الطبيعة البشرية من حيث الاعتدال في أحكامه وانظمته ليسهل تطبيقه في كل زمان ومكان .

الاسلام يدعو إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله .

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... » [1]

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » [2]

واليهود يدعون اتباع دينهم الى تطبيق انظمة كهنوتية قاسية وطقوس عجيبة تجعل من المستحيل تنفيذ تعاليم اليهودية كما وردت في التوراة والتلمود .

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ... » [3]

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالّتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون . » [4]

واليهود يدعون الى الكفر والالحاد ولا يعترفون بالانبياء بل يقتلون بعضهم.

الاسلام يدعو الى المساواة ويحارب العنصرية .

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم . » [5]

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . » [6]

---

(١) البقرة ٢٨٦ .

(٢) البقرة ١٨٥ .

(٣) البقرة ٢٨٥ .

(٤) العنكبوت ٤٦ .

(٥) الحجرات ١٣ .

(٦) أول سورة النساء .

واليهود يؤمنون بانهم شعب الله المختار ، وانهم ابناء الله وما عداهم من من البشر حيوانات ناطقة مسخرة لخدمة السادة اليهود وتحقيق السعادة لهم. وقد هدم الاسلام هذه العقيدة من اساسها وجعل التقوى والصلاح اساس المفاضلة بين الناس.

الاسلام يدعو الى الصدق والحق والعدل ، واليهود يدعون الى الكذب والافتراء والظلم والعدوان .

الاسلام يدعو الى مكارم الاخلاق ، واليهود يدعون الى الفسق والفساد والمنكر والبغي .

الاسلام يدعو الى البذل في سبيل الله ومن اجل مساعدة الفقراء والمساكين ، واليهود يدعون الى البخل واحتكار مصادر الثروات وكنز الذهب والفضة لاستخدام الاموال في سبيل السيطرة على العالم .

الاسلام يدعو لحفظ العهود والمواثيق ، واليهود لاعهد لهم ولا ميثاق .

الاسلام يدعو الى التسامح والتواضع والمحبة ، واليهود يدعون الى التعالي والغرور والحقد والكراهية .

الاسلام يحارب الربا والاستغلال ، واليهود يبنون اركان حياتهم على الربا وسرقة مال غير اليهود بمختلف الوسائل .

الاسلام يدعو الى التحلي بالفروسية من كرم وشجاعة واباء وغيرة ونخوة وشهامة لحماية الضعيف والدخيل والجار ، واليهود جبناء غدارون لا يتحلون بشيء من هذه الصفات النبيلة .

الاسلام دين امن وسلام ، لا يحمل السلاح الا في سبيل الله ودفاعا عن العقيدة ، واليهود نشأوا منذ خلقهم الله سفاكين مدمرين تأمرهم توراتهم وتلمودهم بابادة غير اليهود تقربا الى رب الجنود يهوه .

الاسلام يدعو الى الايمان بالآخرة وبالحساب والجنة والنار ، واليهود لا يؤمنون بالآخرة ، وكل هدفهم ان يحققوا اكبر قدر من المتعة في حياتهم الدنيا .

الاسلام يحترم المرأة ويحفظ عليها شرفها ويصون كرامتها ، واليهود يحتقرون المرأة ويستخدمونها سلعة رخيصة مبتذلة لجمع المال وتحقيق الاغراض الدنيئة.

الاسلام يحرم قتل النفس الا بالحق ويحرم السرقة والزنى ، واليهود يحلون سفك دم غير اليهود وسرقة اموالهم وهتك اعراضهم. صحيح ان وصاياهم العشر

تنهى عن القتل والسرقة والزنى ، بيد أنهم فسروها لحسابهم وعلى هواهم ، فاصبحت كلمة « لا تقتل » تعني لا تقتل اليهودي ، و « لا تسرق » تعني لا تسرق اليهودي ، و « لا تزن » تعني لاتزن باليهودية وهكذا ...

الاسلام دين عالمي ، جاء للناس كافة ، واليهودية دين خاص ببني اسرائيل احتكروه ولم يعملوا على نشره . وقد حرم التلمود على اليهود ان يبشروا بدينهم الخاص . [1]

واخيرا وقع الصدام المسلح بعد ان اعيت الحيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخفقت جميع محاولاته لمهادنة اليهود وموادعتهم والتسامح معهم وتركهم على دينهم . وظن اليهود في بادىء الامر ان النبي الجديد ربما عاملهم بالسلبية التي عاملهم بها المسيح عليه السلام ، حين كان يتحمل كل مساوئهم وجرائمهم ومؤامراتهم ، الى ان استسلم لكهنتهم لينفذوا فيه حكم الصلب (كما زعموا) . ولم يدرك يهود الحجاز ان الاله العلي القدير ، وقد جرب معهم سلبية المسيح فلم تنجح ، لا بد مغير ارادته وخططه . فجاء بالاسلام ودستوره جهاد في سبيل الله وتضحية وفداء . ولقد صور الفرق بين الدستورين المسيحي والاسلامي ، شاعر عربي كبير هو رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) ، في قصيدته التي حيا بها سلطان الاطرش قائد الثورة السورية سنة ١٩٢٥ م والتي جاء فيها : [2]

فتى الهيجاء لا تعتب علينا	واحسن عذرنا تحسن صنيعا
تمرستم بها ايام كنا	نمارس في سلاسلنا الخضوعا
فأوقدتم لها جثثا وهاما	واوقدنا المباخر والشموعا
اذا حاولت رفع الضيم فاضرب	بسيف محمد واهجر يسوعا
« احبوا بعضكم بعضا » وعظنا	بها ذئبا فما نجت قطيعا
فيا حملا وديعا لم يخلف	سوانا في الورى حملا وديعا
غضبت لذات طوق حين بيعت [3]	ولم تغضب لشعبك حين بيعا

(١) ولفنسون ، ص ٧٢ .

(٢) ديوان القروي ، مطبعة صفدي ، صنبول ١٩٥٢ ، ص ٢٥٧ .

(٣) اشارة إلى غضب المسيح على باعة الحمام في الهيكل .

الا انزلت انجيلا جديدا ... يعلمنا اباء لا خنوعا
شفعت بنا امام اب رحيم ... وما نحتاج عند اب شفيعا
اجرنا من عذاب النير لا من ... عذاب النار ان تك مستطيعا

وكان أول احتكاك إيجابي بين المسلمين واليهود ، ما وقع من بني قنيقاع في المدينة نفسها ، يوم نقضوا العهد وتعرضوا لسيدة مسلمة كانت تمر بسوق بني قنيقاع ، وجلست إلى صائغ منهم ، فعمد إلى ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . وتجمع اليهود على المسلم فقتلوه ، وكانت الشرارة التي حملت الرسول صلى الله عليه وسلم على محاصرتهم خمس عشرة ليلة . وحين استسلموا شفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول واكتفى الرسول باجلائهم عن المدينة[1] .

والعمل الإيجابي الثاني ضد اليهود ، ما كان من غدر بني النضير ومحاولاتهم وتآمرهم على قتل النبي الكريم . فحاصرهم الرسول وقواته ست ليال من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة . وحين لم تصلهم النجدات استسلموا فسمح لهم الرسول ﷺ ان ينقلوا معهم جميع ما يستطيعون نقله من أموال . فنزحوا إلى خيبر في شمال الحجاز[2] ، بعد أن خربوا منازلهم قبل رحيلهم ، وفي هذا ورد في القرآن الكريم :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار » [3] .

والعمل الإيجابي الثالث ، هو ما كان من عداء يهود بني قريظة الشديد للمسلمين وتعاونهم مع كفار قريش وغطفان لمحاربة المسلمين ، وقد أسهم يهود بني قريظة مع إخوانهم يهود بني النضير في تأليب أحزاب قريش وتشجيعها

---

(١) ابن هشام ، ج ٣ ، ٥٠ ، ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣) الحشر ٢ .

على محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام . وحين تجمع جيش الكفار حول المدينة كانت حصون بني قريظة جزءاً من خطة الجيش الزاحف وعدده أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، وعدد جيش المسلمين لا يزيد عن ثلاثة آلاف[1] . وبعد أن نصر الله محمداً وجيشه وانسحب كفار قريش في موقعة الخندق ، اتجه الرسول عليه الصلاة والسلام لمحاربة بني قريظة واستئصال شأفتهم . فحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة من أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة سنة خمس للهجرة. واستسلم بنو قريظة، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فقضى بأن تقتل رجالهم المحاربون وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم[2] ، جزاء ما قدمت أيديهم من شر وإساءة للإسلام والمسلمين . ولقد كان هذا الجزاء الصارم من الرسول العظيم الحكيم الحليم العادل ، دليلاً على ما عاناه المسلمون من بلاء كبير على أيدي اليهود الغادرين الذين كانوا يشكلون تهديداً خطيراً للدعوة الإسلامية ولما تزل في مهدها . ولو قدر لخطة يهود بني قريظة ان تنجح وانتصروا مع قريش على المسلمين في معركة الخندق ، لما قامت للإسلام قائمة .

والاحتكاك الرابع والأخير مع يهود الحجاز ، هو ما وقع من تجمع يهود الحجاز في خيبر وتحصنهم في حصونها الكثيرة ، مما جعل الرسول القائد أن يشعر بالقلق وعدم الاطمئنان لليهود وهم يشكلون خنجراً مسموماً في ميسرة المسلمين . فسار إليهم الرسول ﷺ في السنة السابعة للهجرة . وشرع يفتح حصونهم الواحد تلو الآخر . وحينما يئس اليهود استسلموا وسألوا الرسول أن يحقن دماءهم ، وان يسمح لبعضهم في إدارة شؤون الأملاك . واطمأن الرسول ، فغدرت به امرأة يهودية منهم بأن قدمت له شاة مشوية بعد أن سمتها . فلما لاك عليه الصلاة والسلام مضغة منها لم يسغها فلفظها . وظل رسول الله ﷺ يشكو من تلك الأكلة حتى مات فيها[3] .

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بلغه أن رسول

---

(١) ابن هشام ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٤٣ .

(٢) الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ٣٢ .

(٣) ابن هشام ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

الله ﷺ قال في أيامه الأخيرة : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » . وبعد أن تثبت عمر من صحة حديث الرسول الكريم ، أرسل إلى بقايا يهود خيبر يأمرهم بالجلاء ، إلا من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ [1] .

وهكذا تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود الذين كانوا شوكة في حلق الإسلام أول عهده . فقد حاربوه دون هوادة ، مستخدمين جميع فنون الغدر والدس والحقد ، بعد أن أدركوا أنه دين الحق ، دين زاحف جاء للناس كافة ، وليس كدينهم الخاص بهم ، يحتكرونه لانفسهم جاعلين من انفسهم سادة البشر ، كارهين الناس جميعا ، في اسلوب حياة همجي جلب عليهم الخراب والدمار ، وجلب للعالم الشقاء والبلاء . [2]

---

(١) البلاذري ، ص ٣٩ .

(٢) خطر اليهودية ، ص ٥٢ .

الفصل الرّابع

أسلحة التنفيذ

(١) الماسونية :

وهي اخطر الجمعيات السرية في العالم ، واقدمها وابعدها اثرا في مجرى احداث التاريخ . ويطلق عليها أحيانا شيعة الفرماسون (Freemason) ، أو البناؤن الاحرار . ولا أعرف جمعية فعلها نقيض اسمها أكثر من الماسونية . واسم « البناؤن الاحرار » يوحي بالخير ، لان البناء عمل خير والحرية هدف اسمى في الحياة . بيد أن الفعل الذي تنفذه هذه الجمعية سداه الهدم ولحمته التخريب والعبودية . وهي تسري في جسم الامة سريان الافيون المخدر أو السرطان المميت . والماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الاديان (المسيحية والاسلام) والمجتمعات الانسانية ، تمهيدا لتسلط دولة اليهود على العالم . ولما كانت الماسونية سلاحا رهيبا من اسلحة اليهودية العالمية ، فقد اهتممت بها ، وضممتها الى هذا البحث ، لاعتقادي بانها اسهمت في كل ما نال العالم من شقاء وويلات وبلاء .

لقد اختلف المؤرخون ، حتى الماسون منهم ، في تحديد تاريخ نشأة الماسونية . فمنهم من قال بحداثتها وانها لا ترجع الى ما وراء القرن الثامن عشر . ومنهم من قال انها انشئت من جمعية الصليب الوردي التي تأسست سنة ١٦١٦ م

ومنهم من اوصلها الى الحروب الصليبية ، وآخرون تتبعوها الى ايام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد . ومنهم من قال انها انشئت في هيكل سليمان ، وفئة تقول انها ترجع الى عهد الكهنة المصريين .[1] ولا تخلو تعريفات الماسون لحركتهم من ردها الى عهد بناء هيكل سليمان . وقد ذكر اقطابهم من امثال جورجي زيدان وشاهين مكاريوس وايليا الحاج انها ترجع الى ايام هيكل سليمان .[2]

اما الاب لويس شيخو فانه ضمها الى الجمعيات السرية التي نشأت في اول عهد المسيحية متسترة تحت السرية المظلمة ، فتدعى ظاهرا ترقية العلوم او التقرب من الآله ، وهي في الواقع بؤرة تهتك وفساد ودعارة ، لا هم لها سوى بث الفساد والحقد والاكاذيب والتهم ضد المسيحيين الاول ، وان تظاهرهم بخدمة العلوم لم يكن الا اوهاما ، استعاروها من التنجيم وفنون السحر عند اليهود . وغايتها الحقيقية تعظيم قوى الطبيعة ورفع الانسان الى مصاف الاله .[3]

والمؤرخ الشهير هورتر ، يؤكد الصلة الوثقى بين شيع الكثاريين والاليجيين التي تألفت من بقايا المانويين في جهات البلغار والبشناق ، وزحفوا الى انحاء ايطاليا وجنوبي فرنسا ، وانتشروا هناك كالوباء الفتاك في القرن الثاني عشر ، يخربون البلاد ويهتكون الاعراض وينشرون الامراض والفسق والشر . ويثبت هورتر في كتابه (تاريخ اينوسنت الثالث ص ٢٨٤ ، ٢٨٦) الذي نشره سنة ١٨٤٠ ، الصلة بين تلك الشيع السرية وبين شيعة الماسون فيقول :

« ان من يعتبر نظام الشيعة الماسونية الباطن وما تكيده من المكايد منذ نحو ستين سنة لمناوأة الكنيسة الكاثوليكية ، ثم يقابل بين مبادئها ومبادىء شيع الكاثريين المعروفة لا يسعه الا الاقرار بالتوافق الموجود بينهما ليس فقط من حيث المبادىء العمومية ولكن ايضا في دقائق الامور . فان الشيعتين كلتيهما تجاهران بحرية الانسان التامة واستقلاله من كل سلطة عليا . كلتاهما تبغض البغض

(١) لويس شيخو ، السر المصون في شيعة الفرمسون ، بيروت ١٩١٠ ، ص ٦ .
(٢) الدكتور سيف الدين البستاني ، اوقفوا هذا السرطان ، دمشق ١٩٥٩ ، ص ٢٤ .
(٣) لويس شيخو ، ص ٨ .

التام كل نظام للهيئة الاجتماعية ولشرائع العمران وعلى الاخص القوانين الكنسية كلتاهما تحرص على سرها فلا تكشفه الا للذين اختبرتهم زمنا طويلا واذا اعلنته بالاقسام المحرجة بكتمه عن كل غريب بل عن اقرب الاصدقاء والاهل. لكلتيهما رؤساء مجهولون لا يعرفهم الا بعض الافراد . وكذلك اعضاؤهما يتعارفون برموز سرية واشارات خفية يطوونها عن سواهم . وترى كلتا الشيعتين اذا خافت على نفسها تظاهرت بالمراء وجاهرت بالدين لخدع الجمهور واني اقدر ان اؤكد التأكيد التام ان كل ما حدث في اوروبة من الفتن والثورات او الانقلابات السياسية منذ اكثر من نصف قرن ، انما كان من اعمال تلك الشيع السرية التي خلفت شيعة الاليجيين ، » [1]

والصلة بين الماسونية وشيعة القباليين (Kabbale) اليهودية متينة واضحة . فهذه الشيعة التي انتشرت في القرون الوسطى ومزجت بين التعاليم الفلسفية والاضاليل السحرية ، نقلت الى الماسونية اسرارها ورتبها وطقوسها وشاراتها . وقد غدت الماسونية النهر الكبير الذي تصب فيه الجداول ممثلة في الجمعيات والحركات الشريرية التي نشأت من عهد المسيحية الاول الى القرن الثامن عشر . [2]

ووجدت الماسونية في البروتستانتية خير سند لها في حربها ضد الكثلكة ، وتبادل الفريقان الخدمات . الماسون يساندون البروتستانت لاذكاء نار الحرب بين الفرق النصرانية ، والبروتستنت ينخرطون في محافل الماسون للاستفادة من نشاطهم السري ومؤامراتهم ودسائسهم . وفي اوائل القرن الثامن عشر وجدت الماسونية في الفلاسفة الملحدين مثل فولتير وروسو ودالمار وفردريك ملك بروسيا ، انصاراً تكاتفوا في هدم اركان الدين وتخريب الممالك والعروش . [3] وفي سنة ١٧١٧ م اعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها ، وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتي في كل من بريطانيا والمانيا والولايات المتحدة . واسسوا في ذلك العام محفل بريطانيا الاعظم ، واطلقوا على انفسهم اسم البنائين

---

(١) لويس شيخو ، ص ١٠ .

(٢) شيخو ، ص ١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣ .

الاحرار بعد ان كانوا فيما سبق يحملون اسم « القوة المستورة ». وجعلوا من اهداف الماسونية الخادعة الحرية ، الاخاء ، المساواة [1] . وهي اهداف كاذبة زائفةلان الماسونية لا هدف لها الا اخدمة اليهودية العالمية وتأمين سيطرتها على العالم .

ومن بريطانيا انتشر اخطبوط الماسونية فتأسس باشراف محفل بريطانيا الاعظم : [2]

اول محفل ماسوني في باريس سنة ١٧٣٢ م
اول محفل ماسوني في جبل طارق سنة ١٧٢٨ م
اول محفل ماسوني في المانيا سنة ١٧٣٣ م
اول محفل ماسوني في البرتغال سنة ١٧٣٥ م
اول محفل ماسوني في هولندا سنة ١٧٤٥ م
اول محفل ماسوني في سويسرة سنة ١٧٤٠ م
اول محفل ماسوني في الدنمرك سنة ١٧٤٥ م
اول محفل ماسوني في ايطاليا سنة ١٧٦٣ م
اول محفل ماسوني في البلجيك سنة ١٧٦٥ م
اول محفل ماسوني في روسيا سنة ١٧٧١ م
اول محفل ماسوني في السويد سنة ١٧٧٣ م
اول محفل ماسوني في الهند سنة ١٧٥٢ م

وتأسست محافل ماسونية رسمية في اميركا ابتداء من سنة ١٧٣٣ م في بوسطن ومن قبلها في نيويورك واهم المدن في الولايات المتحدة . ولم يأت عام ١٩٠٧ م حتى كان عدد المحافل العظمى في اميركا يزيد على خمسين محفلا يتبعها آلاف المحافل العادية وينخرط في عضويتها اكثر من مليون اميركي. [3]

ومن بريطانيا كذلك ، وتحت اشراف محفلها الاعظم ، تأسست محافل الماسون في كندا واستراليا ونيوزيلندا ومصر والشرق الاوسط . واصبح محفل

---

(١) Encyclopedia Britanica 1911 « Freemasonry »

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع السابق .

بريطانيا الاعظم بالنسبة لمحافل العالم كمكة المكرمة بالنسبة الى المسلمين .[1]

ولم ينقض القرن التاسع عشر ، حتى كانت اذرع الاخطبوط الماسوني المنتشر من بريطانيا تعيث فسادا في جميع انحاء العالم على الشكل التالي :[2]

بريطانيا	٢,٦٠٠	محفل
سكوتلندا	١,٠٠٠	«
ايرلنده	٤٥٠	«
فرنسا (شرق)	٤٠٠	«
فرنسا (سكوتلنده)	٨١	«
ايطاليه	١٩٥	«
برلين	١٣٧	«
المانيه	١٢٨	«
اسبانيه	٠٥٩	«
اسوج	٠٣٥	«
اميركا الشمالية	١,٠٠٠	«
استراليه	٧٠٠	«
اميركا الوسطى والجنوبيه	٥٥٠	«
مصر	٠٣٠	«
سوريا ولبنان	٠١٥	«

وللماسونية مراحل ثلاث ، ابتدائية رمزية وهي التي يدخلها العميان من غير اليهود ، وملوكية متوسطة وهي التي لا يدخلها من غير اليهود الا الحاصلون على درجة ٣٣ ، والكونية وهي التي لا تضم غير حكماء اليهود الذين لا يعرف احد عنهم شيئا ، وهم الذين يوجهون المحافل الماسونية لخدمة اليهودية العالمية .[3]

والماسونية ارهابية من الفها الى يائها ، من الفها حين يقسم الماسوني :

---

(١) خطر اليهودية ، ص ١٤٥ .

(٢) شيخو ، ص ٤٣ .

(٣) خطر اليهودية ، ص ١٤٥ .

« اقسم بمهندس الكون الاعظم في حضرة هذا المحفل الموقر واتعهد امام الحاضرين ان اصون واكتم الاسرار الماسونية التي تباح لي ولا ابوح بشيء منها.. واقسم ايضا اني لا اكتب هذه الاسرار الماسونية التي تباح لي ولا اطبعها ولا ادل عليها وان امنع بكل قدرتي من يريد ان يفعل ذلك كي لا تكشف اسرارنا لغير ابناء عشيرتنا .

اقسم بشرفي بلا مواربة اني احافظ على قسمي هذا واتودد الى اخواني واعضاء محفلي واساعدهم واعاونهم في احتياجاتهم واواظب على الحضور في جلسات المحفل بقدر استطاعاتي واحافظ على طاعة قانون المحفل الاكبر...وان حنثت في يميني اكن مستحقا قطع عنقي واستئصال لساني والقاء جثتي لطيور السماء وحيتان البحر . واني راض بان جثتي تعلق في محفل ماسوني لاضحي عبرة للداخلين من بعدي ثم تحرق ويذر رمادها في الهواء . » [١]

وارهابية الى يأسها لانها كثيرا ما اقدمت على الفتك بالذين يهدي الله بصيرتهم فيبتعدون عن الماسونية وضلالها وفسادها . ويكون القتل بأيدي رجال من الماسون انفسهم تقع عليهم القرعة ، ومن يتخلف عن تنفيذ الاوامر بقتل الماسوني المرتد يعرض نفسه للقتل ايضا وهكذا ... [٢] ويؤكد كلامنا هذا ما حدث حين الغت الجمهورية العربية المتحدة محافل الماسون وصادرت اموالها لصالح الشؤون الاجتماعية في ابريل ١٩٦٤ ، فقد وجدت قوات الامن في محافل الماسون هياكل عظمية بشرية وجماجم كثيرة ورسومات مرعبة ، كانت تعرض على الاعضاء الذين يقسمون اليمين الماسونية لارهابهم . [٣]

وهذا القسم الماسوني اولي يتبعه قسم آخر بعد ان يتدرج الماسوني في الرتب الماسونية وينال ثقة رؤسائه وتبدأ عملية تدمير شخصيته وفصله عن مجتمعه واسرته وتحطيم الروابط المقدسة التي تربطه بوالديه وبأسرته وعشيرته وحكومته ووطنه . فيكون القسم في هذه المرة على الشكل التالي : « اقسم على ان اقطع كل الروابط التي تربطني بمطلق كل انسان ، كالاب والام والاخوة

---

(١) شيخو ، ص ١٨ .

(٢) شيخو ، ص ٩ ، من الكراسة السادسة .

(٣) مجلة القوات المسلحة ١-٦-١٩٦٤ ، ١٦-٩-١٩٦٤ ، آخر ساعة ٣-٦-١٩٦٤ .

والاخوات ، والزوج والاقارب والاصدقاء والملك والرؤساء وكل من حلفت له بالامانة والطاعة وعاهدته على الشكر والخدمة » . [1]

وعلى هذا الاساس دأبت الماسونية على تحطيم الاسرة فجاء في تعاليمها السرية : « ان الامر الجوهري في استمالة الناس الى جماعتنا انما هو افراد الرجل عن عائلته وافساد اخلاقه . فاجتذبوه واسحبوه واذا ما فصلتموه عن امرأته واولاده وجسمتم له مشاق الواجبات الاهلية ومصاعب العيشة البيتية رغبوا اليه العيشة الحرة وانفثوا في قلبه السأم من الديانة ثم خاطبوه بما يحبب اليه الماسونية وادعوه الى الانخراط في مصاف المحفل الماسوني الاكثر قربا . » [2]

وشجعت الماسونية الزواج المدني لتبعد الناس عن رجال الدين الذين يباركون الرباط المقدس بين الزوجين . وانشأ الماسون محافل مختلطة لاجتذاب المرأة لتحريرها كما يزعمون ، وما غاياتهم الا ان ينتزعوا عنها الدين ويلقوا بها في مهاوي الفساد والرذيلة . ولقد هالني ان اجد الدكتور احمد زكي ابوشادي ماسونيا خطيرا ينعي على الناس عدم تشجيع النساء على الانخراط في سلك الماسونية المختلطة ، وينعي على الماسون اجراء مراسيم الزواج في الكنيسة ، ويشجع على تحرير المرأة بشكل يوحي بأنه يسعى الى تدميرها وليس الى تحريرها. فلنقرأ معا ما كتبه ابو شادي في بحثه عن الماسونية حول هذا الموضوع . [3]

« فتحرير المرأة أدبياً وعقلياً لهو أول أمر يجب البدء به للوصول إلى تحرير فكر الرجل ، لأن المرأة بعد الوضع تكون أول مؤدب لطفلها تطبع في ذهنه طباعها وصفاتها التي تبقى خالدة.وان المرأة أسوةبالماضي والحاضر ستكون أيضاً في المستقبل — طالما لم تحررها الماسونية أو النظريات الفلسفية — خاضعة لسوء طالعها تحت التاثيرات الحاطة بقدرها ألا وهي سلطة الكاهن فتربي أولادها وبناتها على نمط التربية التي تلقتها عن أمها ... يتزوج الماسوني في الكنيسة ارضاء لخطيبته الخاضعة لتأثيرات الكاهن ويعمد أطفاله أولاداً وبناتاً حتى لا يعاند امرأته أو أمها أو أمه وجميعهن في قبضة الكاهن ... فكلا الفريقين من الكهنة

(١) خطر اليهودية ، ص ١٤٦ .
(٢) شيخو ، الكراس الثالث ، ص ٢٩ .
(٣) أحمد زكي أبو شادي ، البناية الحرة القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٩٨ — ١٠٣ .

التابعين لكافة المذاهب ومن الماسون المنتمين لعشيرة الرجال متفق مع الآخر اتفاقاً مضمراً على أن يستمر الكاهن في عمله المؤدي إلى إذلال فكرة المرأة أي مناقضة غرض الماسونية التي تعمل لتحريرها ... والمرأة والحالة هذه ليست السبب في بقاء نفسها مستعبدة الفكر ، كما أنها ليست السبب في العجز عن تحرير أفكار أطفالها بنين وبنات ، بل المسؤول عن حالة النساء التعسة هم الآباء الذين ألقوا بهن بين أيدي الكهنة وقتما كن صغاراً ... »

والماسونية لا وطن لها ، وتدعى أنها إنسانية شاملة ، وتدعو الماسون إلى إنكار أوطانهم الأصلية واعتبارها خيال باطل وكذب محض . وتدعو كذلك إلى احتقار الرايات الوطنية التي يلتف حولها الجنود ويفتدونها بأرواحهم ، ويشجعون الجنود على العصيان وقتل ضباطهم[1] .

وتتظاهر الماسونية أنها تهادن الأديان جميعها ، وفي الواقع تحارب الأديان غير اليهودية . ومنذ أن ظهرت الماسونية ، اصطدمت بالمسيحية لأنها كانت ألصق الديانات بها . وحين ظهرت البروتستنتية هادنتها الماسونية وشنت حربها على الكثلكة . ومنذ ظهور الإسلام لم يأل اليهود ثم الماسونية اليهودية جهداً في مقاومته ودس الدسائس وبث الفتن التي تضعف من شأنه[2] .

وفي مجال تأثير الماسونية على الدين وعلاقتها الأولية بالمسيحية ، ومحاولاتها ابعاد التعليم الديني وانشاء التعليم العلماني يقول (Nichlas Hans) في كتابه عن التعليم المقارن[3] :

« منذ إنشاء المحفل الماسوني الأعظم في بريطانيا سنة ١٧١٧م ، كشفت الماسونية عن تعاونها مع الجمعيات السرية الأخرى من أجل محاربة التعليم الديني . واسهمت الماسونية في تأسيس مدارس ثانوية على أسس علمانية تهدف إلى القضاء على نفوذ الكنيسة على التعليم . وسرت تعاليم محافل الماسون البريطانية إلى جميع المحافل في أوربا من أجل تشجيع التعليم العلماني . وكانت الخطة

---

(١) شيخو ، الكراس الثالث ، ص ٢٦ .

(٢) سيف الدين البستاني ، ص ١٠٣ .

(٣) Nicholas Hans, Comperative Education, London: Routledge & Kegan Ltd. 1950 — Chapt. IX pp 179 - 187

تعتمد على انشاء معاهد خاصة في بادىء الأمر إلى أن تتمكن الحكومات من فرض العلمانية على مدارسها الرسمية. وأول معهد خاص انشىء على أسس علمانية في بريطانيا كان في سنة ١٧١٩م وانشأه الماسوني مارتن كلير (Martin Clare) وسرت العدوى إلى أوربا وقامت حرب شعواء بين دعاة العلمانية وأغلبهم من الماسون وبين الكنيسة التي كانت تسعى إلى المحافظة على نفوذها في المدارس والجامعات. ونجح الماسون في زعزعة سلطان الكنيسة في فرنسا منذ أواسط القرن الثامن عشر، حيث استطاع مونتسكيو ولاشالوتي (La Chalotais) متأثرين بماسون بريطانيا، ان يهاجما بصراحة سلطة الكنيسة على التعليم، ويطالبا بالتعليم العلماني حسب مناهج دراسية لا تخضع لسلطان الدين. وشالوتي هذا كان من كبار رجال الدولة، وتبعه رئيس برلمان باريس (رولاند) الذي قدم للبرلمان نظاماً قومياً للتربية يفصل بين التعليم والكنيسة، والاثنان ماسونيان. وأدرك البابوات خطر الماسونية وخططها لهدم الدين باقصائه عن التعليم، فصدرت أول نشرة بابوية ضد الماسونية سنة ١٧٣٨م وصدر مثلها سنة ١٧٤٠م وسنة ١٧٥١م وتقبل الماسون الحرب البابوية بصدر رحب، لأنهم كانوا واثقين من سيطرتهم على أغلب حكومات أوربا العلمانية، وان الوزراء الماسون ينتشرون في جميع حكومات أوربا. وأول صدى للحرب بين الماسون والكنيسة كان في البرتغال سنة ١٧٥٩م يوم اضطهد الوزير الماسوني بومبال (Pombal) جمعية المسيح وقضى عليها بشراسة، وصادر أملاكها وانشأ بدلاً منها كلية علمانية. وتبعه زميله الماسوني (Duc de Choiseul) في فرنسا، الذي حل الجمعية سنة ١٧٦٤م، وكذلك فعل رئيس وزراء اسبانيا الماسوني (Count de Arnada) سنة ١٧٦٧م. وتبعهم كذلك الوزير الالماني (Du Tilloz) والأمير الالماني (Kaunits) وكلاهما ماسونيان. ونتيجة لضغط الماسون في مختلف الحكومات الأوربية اضطر البابا إلى اصدار نشرة يحل بموجبها جمعية المسيح ويسمح بمصادرة أملاكها للمدارس والمعاهد العلمانية وذلك في سنة ١٧٧٣م. وتأثرت المستعمرات الامريكية بحركة الماسونية العلمانية من أوائل القرن الثامن عشر. وحين جاء فرانكلين سفيراً للولايات المتحدة في فرنسا سعى إلى توحيد محافل الماسون في محفل واحد عظيم، يضم صفوة القوم والمفكرين. وتأسس محفل باريس سنة ١٧٨٠م ليضم

الصفوة المختارة من أمثال .

Voltaire, Condorcet, Sieyes, Romme, Camilla Desomoulius, Dunlon, Petion, Brissot.

واعتبر محفل باريس هذا قدوة لجميع المحافل في أوربا وأمريكا ، وكان هدفه الأول فصل الدين عن التعليم ونشر العلمانية . وتبادل حكام أوربا وأمريكا وقادة القارتين النصح والتوجيه من أجل تحقيق أهداف الماسونية في خلق أنظمة التعليم الحديثة (العلمانية) .

وفي المانيا ناصر كل من هنريخ وبستلوزي وفروبل سياسة التعليم العلماني ، وكانوا من الماسون . وفي القرن التاسع عشر كان الالماني كروز (Krause) نبياً للماسونية ومحافلها في المانيا واسبانيا ، وكان يدعو إلى العلمانية كذلك ...

وتلك الدعوة الغلمانية التي حملت الماسونية لواءها ، تبدو في ظاهرها بريئة تقدمية مع أنها في الواقع دعوة يهودية تهدف إلى القضاء على الأديان لحساب الدين اليهودي ، وترمي إلى تفكيك المجتمع واثارة الفوضى الاجتماعية . وحين اشتد ساعد الماسون في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يخفوا أغراضهم في محاربة الأديان . فصدرت تصريحات عديدة من محافلهم وفلاسفتهم وكتابهم ، تكشف القناع عن الحقد الماسوني على الأديان ومنها [1] :

١ — جاء في النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في يوليو ١٨٥٦م :

« نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان ، لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا . ولن نرتاح إلا بعد اقفال جميع المعابد . »

٢ — قال كوكفيل في محفل ممفيس بلندن . « إذا سمحنا لمسيحي أو مسلم بالدخول في أحد هياكلنا ، فإنما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد عن أضاليله ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه » .

٣ — في المؤتمر المنعقد في لييج سنة ١٨٦٥م بحضور مندوبين من المانيا واسبانيا وروسيا وانكلترا وفرنسا ، أوضحوا غاية الماسونية بقولهم : « انها

---

(١) سيف الدين البستاني ، ص ١٠٧ — ١٠٩ .

تغلب الإنسان على الرب الموهوم والنفور من الإله » .

٤ ــ قالت النشرة الماسونية في ١٥ ديسمبر ١٨٦٦م : « علينا نحن الماسون ان نتحرر من كل اعتقاد بوجود الله ، لأنه لم يبق أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمقى ، وعلينا ان نتصور الله ينبوعاً لكل استبداد وظلم » .

٥ ــ وقالت النشرة الماسونية سنة ١٨٩٥م ص،٣٠ « ان الماسونية تعتبر كل الفرائض الدينية كأعمال حقارة بالإنسان وبكمال البشرية في عقلها وآدابها . ولا يسوغ لأحد ان يرقى إلى مستوى الماسون إلا بعد ان يوقع صكاً بأن أولاده لا يشتركون مطلقاً بالفرائض الدينية » .

٦ ــ وجاء في نشرة سنة ١٨٩٧م ص،٥٤ « يجب أن لا تقبل الماسونية الأشخاص المتدينين لأن الماسوني الحقيقي لا يكون متديناً » .

٧ ــ وقال دلبس مقدم الشرق الأعظم سنة ١٩٠١م « ان انتصار الجليلي قد دام عشرين جيلاً ، وها هو قد سقط بمساعينا ، هذا الاله الكاذب ، ونحن الماسون يسرنا ان نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة ، والماسونية انشئت كي تناصب كل الأديان العداء وتشن عليها الحرب » .

٨ ــ وجاء في نشرة ١٩٠٣م ص٨٦ « لا يكفي التغلب على الأديان والمعابد ، والقصد هو محو الأديان . وبعد ان نفرق الدين عن الدولة نبدأ بمحاربة الاله » .

٩ ــ وجاء في نشرة ١٩١١ « لا تنسوا أننا نحن الماسون أعداء الأديان ، لذا فإننا في مجتمعاتنا نصرف كل قدرتنا لمحو أقل تظاهر ديني » .

١٠ــ وجاء في نشرة ١٩٢٢م ص١٣ « ستقوم الماسونية مقام الدين والمحافل مقام المعابد » .

١١ــ وجاء في محاضرات محفل الشرق سنة ١٩٢٣م ص٤٣١ « يجب أن تبقى الماسونية لملة واحدة وعليه يقتضي محو جميع الأديان وتابعيها » .

١٢ــ وقال يوسف روزن في كتابه « الشيطان وشركاؤه » . ان المنتظم في الدرجة ٣٣ عليه ان يسعى للاشاة الأديان لأنها خيانة . أما الوسائل التي نستعملها للوصول إلى غاياتنا فكلها حسنة شرط ان تنجح فالغاية عندنا

تبرر الواسطة » .

وقد اكتشف الكاتب الكبير هورتر حقيقة النفاق الماسوني فقال :

« ان الماسونية تختلف باختلاف البلاد التي تنشأ فيها ، فهي في فرنسا وايطاليا واسبانيا عريقة في الكفر تجاهر به ، وفي انكلترا والمانيا والولايات المتحدة أحرص قليلاً على الدين والآداب الاجتماعية ، وقس على ذلك ، فإنها في كل بلد تخاف فيه الفشل والخذلان ، تخفف من محاربتها للدين كبلاد الشرق مثلاً ، على ان مبادىء الماسونية بصورة عامة ، تتفق من حيث المنبع والمرجع على دك صرح كل مذهب أو دين ، ونقض كل نظام ، والتشكيك بكل قيمة أو شريعة ، حتى تمحو كل شيء قائم وتقيم على انقاضه ، دعائم التلمود اليهودية وتعاليمه العنصرية المتعصبة [١] » .

والماسونية حركة يهودية صميمة ، هدفها خدمة أغراض اليهودية العالمية في تدمير الأديان وتمزيق الشعوب ، تمهيداً لسيطرة اليهود على العالم ، تحقيقاً لتعاليم توراة اليهود وتلمودهم وأحلام كهنتهم .

ففي سنة ١٨٦١م قالت النشرة اليهودية (La Verite Israelite) [٢]

«The spirit of European Freemasonry is the spirit of Jerusalam in its most fundamental beliefs; it is its ideals, its language, it is mostly its organization. The hopes wich enlightens and supports Israel. Its growing will be that wonderful prayer - house of which Jerusalem will be the trimphal center and symol.»

ومعناها :

« ان روح الماسونية الأوربية هي روح اليهودية في معتقداتها الأساسية ، لها نفس المثل واللغة وفي الأغلب نفس التنظيم . والآمال التي تنير طريق الماسونية وتدعمها ، هي الآمال التي تنير طريق اسرائيل وتدعمه . ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع حيث تصبح القدس رمزاً وقلباً منتصراً » .

وقال اليهودي (Piccolo Tiger) رئيس جمعية هوت فنت رومين Haute Vente Romaine اليهودية بتاريخ ١٨٢٢/١/١٨م ما معناه :

« ترغب جمعية هوت فنت بأية وسيلة ان يلتحق أكبر عدد ممكن من الأمراء

---

(١) سيف الدين البستاني ، ص ١٠٩ .

(٢) نشرة The Key to Mystery, Christian Nationalist Missouri 1938

بالماسونية . ان الأمراء من ذوي الدم الملكي يطرون طموحهم للشهرة .. اعدوهم للماسونية الأوربية .. عندها تقوم الهوت فنت بعمل المستطاع لتكون مفيدة في هذا المجال . سيعمل الأمراء موقتاً على اجتذاب المعتوهين والمتآمرين والغشاشين والعاطلين عن العمل . وهؤلاء الأمراء المساكين يخدمون قضيتنا من حيث يظنون أنهم يخدمون أنفسهم . انها لخدعة كبرى . ولسوف نجد دائماً الكثيرين ممن يرغبون في زج أنفسهم بمؤامرات يظن كل أمير أنه الرابح من ورائها [1]..

وقال الحاخام الدكتور (Isaac Wise) في مجلة The Israelite of America بتاريخ ٣ اغسطس ١٨٦٦م [2] :

«Masonry is a Jewish institution whose history, degrees, charges, pass-words, and explanations are Jewish from beginning to end.»

ومعناها :

« الماسونية موسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفي ايضاحاتها ، يهودية من البداية حتى النهاية » .

وقالت دائرة معارف الماسونية الصادرة في فيلادلفيا سنة ١٩٠٦م :

« يجب ان يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك ، وان يكون كل استاذ على كرسيه ممثلاً للملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي » .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣م ج ٥ ص ٥٠٣ :

« ان اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوربية ملأى بالمثل والاصطلاحات اليهودية . ففي محفل سكوتلند تجد التواريخ الموضوعة على المراسلات والوثائق الرسمية ، كلها بحسب تقويم العصر والأشهر اليهودية ، وتستعمل كذلك الأبجدية العبرية » .

والأدلة على يهودية الماسونية في تاريخها وطقوسها واسرارها وألفاظها ، ثابتة موكدة ، وردت في مراجع عديدة ، اخترت منها ما جاء في كتاب لماسوني عريق هداه الله وارتد عن الضلال الماسوني بعد أن وصل إلى أعلى الدرجات :

---

(١) النشرة السابقة . والنص الانجليزي في خطر اليهودية ، ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق .

استاذ اعظم اقليمي فخري . مندوب سام عام على شروق سوريا وفلسطين والعراقين . حائز درجة ٣٣ (أعلى الدرجات الماسونية العامة) . رئيس أول لدرجة العقد الملوكي . مؤسس عشرة محافل رمزية وثلاث مقامات لدرجة ١٨ ، ومجلس شيوخ حكماء لدرجة ٣٠ . رئيس محفل الحاج في بيروت . حائز على عشرة أوسمة ذهبية من محافل ومقامات ومجالس مختلفة ووسام خاص لدرجة ٣٣ من المجلس السامي العالي المصري . أول من أدخل الماسونيةللوطنيين في العراقين العربي والعجمي . أول من استحصل على مأذونية للماسونيةالنسائية السورية اللبنانية اسوة بالنساء الغربيات . صاحب جريدة الوقائع الماسونية[١] .

ذلكم هو يوسف الحاج الذي وضع كتاباً خطيراً يفضح الماسونية وأسرارها وغاياتها . اقبس منه ما جاء عن الرموز اليهودية التي تستعملها الماسونية الرمزية العامة والماسونية الملوكية (العقد الملوكي) . وسبق أن ذكرنا ان الماسونية الرمزية العامة تضم العميان من غير اليهود ، وماسونية العقد الملوكي لا يدخلها إلا اليهود والحاصلون على درجة ٣٣ من الماسون العميان . وحين يكتب يوسف الحاج عن الماسونية فإنه يكتب بقلم الخبير الصادق الذي اطلع على أسرار الماسونية وخوله مركزه فيها من سبر غورها والوصول إلى أعماقها . يقول يوسف الحاج :

١ — يسمي الماسون الرمزيون المكان الذي يجتمعون فيه محفلاً أو هيكلاً رمزاً للكون الذي هو هيكل الله ، بينما الملوكيون يرمزون به إلى هيكل سليمان الذي يرى فيه اليهود شعار وطنهم القومي .

٢ — يستعمل الماسون النور رمزاً إلى نور العقل الإنساني أما الملوكيون فيرمزون به إلى النور الذي كان يتجلى فيه الله لسيدنا موسى وإلى عامود النار الذي رافق بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر .

٣ — يرمز السيف في الماسونية العامة إلى الجهاد في سبيل الحق والعدل والحرية أما الملوكيون فيشيرون به إلى السيف الذي كان يحمله بنو اسرائيل دفاعاً عن اورشليم عندما كانوا يبنون الهيكل والسور للمرة الثانية بعد رجوعهم من سبي بابل .

٤ — البناية الحرة هي نفس هيكل سليمان في عرف الملوكيين ، بينما يعتبرها

(١) يوسف الحاج ، في سبيل الحق ، هيكل سليمان ، بيروت ١٩٣٤ ، ص ١٩ .

الرمزيون علماً انسانياً يتقدم فيه الإنسان تدريجياً .

٥ — الأنوار السبعة ترمز عند الماسون العميان إلى عدد الاعضاء الذين لا يمكن بدونهم ان تكون جلسة المحفل قانونية ، وترمز عند الملوكيين إلى عدد السنوات السبع التي أتم بها الملك سليمان هيكله .

٦ — يوجد فوق كرسي رئيس المحفل شعار على شكل نجم في وسطه حرف (G) ينار هذا الشعار بنور خفي من ورائه وله صورة ثانية يجعلونها من جهةالشرق يدعونها(الكوكب الساطع وكوكب الشرق الأعظم) وهذاهو اسم هيكل سليمان نفسه [١] .

وهذه بعض الأسماء الواردة في الدرجات الرمزية وكلها يهوديةلها قيمتها التاريخية عند بني اسرائيل :

١ — توبال قايين — اسم أحد أبناء لامك .

٢ — بنيامين — الابن السابع ليعقوب المعروف بالسبط السابع من اسباط بني اسرائيل .

٣ — فالج — ابن عابر المنسوب إليه العبرانيون .

٤ — نواح بساتيل — اسم المهندس الذي صنع تابوت العهد في زمن موسى .

٥ — اوبيل — اسم الملاك الذي جاز المدينة ووضع علامة الخلاص لبني اسرائيل على جباه الناس .

٦ — زروبابل — قائد الشعب الإسرائيلي ومدير شؤونه عند خروجه من بابل عائداً إلى اورشليم لتجديد المملكة اليهودية ، وكان معه مردخاي ابن عم الملكة استير التي اعتنى بتربيتها إلى حين زواجها .

٧ — جبليم — اسم جبل لبنان وسكانه ، مذكور في التوراة باعتباره من أرض الميعاد .

٨ — أبناء الأرملة — نسبة لحيرام ملك صور وكان ابن ارملة ، استخدمه سليمان في بناء الهيكل .

٩ — في احدى الدرجات الماسونية ينوب الاستاذ الأعظم عن الملك احويرش زوج الملكة استير اليهودية التي ولد منها كورش الذي أمر باعادة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

اليهود إلى اورشليم لتجديد الهيكل تحت قيادة زروبابل .

١٠ — بعض الكلمات التي تتردد في الماسونية الرمزية نفسها وكلها يهودية بحتة ومذكورة في التوراة . تثنية ، محفل ، عشيرة ، بناية حرة ، الشرق ، الأنوار ، الزاوية والمحراب ، الأستاذ الأعظم وهو لقب هارامبام اليهودي المشهور ، الشيخ الحكيم ، قادوس ، أمير لبنان ، أمير فلسطين ، أمير الشرق والغرب .. الخ .

١١ — في احدى الدرجات يرفع عامود في المحفل يحمل أفعى ملتفة عليه ، وهذه ترمز إلى قصة موسى يوم ابتلي شعبه بالأفاعي فوضع موسى حسب كلام الرب له حية نحاسية محرقة على رابية فكان كل من لدغته حية ونظر إلى الحية النحاسية يحيا . وهذه تدعى في الماسونية الملوكية بدرجة الأفعى النحاسية .

١٢ — في الترقي لاحدى الدرجات ، يقطع الماسون الرمزيون رأساً من عظم أو كوتشوك يرمزون فيه إلى قطع رأس الجهل ، أما الملوكيون فيشيرون به إلى حكاية الملك داود وقطعه رأس جليات ، كما يشيرون إلى يهوديت التي قطعت رأس القائد الروماني .

١٣ — شبولت (أو سنبله) ، وهي الكلمة الواردة في التوراة في قصة عبور اليهود نهر الأردن .

١٤ — العامودان — قالت التوراة وكان عند خروج بني اسرائيل من مصر يتقدمهم في النهار عامود سحاب وفي الليل عامود نار يهديهم في طريقهم ولم يتوار هذا العامود عن أبصارهم مدة أربعين سنة .

١٥ — بوعز — هو زوج راعوث صاحبة السفر في التوراة ، وهو والد عوبيد وابويسي أبي داود الذي يعتقد اليهود ان من نسله يولد المسيح المنتظر .

١٦ — جاكن أو ياكين أو يهوياكين — هو آخر ملوك يهوذا الذي أسره نبوخذ نصر وأتى به وبشعبه وبآنية بيت الرب (هيكل سليمان) إلى بابل .

١٧ — يهوفا أو جاهوفا — ومعناها الاسم الأعظم أو رب اليهود يهوه الذي تجلى لموسى .

١٨ — جودا أي يهوذا — هو اسم أحد أسباط بني اسرائيل ، ويرمزون فيه

إلى يهوذا المكابي الذي حارب ملك سوريا والجيران وانتصر عليهم بثلاثة آلاف رجل وحفظ اورشليم وأعاد نظام الشعائر الدينية في الهيكل.

١٩ — يوجد في المحفل رسم التوراة يرتكز عليها سلم معروف بسلم يعقوب يرمز إلى الحلم الذي رآه يعقوب في منامه وكانت ملائكة السماء صاعدة ونازلة عليه كما ورد في التوراة .

٢٠ — نقطة الدائرة — في كل محفل منتظم يوجد نقطة داخل دائرة يجب على كل بناء حر ان لا يتحول عنها وهي محدودة بين الشمال والجنوب بخطين مستقيمين أحدهما يدل على موسى النبي والآخر يدل على الملك سليمان وبأعلى ذلك توجد التوراة وعليها سلم يعقوب[١] .

واللون الرسمي الذي اختارته الماسونية هو الأزرق السماوي الذي فرضته اليهودية العالمية اليوم على علم الأمم المتحدة ، وهو لون علم دولة اسرائيل . فالحزام الذي يلبسه الماسوني في الاجتماعات الرسمية يصنع من الحرير الأزرق السماوي وفي أعلاه تاج وتحته سيفان على هيئة الصليب معقوفان بقوس ثم ثلاث نجمات[٢] .

والمساواة التي يدعيها الماسون ويطالبون بتطبيقها ، لا تهدف إلا إلى اذابة كيان الشعوب والأديان وتقاليد الأمم ، ليصفو الجو لليهود ودين اليهود وحكم اليهود .

« إخواني واصدقائي . في حظيرة محفلنا وتحت قبابنا وعلى أعمدتنا من الشمال أو الجنوب وعلى درجات الشرق ترون الآخرة متمثلة حقيقياً ، ترون جميع الديانات على اختلافها والفلسفات على تباينها والشعوب والأمم على اختلاف في طبائعها وعاداتها وقد نزع الجميع الفروق التي تباعد بينهم واحرقوا الأصنام القيمة التي كانوا يعبدونها . تراهم مجتمعين في صعيد واحد يضمهم محفل واحد وتربطهم رابطة واحدة هي الحرية والمساواة والاخاء[٣] » .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٨ — ١٩٠ .

(٢) شاهين مكاريوس ، فضائل الماسونية ، مطبعة المقتطف بمصر ١٨٩٩ ، ص ١٠٧ .

(٣) من خطبة للماسوني البير بزيات ألقاها في محفل الفضيلة ونقلتها مجلة الاخبار الماسونية القاهرية التي كان يصدرها اليهودي موسى جرونشتين ، عدد مارس ١٩٢١ ، ص ٤٤ .

والأصنام التي يشير إليها الخطيب اليهودي يرد ذكرها كثيراً في توراة اليهود، وهم يعتبرون اتباع المسيحية والإسلام عبدة أصنام. أما الحرية (Liberty) والمساواة (Equality) والاخاء (Fraternity) فهي شعار الماسونية المزيف، ذلك الشعار الذي أصبح فيما بعد شعاراً للثورات الماسونية اليهودية في فرنسا وتركيا وغيرهما كما سيرد معنا في غير هذا الفصل.

والآداب الماسونية التي تغنى بها الماسوني الأكبر شاهين مكاريوس ، واصدر عنها كتاباً كاملاً ، لم تشر إلى قلة الأدب التي ينشرها الماسون بين اتباعهم تحقيقاً لأهداف اليهودية العالمية في تدمير اخلاق البشر ليسهل تدمير المجتمعات والأنظمة والدول. ولم ننس بعد الغرفة السوداء التي اكتشفتها قوات الأمن في القاهرة يوم صادرت الحكومة محافل الماسون. فقد نشرت مجلة القوات المسلحة بعض أسرار الماسون عن اللوحة رقم (٣) التي تقول: إذا كنت تتمسك بالقيم الإنسانية فاخرج، لأن هذه القيم لا وجود لها هنا. كما نشرت تلك المجلة عن اسرار تكريس الأعضاء الجدد ما نصه: «ثم تعصب عيناه بعصابة سوداء، ويوضع حبل المشنقة في رقبته، ويسحبه عضوان شديدان إلى الغرفة السوداء، وينام في التابوت الخالي لمدة تتراوح بين ساعة وساعتين. ولقد علمت مع الأسف الشديد ان عملاً منكراً كان يرتكب مع العضو الجديد في هذه الغرفة ... وبالقوة. انه في غرفة سوداء وبعيدة عن كل أسباب الاغاثة وحبل المشنقة حول رقبته. وكان هذا العمل بمثابة اعدام لرجولة هذا العضو حتى يخضع خضوعاً ذليلاً لكل رغبات الجمعية ...[١]»

وظهرت آداب الماسون واضحة جلية في المؤتمر الماسوني الكبير الذي عقدوه في شيكاغو بتاريخ ١١ مايو ١٩٥٥ وحضره أكثر من خمسين ألف ماسوني على رأسهم ترومان الحائز على الدرجة ٣٣. واستمر الحفل اسبوعاً جرت فيه الخمر انهارا، وانهالت فيه الطعنات على كل معنى من معاني الفضيلة. وفي الحفل الختامي دارت الخمر بالرؤوس فقام القطب الماسوني سلومون وست ووضع أمامه زجاجة شمبانيا ثم شرع يقلد صلاة المسلمين ركوعاً وسجوداً، ويغني بالفاظ نابية فاجرة. وصلى وراءه مئات الماسون السكارى.

---

(١) مجلة القوات المسلحة، القاهرة ١-٥-١٩٦٤، ص ٢٨ - ٣٠.

ثم جاء دور المسيح فوضعوا تمثاله أمامهم وسلطوا عليه الأنوار ورموه بكؤوس الشمبانيا والوسكي . ولم تبق آداب الماسونية هذه سراً في شيكاغو ، وتناقلها الناس باشمئزاز ضعيف صامت لا يقوى على تحدي ارهاب اليهود المسيطر على الشعب الامريكي الأعمى[1] .

وللخمرة في دستور الماسون قداسة ما بعدها قداسة ، يدخلونها في جميع حفلاتهم الرسمية وغير الرسمية ، ويتناولونها في الانخاب الكثيرة التي وضعوا لها نظاماً خاصاً ومنها : نخب المكرس الجديد ، نخب المرقى الجديد ، نخب الزائرين ، نخب أمين السر ، نخب الخازن ، نخب الرئيس المحترم ، نخب الرؤساء المنصبين ، نخب المحافل الصديقة ، نخب الضيوف ، نخب السيدات ، نخب الموظفين ، نخب الاحسان ، نخب الغائبين .

ولفت نظري عمى بعض العرب وجهلهم ، يوم كانوا ينخرطون في زمرة الماسون ويتغنى شعراؤهم في حفلات تكريس الاعضاء بالخمر يوم كان اخوانهم المجاهدون (١٩٣٠) يحاربون اليهود المغتصبين وحماتهم من الانجليز المستعمرين.

اديروا الخمر ما هي بالحرام على عشاقها في ذا المقام
وزفوها عروساً في نقاب من الشفاف يحسر كاللثام
وضموها بتقبيل ورشف ففي التقبيل برء للسقام
مشعشعة زهت ناراً ونورا كبدر تم يسطع في الظلام

وآخر يقول في حفل تكريس أحد الأعضاء :

طفح الأردن بالفيض الكريم فهمى الوسكي كشلال عظيم
غمر الجودى طوفان عميم أغرق الكوكب والفلك معا
كل ما الأردن يأتيه حسن
فاشربوا في السر دوماً والعلن نخب الياس المجلى والحسن
نخب حفل شامخ طول الزمن حسن في حسن ثم حسن
كل ما الأردن يأتيه حسن[2]

---

(١) المرجع السابق، عدد ١٦-٩-١٩٦٤ ، نقلا عن جريدة شيكاغو افنجر ، عدد ١٣-٧-١٩٥٥

(٢) الدكتور سليم سلامه ، المائدة الماسونية ، حيفا د . ت ، ص ١٦٨ .

ورغم ان هذا الشعر سخيف ضعيف فقد أوردته دليلاً على فساد آداب الماسون التي يتغنون بها .

والألفاظ التي يستخدمها الماسون فيما بينهم ، تدل كذلك على قلة ذوقهم في اختيار الألفاظ المرادفة للالفاظ العربية الصحيحة التي يستعملها الناس . وهم في ذلك أشبه بتجار المخدرات الذين يطلقون على كل صنف من الحشيش اسماً معيناً . فلنقرأ معاً ما ورد في كتاب الشاعر الماسوني الكبير أحمد زكي أبو شادي عن قاموس الألفاظ الماسونية المتداولة في المآدب[١] :

الكلمة	المرادف الماسوني	الكلمة	المرادف الماسوني
المائدة	الرصيف	الخبز	الحجر الخشن
الاطباق	البلاط	النبيذ	البارود
الملعقة	المجرفة	ماء	بارود خفيف
السكاكين	السيوف	قهوة	بارود أسود
الشوكة	الفأس	مشروبات روحية	بارود ملتهب
الزجاجة	البرميل	ملح	رمل أبيض
الكوكب	المدفع	فلفل	اسمنت
الكرسي	الدكان	يأكل	يعلك
الغذاء	المواد	يشرب	يطلق النار

ومع أن الماسون من أحط طبقات المجتمع ، فإنهم معقدون من هذه الناحية فيغطون ما يحسون به من نقص بتوجيه الألقاب العديدة المضحكة . فالشهادة التي تمنح لحامل الدرجة ٣٣ تنص على ما يلي[٢] :

« نحن الآمر الأعظم للمحفل .... نصادق على أن الأخ الفائق الاحترام .... قد انتظم قانوناً في درجات الاستاذ السري ، الاستاذ الكامل ، امين السر الصادق ، القاضي العادل ، ناظر العمارة ، الاستاذ المنتخب من تسعة عشر ، الفارس الجليل ، الاستاذ المهندس ، القنطرة الملوكية ، المنتخب

(١) أحمد زكي أبو شادي ، ص ٦٧ .

(٢) عبد الحليم الياس الخوري ، الماسونية ، دار العلم للجميع ، بيروت ١٩٥٤ ، ص ١٠٤ .

للقبة المقدسة الأعظم ، فارس الشرق وصاحب الحسام ، أمير بيت المقدس ، فارس الشرق والغرب ، فارس الصليب الوردي ، الفارس البروسياني ، محترم المحافل النظامية ، الحبر الأعظم ، الفارس الملوكي ، رئيس المعبد ، أمير المعبد، فارس الثعبان النحاسي ، الايكوسي الأعظم ، القائد الأعظم للهيكل المقدس، فارس الشمس ، الايكوسي الأعظم للبناية الحرة ، الفارس العارف ، المفتش الفاحص ، أمير السر الملوكي ، الآمر الحاكم ، المفتش العام الأعظم ... وقد سجل اسمه في السجل العام تحت رقم .... بإننا نوصي به جميع الاخوان الأعاظم ونطلب منهم الاعتراف به واستقباله بصفته الرسمية . تواقيع : الآمر الحاكم المفتش العام الأعظم ٣٣ .

الخازن العام الأعظم ، الآمر الأعظم ، امين السر الأعظم » .

ولم يكتف الماسون بصرف الألقاب فيما بينهم ، بل أصبحوا مع الزمن دولة داخل كل دولة . وقد اطلعت على كتاب مؤلف من مائتي صفحة يبسط دستور الماسونية في مصر ، باسلوب غريب يشعر القارىء أنه أمام دولة جبارة تشرع القوانين وتستقل بالاحكام حسب دستور مكون من ٣٦٥ مادة جميعها تتعلق بالماسون ... وفي أول وختام ذلك الكتاب مرسوم كالمراسيم التي تصدر عن الملوك ورؤساء الجمهوريات هذا نصه(١) :

« أمر عال

نحن رئيس وأعضاء مجلس إدارة الطريقة

من بعد الاطلاع على قرارات الجمعية العمومية للشرق الأكبر الوطني المصري الصادر بتواريخ أول اكتوبر سنة ١٨٩٨ و ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٨ و ٢ مايو ١٨٩٩ و ٣٠ سبتمبر ١٨٩٩ و ٩ اكتوبر ١٨٩٩ بوضع القانون الأساسي المرفوق صورته بهذا الأمر ،

وبناء على موافقة المعامل للقانون الأساسي المذكور

وبناء على قرار المجلس الصادر بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٩٠٢ بنشر القانون المذكور والسير بمقتضاه بعد ذلك .

---

(١) الشرق الأكبر الوطني المصري ، المجلس الأعلى لمصر وتوابعها، القانون الأساسي ، مطبعة المقتطف ١٩٠٢ .

وبناء على سبق نشر القانون المذكور بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٠٢ للسير بمقتضاه ابتداء من أول مارس سنة ١٩٠٢ .

امرنا بما هو آت

المادة الأولى

يجري العمل من الآن فصاعداً بمقتضى نصوص القانون الأساسي المذكور.

المادة الثانية

كافة الأوامر والنظامات المتبعة الآن تبقى سارية المفعول فيما لا يخالف هذا القانون الأساسي لحين تغيير ها بصورة قانونية .

صدر بمركز الشرق الأكبر الوطني المصري بشرق القاهرة في أول مارس ١٩٠٢ .

التواقيع : ادريس راغب رئيس مجلس ادارة الطريقة .
أحمد ذهني ، حسن حسني نائبا الرئيس .
امين عام ، اتناس جاروفالو كاتبا السر .
محمد فؤاد حسني امين الاختام » .

وتغلغلت الماسونية في جميع الأوساط الأوربية والأميركية والشرقية ، ولا سيما في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . وفي بريطانيا باستثناء الملك ادوارد الأول كان جميع ملوك الانجليز وكبار الشخصيات البارزة في تاريخهم ممن أعمتهم الماسونية وطمست على أفئدتهم ، فخدموها وشجعوها وساعدوا على أداء مهمتها السرية التي تتلخص في تحطيم الحكومات وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الدين والأخلاق واثارة الفتن والحروب التي تنتهي دائماً لمصلحة اليهود[١] .

وفي شرقنا العربي المسلم ، استطاعت الماسونية ان تخدع كثيرين من زعماء العروبة والإسلام من أمثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وعدد لا يحصى من الزعماء والعلماء والملوك والوزراء [٢].

---

(١) Arnold Leese, Gothic Ripples 28/8/1952, Surrey.

(٢) انسحب الزعيمان المصلحان جمال الدين الافغاني ومحمد عبده من الماسونية وكشفا خططها الجهنمية وخطرها على العالم .

وللماسونية أساليب ماكرة في التسلط على الأشخاص البارزين من ذوي النفوذ ، كأن تقوم قيادة الماسون بمنح ألقاب شرفية ودرجات في الماسونية عالية لمثل هؤلاء الأشخاص الذين كثيراً ما يحسون بالحرج ويتقبلون متورطين، الانخراط في سلك الماسونية الرهيب .

٢ — الصهيونية Zionism :

هي الحركة الثانية بعد الماسونية ، التي تستخدمها اليهودية العالمية من أجل السيطرة على العالم . انها الحركة السياسية العنصرية العنيفة التي تسعى إلى تحقيق آمال اليهود في تخريب دول العالم وقيام دولة اليهود لحكم العالم . انها القومية اليهودية كما نقول القومية العربية بالنسبة للأمة العربية . ولا فرق بين الصهيونية واليهودية كما أنه لا فرق بين العرب والقومية العربية إلا في كون الصهيونية وسيلة لخدمة اليهودية العالمية وكون القومية العربية حركة تهدف إلى انماء الوعي القومي العربي وخدمة أهداف الأمة العربية . ويفرق كثير من كتاب العرب وساستهم بين الصهيونية واليهودية ، مع أن اليهود أنفسهم لا يعترفون بأي فارق بين يهودي وصهيوني باستثناء عدد ضئيل من الكتاب اليهود الذين يتظاهرون بعدائهم للصهيونية عن خطة مرسومة .

وفي شرح معنى الصهيونية قالت دائرة المعارف البريطانية :

« إن اليهود يتطلعون إلى افتداء اسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية واعادة بناء هيكل سليمان واقامة عرش داود في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود[١] » .

وقالت دائرة المعارف اليهودية في شرح كلمة صهيونية :

« يبغي اليهود ان يجمعوا أمرهم وان يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وان يعيدوا العبادة إلى الهيكل (مكان المسجد الأقصى) ويقيموا ملكهم هناك » .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، طبعة ١٩٢٦ ، ج ٢٧ ، ٢٨ ، ص ٩٨٦ — ٩٨٧ .

والكلمة صهيون Zion ، كانت في الأصل تطلق على جبل اليبوسيين Jebusite في القسم الجنوبي من القدس . وحينما احتلها الملك داود فكر في بناء بيت الرب (الهيكل) في ذلك المكان ، وجاء من بعده الملك سليمان فأنجز المهمة ، وصار الاسم Zion يطلق على القدس كلها [1].

والصهيونية كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، هي التي حفزت يهود السبي البابلي تحت قيادة زروبابل إلى اعادة بناء الهيكل . ويمكن تلخيص الأدوار التي مرت بها الصهيونية العالمية كما يلي[2] :

١ ـ حركة المكابيين التي اعقبت العودة من السبي ، والتي كان من أول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان وتثبيت الشريعة بطقوسها اليهودية .

٢ ـ حركة باركوخبا (١١٨ـ١٣٨م) . وقد أثار هذا اليهودي الحماسة في نفوس بني قومه وحثهم على السعي للتجمع في فلسطين واعادة بناء الهيكل وتأسيس دولة يهودية وتنصيب ملك عليها من نسل داود .

٣ ـ حركة موزس الكريتي ، وكانت شبيهة بحركة باركوخبا ولم يكتب لها النجاح كذلك .

٤ ـ مرحلة الركود في النشاط الصهيوني بسبب الاضطهاد الذي عاناه اليهود في القرون الوسطى . ولم تظهر في هذه المرحلة حركات صهيونية عنيفة تنادي بتأسيس دولة يهودية في فلسطين ، ومع ذلك فقد ظل الشعور القومي عند اليهود كامناً عنيفاً لم يطرأ عليه أي ضعف .

٥ ـ حركة دافيد روبين David Reubini وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١ ـ ١٥٣٢م) وفيها ظهر هذان اليهوديان كمنقذين للشعب اليهودي . وطافا في كل من اسبانيا وايطاليا وتركيا ، حيث استقبلا من أبناء جلدتهما بحفاوة كبيرة ، وحثا اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك اسرائيل في فلسطين .

٦ ـ حركة منشه بن اسرائيل (١٦٠٤ ـ ١٦٥٧م) . وقد استعان هذا

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، ط ١٩٦٤ ، Zionism

(٢) المرجع السابق .

الصهيوني بالانجليز الذين يؤمنون بعودة المسيح ويؤمنون بنبؤات التوراة والتلمود ، ودعا إلى توطين اليهود في بريطانيا كخطوة أولى في طريق توطينهم في فلسطين . ويمكن القول ان هذه الحركة كانت النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس استخدام بريطانيا والشعب البريطاني في تحقيق أهداف الصهيونية .

٧ – حركة شبتاي زفي (١٦٢٦–١٦٧٦) التي أدعى فيها أنه المسيح فانتشرت حركته انتشار النار في الهشيم . وصدقه كثير من اليهود وأخذوا يستعدون للعودة إلى فلسطين خلف ذلك المسيح الدجال . وقد أحدثت تلك الحركة رد فعل عند بعض اليهود الذين صدموا باخفاقها ، فجاء مندلسون (١٧٢٠–١٧٨٦م) يدعو بني قومه اليهود ان يتقبلوا العيش مع جيرانهم في البلاد التي يعيشون فيها ، وان يكتفوا من اليهودية بجانبها الروحي ويهملوا الجانب السياسي .

٨ – حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري ، وكانت تهدف إلى إنشاء المستعمرات اليهودية الزراعية على ثرى فلسطين. وساعد هذه الحركة نخبة من رجالات الانجليز Millinarism الذين يعتقدون بعودة المسيح ، ومنهم اشلي الذي عرف باللورد شافتسبري ووالتر كريزون القنصل الاميركي في القدس ، وجيمس فن القنصل البريطاني ، ولورانس اوليفانت .

٩ – الحركة الفكرية الاستعمارية التي قامت في منتصف القرن التاسع عشر ، داعية إلى اقامة دولة يهودية في فلسطين من أجل خدمة المصالح البريطانية الاستعمارية في آسيا وافريقية . وادعى الكتاب الانجليز في هذه الحركة أنهم يدافعون عن الشعوب الصغيرة والاقليات المضطهدة في الشرق وهم في الحقيقة لا يخدمون إلا الصهيونية . وقد شد من أزرهم اللورد بالمرستون واللورد سالزبوري واللورد بيكونسفيلد (دزرائيلي) . وساعد هؤلاء الأقطاب من الانجليز زميلهم لورنس اوليفانت في مفاوضاته مع الحكومة العثمانية للحصول على امتياز يمهد لانشاء دولة يهودية في الأراضي المقدسة .

١٠ — حركة صهيونية مكبوتة قام بها في القرن التاسع عشر كل من هيرش كاليشر Hirsch Kalischer (١٧٩٥—١٨٧٤)وسمولنسكن Smolinskin (١٨٤٠—١٨٨٥) ، على أثر الاضطهاد الذي وجه إلى يهود روسيا وأوروبا الشرقية عامة . وأصابت هذه الحركة نجاحاً بارزاً على أثر مذابح ١٨٨٢ في روسيا وتدفق اليهود إلى خارج البلاد مهاجرين على نطاق واسع إلى غرب اوروبا واميركا .

جذور الصهيونية :

لا بد لنا قبل ان نتحدث عن الصهيونية الحديثة ونبيها تيودور هرتسل ، من الرجوع إلى توراة اليهود ، نقبس منها ما يثبت ان الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها ، وانها هي اليهودية بما فيها من آمال واحلام ومطامع . وقد ورد ذكر صهيون في التوراة مراراً وتكراراً ومنها :

« وأخذ داود حصن صهيون . هي مدينة داود ، وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود . وكان داود يتزايد تعظماً والرب إله الجنود معه » [١].

« ترنمي وافرحي يا ابنة صهيون لأني ها أنذا آتي واسكن في وسطك يقول الرب فيتصل بالرب أمم كثيرة في ذلك اليوم ... » [٢].

« ابتهجي جداً يا صهيون اهتفي يا ابنة اورشليم . هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور ووديع يأتي راكباً على حمار على جحش ابن اتان » [٣].

« من أجل صهيون لا اسكت ومن أجل اورشليم لا اهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب » [٤] .

« ويكون من آخر الأيام ان جبل بيت الرب يكون ثابتاً فوق الجبال وتجري

---

(١) صموئيل الثاني ص ٥ : ٦ .
(٢) زكريا صح ٢ : ١٠ .
(٣) زكريا صح ٩ : ٩ .
(٤) اشعيا صح ٦٢ : ١ .

إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون لنصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب لأن من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب »[١] .

« ها أنا اوسس في صهيون حجراً حجر امتحان حجر زاوية كريماً موسساً أساساً من آمن به لا يهرب » [٢].

« يترنمون معاً لأنهم يبصرون عينا لعين رجوع الرب إلى صهيون » [٣].

« الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين والذين اهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون » [٤].

« أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي » [٥].

« رنموا للرب الساكن في صهيون اخبروا بين الشعوب بأفعاله لأنه مطالب بالدماء ولم ينس صراخ المساكين » [٦].

« الرب اختار صهيون اشتهاها مسكناً له ... هناك انبت قروناً لداود ارتب سراجاً لمسيحي » [٧].

« على جبل صهيون أمر الرب بالبركة حياة أبدية » [٨].

ويربط كثير من مفكري اليهود ومؤرخيهم تاريخ الحركة الصهيونية بنبيهم موسى .

« فنحن إذا أمعنا النظر جيداً نرى ان تاريخ الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة . الأول زمن التوراة والثاني الزمن السابق لهرتسل والثالث الزمن المعاصر لهرتسل والذي يبتدىء من سنة ١٩٠٤ إلى آخر سنة ١٩١٨ . والرابع الزمن التالي لتصريح بلفور ... »[٩] .

---

(١) اشعيا صح ٢ : ٢ .

(٢) اشعيا صح ٢٨ : ١٦ .

(٣) اشعيا صح ٥١ : ٨ .

(٤) اشعيا صح ٦٠ : ١٤ .

(٥) مزامير ٢ : ٦ .

(٦) مزامير ٩ : ١١ .

(٧) مزامير ١٣٢ : ١٧ .

(٨) مزامير ١٣٣ : ٣ .

(٩) ايلي ليفي أبو عسل ، يقظة العالم اليهودي ، مطبعة النظام بمصر ١٩٣٤ ، ص ١٦ .

« قلنا ان موسى كما تقدم الالماع كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية وقد أثبت الواقع ان الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالاً مستمسكاً وثيقاً ومتوافقة أجزاؤها تماسكاً محكماً شديداً .. » (١).

وواضح من كلام الصهيوني ليفي أبو عسل ان الصهيونية هي بعينها الحركة اليهودية التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيام موسى . ومن علاقة الصهيونية باليهودية قال اسرائيل ابراهامز « لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية. فجميعنا إذن صهيونيون بحكم ان الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة » (٢).

وكما ذكرنا سابقاً، فان حركة اليهودية وأداتها التنفيذية الصهيونية، قد خمدت في القرون الوسطى نتيجة وعي أوروبا وادراكها خطورة الفكر اليهودي الذي ينمي في اليهود غريزة الهمجية والتعصب والغرور والتآمر والعزلة والحقد على جميع سكان الأرض ، ثم ما لبث عصر التسامح النسبي الذي بدا في القرن الثامن عشر ، والذي اسميه عصر الغفلة الأوروبية ، ان شجع اليهود على اظهار نواياهم الجهنمية وخططهم لتخريب العالم ثم الحكم على انقاضه . وأحسن دليل على ذلك ، هو نشاط المجلس اليهودي الأعلى **Sanhedrin** أيام نابليون ، حين دعا المجلس المكون من حكماء صهيون، لاثارة حماستهم ودغدغة احلامهم وتحريضهم على مساندته في احتلال الشرق العربي واعداً إياهم بمنحهم فلسطين .

والمجلس اليهودي الأعلى هو نفسه الذي استغل نفوذ اليهود والماسون في الثورة الفرنسية وكشف عن نوايا اليهود واطماعهم في المشرق العربي . ففي سنة ١٧٩٨م وجه أحد حكماء اليهود خطاباً خطيراً لبني قومه ، يعتبر ما جاء فيه دستوراً صهيونياً سبق مقررات حكماء صهيون بقرن كامل . ولا أعرف اسم ذلك الحكيم الصهيوني ، بيد أني اكتفي بنقل بعض أجزاء من خطابه عن

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) عبد الرحمن سامي عصمت ، الصهيونية والماسونية ، مطابع رمسيس الاسكندرية ١٩٤٩، ص ٢٨ .

كتاب المؤرخ اليهودي ليفي أبو عسل الذي لا أشك بصحة ما يورده عن بني قومه ، وبخاصة أنه كان يؤلف كتابه ويطبعه في مصر أيام الغفلة التي كانت تلف الوطن العربي كله[1] .

« أيها الإخوان : لا يغربن عن ذهنكم ان زفراتكم وتنهداتكم صعدت في خلال العصور إلى عنان السماء لشدة ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد. فهلا تنوون ان تتخلصوا نهائياً من الحالة المقرونة بالاذلال والانحطاط التي وضعكم فيها اناس من الهمج . اننا نرى الازدراء مرافقاً لنا في كل مكان فالبدار البدار . فقد حان الوقت لتحطيم سلاسل الخسف والإهانة التي طوق العدو بها أعناقكم . وخلع النير الذي لا يطاق احتماله . نعم لقد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم . فهيا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل اورشليم . ان عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرين في جميع أقطار العالم . وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة . وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب ان نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا . ان الفرصة لسانحة ومن واجبنا ان نغتنمها .

انه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهي إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الأربعة عشر بلداً التالية وهي : ايطاليا ، وسويسرة ، والمجر ، وبولونيا ، وروسيا . وبلاد الشمال ، وبريطانيا العظمى ، واسبانيا ، وبلاد ولس ، والسويد ، والمانيا ، وتركيا ، وآسيا ، وافريقيا .

فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها ان تبحث في مهمتها وتتخذ ما تراه من القرارات في صددها . ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له[2] .

اما البلاد التي ننوي قبولها باتفاق مع فرنسا فهي اقليم الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ،

(١) ليفي أبو عسلي ص ١٠١ – ١٠٤ .

(٢) لقد مهد ذلك الخطاب للصهيونية الحديثة بقيادة هرتسل الذي سار على هدى من سبقه من حكماء صهيون كما سيرد معنا .

ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر . فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر في العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وافريقيا الشمالية والجنوبية . ولا شك في ان بلاد اثيوبيا والحبشة لا تتأخر عن اقامة علاقاتها التجارية معنا بملء الرضا والارتياح . وهي البلاد التي كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعاج والحجارة الكريمة .

ثم ان مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وايطاليا واسبانيا وغيرها من بلدان أوربا . ولما كانت بلادنا في موقع متوسط من العالم فإنها ستصبح مستودعاً لجميع الحاصلات التي تنتجها الأراضي الغنية . أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى باقتراحاتنا على الباب العالي فلا يجوز نشرها علناً وعلى رؤوس الأشهاد. وسنكون مضطرين لابقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية .

« أيها الإخوان : يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه الغاية أي الرجوع إلى بلادنا حيث يمكن ان نعيش في ظل شرائعنا الخاصة وان نجدد البلاد المقدسة التي اشتهر أجدادنا بما بذلوه في سبيلها من التضحية وما أظهروه من الشجاعة والشهامة . فكأني أراكم الآن ونار الإيمان تضطرم في صدوركم . فيا أيها الاسرائيليون لقد قربت الساعة التي ينتهي فيها أجل حالتكم التعسة . ان الفرصة الآن سانحة . فحاذروا ان تفلت من أيديكم » .

ويلاحظ القارىء ما ورد في ذلك الخطاب عن اطماع اليهود المتعلقة بضم الوجه البحري إلى مملكتهم . ومعلوم ان الوجه البحري من مصر هو حياة مصر ، واليهود يطمعون في انتزاع الحياة من شعب مصر باغتصاب اخصب جزء من الإقليم المصري بما في ذلك مياه النيل التي يحلمون بسحبها لارواء النقب وصحراء سيناء .

ويلاحظ كذلك ما ورد في الخطاب من اطماع كثيرة تحققت ، وبخاصة الجزء الخاص باستغلال الحبشة وافريقيا لصالح اليهود .

ومن أشهر حكماء اليهود الذين مهدوا للصهيونية الحديثة ، الحاخام Reichoen صاحب الخطاب المشهور الذي ألقاه على قبر قديسهم سيمون بن يهودا في

مدينة براغ سنة١٨٦٩م ونشر كوثيقة رسمية في مجلة Contemporain بتاريخ١/٧/ ١٨٨٠م من قبل السير جون ردكليف[1] . ولما كانت الوثيقة على جانب كبير من الأهمية وبخاصة لأنها تكشف عن خطط اليهود قبل ظهور مقررات حكماء صهيون ، فقد وجدت من الفائدة نقل بعض نصوصها .

«Our fathers have delegated to the chosen leaders of Judah the duty of meeting at least once in each century around the tomb of the grand master the Holy Rabbi Simon-ben-Jehuda, whose learning passes on, to the elect of each generation, power over the whole world, and authority over all the descendants of Judah.»

ومعناها :

« لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل في كل قرن ، حول قبر استاذنا الأعظم الرابي المقدس سيمون بن يهودا ، الذي تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل ، سيطرة على جميع العالم ، وسلطة على نسل يهودا » .

وتستمر الوثيقة التي أنقل معانيها إلى العربية قائلة :

« وها قد مضى ثمانية عشر قرناً على حرب يهودا من أجل تلك السيطرة التي وعد بها ابراهام ، والتي اغتصبها الصليب . ورغم ان شعب يهودا قد ديس بالاقدام ، واهين من قبل أعدائه ، وكان على الدوام مهدداً بالموت والاضطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم . وإذا كنا قد انتشرنا في جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا ... » .

« ومنذ قرون عديدة حارب حكماؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لا تغلبان . ان شعبنا يخطو شيئاً فشيئاً نحو القمة ، وفي كل يوم تزداد قوتنا . نحن نملك آلهة هذا العصر ، تلك الآلهة التي نصبها لنا هارون في الصحراء[2] . انه العجل الذهبي الذي عبدناه ، والذي يعتبر اليوم إله العالم أجمع ...

« ومنذ اللحظة التي نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب في العالم ، فإن القوة الحقيقة تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التي قدمت لابراهام...

« الذهب أعظم قوة في العالم ، انه قوة وفي الوقت نفسه هبة ، انه يؤمن

---

(١) نشرة The Key to the Mystery, Chrstian Nationalist, Missouri 1938

(٢) يصر اليهود على اهانة أنبيائهم ، وهم دائماً ينسبون لهارون فرية صنع عجل الذهب .

جميع أنواع السعادة، تلك التي يخشاها المرء ويشتهيها . هنالك يكمن السر، وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم ، هنالك تملك المستقبل ...

« كانت القرون الثمانية عشر الماضية لاعدائنا،ولكن القرن الحالي والقرون المقبلة ستكون لنا ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهودا ، ومن المحقق أنها ستكون لنا . ان عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمنة السود المؤلمة ، التي تحملها شعب يهودا بصبر وشجاعة ، قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها . وهذا التقدم هو الدرع الذي نختبىء من ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل ازالة الفجوة التي ما زالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية...

« دعونا نجول النظر على الحالة المادية لاوربا ، وندقق في الموارد التي جمعها اليهود منذ بداية هذا القرن ، مجرد ما جمعناه من أموال كبيرة هي ملك أيدينا في هذه اللحظة . وهكذا في باريس ، لندن ، فينا ، برلين ، امستردام ، هامبورغ ، روما ، نابولي ... الخ ، وفي آل روتشيلد ، نجد ان اليهود في كل مكان هم سادة الأوضاع المالية لأنهم يملكون عدة آلاف الملايين ...

« يعيش الملوك والأباطرة والأمراء اليوم مثقلين بالديون ، وعلينا ان نستغل هذه الناحية ونزيد من قروضنا لهم مقابل رهن أملاكهم وسكك الحديد والمصانع والمناجم في بلادهم وبذلك تتم لنا السيطرة على عروشهم واماراتهم ...

« شعبنا طموح ، فخور ومحب للرفاهية والسعادة . وحيثما كان النور لا بد من وجود ظل ، وليس عبثاً ان إلهنا قد أعطى شعبه المختار قوة الأفعى وحيويتها ، وحيلة الثعلب ومكره ، وبعد نظر الصقر ، وقوة ذاكرة الكلب، والتضامن الفطري لدى كلاب البحر ...

« قيل ان عدداً من اخواننا اليهود تنصروا . وماذا يضيرنا ..؟ ان هؤلاء اليهود الذين يتعمدون بأجسامهم تظل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلاً نستنير به في اكتشاف خبايا النصرانية ومساعدين لنا على رسم الخطط التي تدمر المسيحية . ان الكنيسة عدونا الخطر فلنستفد من اخواننا الذين تنصروا في الظاهر ، لبث الفساد في الكنيسة واشاعة أسباب الخلاف والفرقة والصراع بين المسيحيين ، ونشر الأنباء المشوهة التي تسيء إلى رجال الدين فيقل احترامهم ويزدريهم الشعب في كل مكان ...

« التجارة والمضاربة مصدرا ربح عظيم فلا يصح خروجهما من أيدينا . علينا ان نستولي على احتكارات الخمور والحبوب والدقيق وتجارة المواد الغذائية (البقالة) لنتحكم في بطون الجنتايل (الكفار) ...

« علينا ان نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية . لا بد من ان نتسلم مناصب رئيسية في القضاء والوزارات الرئيسية والجامعات واقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسي والآداب والعلوم . وأهمها جميعاً الطب ، لأن الطبيب يطلع على أسرار العائلات ويتغلغل في صميم حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شيء لديهم الصحة والحياة ...

« علينا ان نشجع الزواج من المسيحيات . ولن نخسر شيئاً من جراء ذلك الاختلاط بل لا بد ان نكون الرابحين . وقد توصلنا مصاهرة الأسر المسيحية الكبيرة إلى السلطة ومفاتيح النفوذ في جميع الدوائر . فلنشجع الزواج العرفي ، يعقد أمام السلطة المدنية ، ولنحارب الزواج الديني الذي يعقد في الكنيسة ...

« إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هي القوة الثانية . ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى . فعلينا بواسطة الذهب ان نستولي على الصحافة ، وان نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة . وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل ...

« شعبنا مؤمن متدين ، ولكن علينا ان نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد ...

« علموا أبناء يهودا هذه التعاليم ولقنوهم المبادىء التي ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة تحمل اغصانها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء ... » .

الصهيونية الحديثة :

وهي الحركة التي تنسب إلى تيودور هرتسل (T. Herzl) الصحفي اليهودي النمسوي الذي ولد سنة ١٨٦٠ ومات سنة ١٩٠٤م . وكان هرتسل يهودياً عادياً إلى ان حضر محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي (دريفوس) الذي كان

متهماً بخيانة الجيش الفرنسي وتسليم اسرار فرنسا إلى الالمان[١] . واحس هرتسل بعنف الاضطهاد الذي يلاقيه اليهود اعتقاداً منه بأن التهمة الموجهة للجاسوس دريفوس غير صحيحة . وحين أصدرت المحكمة الفرنسية حكمها بتجريد دريفوس من رتبته وسجنه لمدة عشر سنوات، هبت أقلام اليهود ومن يؤجرهم من الكتاب ، مدافعين عن دريفوس ومنددين بالظلم الذي وقع عليه وأصاب اليهود كافة بالعار والشنار ...

ونشطت القوى الخفية التي تديرها الماسونية واليهودية العالمية، فأعيدت محاكمة دريفوس ثانية وثالثة . ونجحت قوى المال والنساء والارهاب فبرأت المحكمة دريفوس بعد ان دامت محاكمته سبع سنوات من ١٨٩٤ إلى ١٩٠١ [٢].

ويهمنا من قصة الجاسوس اليهودي دريفوس ما كان لها من أثر على حياة هرتسل . فبعد ان خرج هرتسل من قاعة المحكمة شرع ينادي — متهكماً — بضرورة تنصير اليهود وتعميدهم تخلصاً من الظلم والذل والعبودية ... وبعد عام واحد اختمرت في فكره خطة انقاذ اليهود وجمعهم في مكان ما ، ليكون لهم دولة ترعى شؤونهم . وافرغ هرتسل فكرته في كتاب اصدره باللغةالالمانية اسماه (الدولة اليهودية Judenstaat) سنة ١٨٩٥ م . واستقبل اليهود مشروع هرتسل بحماسة شديدة وعدوه فاتحة عهد جديد . ورحل هرتسل إلى عواصم الدول الأوروبية أولاً ليلمس الأثر الطيب الذي أحدثه كتابه فيالأوساط اليهودية والماسونية . واتصل هرتسل بالمنظمات اليهودية السرية المنتشرة فيأوربا وأهمها في ذلك الوقت جمعية عشاق صهيون التي انتمى إليها وايزمن وبن غوريون فيما بعد . ولم تكن هذه الجمعية معروفة في المانيا وإنما انشأت لها فروعاً سرية في الآستانة وسلانيك وبعض المدن في بلغاريا . واتصل هرتسل بأغنياء اليهود مثل البارون هيرش النمساوي صاحب مشروع التوطين في الارجنتين، ومن بعده بآل روتشيلد الذين شجعوه بعد ان آمنوا بأفكاره [٣] .

---

(١) الصهيونية في المجال الدولي ، اخترنا لك رقم ٣٦ ، ص ٦٦ .

(٢) هذه هي الصهيونية ، اخترنا لك رقم ١ ، ص ٤٠ — ٤٢ .

(٣) Josef Patai, Star over Jordan, The Life and Calling of Theodore Herzel, New York, 1946 p. 60

ثم رحل هرتسل إلى الشرق حيث اتصل بالسلطان عبد الحميد وقدم إليه مقترحاته المغرية التي تتلخص فيما يلي :

١ — مساعدة السلطان على انشاء اسطول بحري .

٢ — معاضدته في سياسته الأوروبية .

٣ — انشاء جامعة عثمانية في القدس تغني عن الذهاب إلى جامعات أوروبا وبذلك لا يتعرض الطلبة إلى تشرب النزعات الجديدة .

٤ — تحسين أوضاع السلطنة العمرانية .

٥ — عقد قرض مالي لتغطية تكاليف المشروعات المقررة .

مقابل منح اليهود حق استيطان فلسطين واقطاعهم جزءاً من أرضها المهملة.. تمت المقابلة الأولى مع السلطان في مايو ١٨٩٦ والثانية في اغسطس ١٩٠٢ ، وفي كلا الحالتين ، اخفق هرتسل في اقناع السلطان وعجز عن الحصول على أي وعد يسهل له مهمته الخادعة ، رغم المغريات الكبيرة والوساطات العديدة والأموال الكثيرة التي بذلها لحاشية السلطان . واعترف هرتسل انه قدم الرشوة للوزراء وعجزت جميع دسائسه ومحاولاته عن زحزحة السلطان عبد الحميد ، فظل ثابتاً أمام المغريات وكان آخر جواب فاه به أمام هرتسل ما نصه :

« ان فلسطين ليست ملكاً لي وإنما هي ملك شعبي لا يحق لي التصرف بها ، ولا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين التي قاتلت امتي في سبيلها وروت تربتها بدماء المسلمين . اسمح لكم بالهجرة إلى أي جزء من السلطنة باستثناء فلسطين ... » [١].

وأرسل السلطان من يقول لهرتسل ، ان أحلامه لا يمكن ان تتحقق إلا على انقاض السلطنة ، وينصحه ان يحتفظ بملايينه لأنه — أي السلطان — يفضل ان يقطع المبضع من جسمه ولا تقطع فلسطين من جسم السلطنة العثمانية ، وانه حين تتجزأ الامبراطورية الإسلامية فإن اليهود قد يأخذون فلسطين بلا مقابل... [٢]

ولم ييأس هرتسل ، فاتصل بقيصر المانيا ولهلم غليوم ، وكسب عطفه ، وخدعه وبذل له الوعود في ان يقوم اليهود بنشر الثقافة الالمانية والتجارة الالمانية

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

في الشرق العربي وان يكونوا لالمانيا درعاً بجانب مصر ، مقابل ان يتوسط له عند السلطان عبد الحميد . واقتنع غليوم بوعود هرتسل وتوسط له عند السلطان محاولاً ان يستغل مشروع سكة حديد برلين – بغداد الذي وعدت المانيا بانجازه . ولكن السلطان عبد الحميد ظل على ابائه ورفضه ، واخفقت وساطة غليوم[1] .

واتجه هرتسل إلى بريطانيا واتصل بالمستر تشمبرلن الذي عرض عليه قبرص ويوغندا ليختار احداهما . ورفض اليهود العرض وطلبوا سيناء فكتبت الحكومة البريطانية إلى ممثلها في مصر (كرومر) . وبعد جدل وأخذ ورد ، صرف النظر عن هذه الفكرة نظراً لاستحالة تنفيذها من غير مياه النيل التي طلب اليهود ان يسحبوا جزءاً منها لارواء وطنهم الجديد سيناء ... واصر هرتسل وقومه اليهود على فلسطين متكلين على عون دول أوروبا المسيحية الماسونية وعلى رأسها بريطانيا كما سيرد معنا في فصل آخر .

ومن أهم الأعمال التي أنجزها هرتسل قبل وفاته سنة ١٩٠٤ :

١ – جمعه زعماء المنظمات اليهودية إلى أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧ ، بعد أن مر قرن كامل على اجتماع المجمع اليهودي العالي (سانهدرين) في زمن نابليون . وسمي ذلك الاجتماع الذي انعقد في مدينة بال بسويسرة بالمؤتمر الصهيوني الأول . وتقرر ان ينعقد هذا المؤتمر كل سنة ثم كل سنتين .

٢ – صهر هرتسل في ذلك المؤتمر والمؤتمرات اللاحقة الكتل اليهودية المتناحرة المتباينة في أهدافها وخططها . وصار يمثل فيه جميع يهود العالم على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم ، ويفرض عليهم في المؤتمر ان ينسوا خلافاتهم المذهبية والسياسية وان يوحدوا خطتهم للعمل من أجل تحقيق الصهيونية ، ولم يسمح المؤتمر بالمعارضة السياسية فيما يتعلق بالأهداف الأساسية لليهود .

٣ – نجح هرتسل في جمع حكماء صهيون الذين صدر عنهم أخطر مقررات (Protocols) في تاريخ العالم . والمراد بحكماء صهيون ، الدهاة من شيوخهم ومفكريهم الذين يعتبرونهم أعلى كعباً من جميع رجال الفكر في العالم ، وهم من منفذي تعاليم التلمود التي يتوارثها الحكماء جيلا بعد جيل ،

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

وينفذون منها ما يمكن تنفيذه في السر والعلن .

وسبق ان ذكرنا في هذا الفصل اجزاء من خطاب الحاخام ريخورن الذي رسم لبني قومه خطة العمل لتدمير حكومات العالم والسيطرة عليها ، ومن قبله خطاب حكيم اليهود أيام نابليون ، وقد نقلناه عن المؤرخ اليهودي المصري ليفي أبو عسل .

لقد كان هذان الخطابان تمهيداً للخطب السرية التي القيت في مؤتمر هرتسل الأول سنة ١٨٩٧م ، ويرجح بعض المؤرخين ان واضع المقررات السرية لحكماء صهيون هو اليهودي سيكفرا من أهالي كييف ومؤسس الجمعية السرية الصهيونية (بن موشى) ، استوحاها من خطاب الحاخام ريخورن المذكور ، وناقشتها اللجنة العليا للمؤتمر الصهيوني برئاسة هرتسل[١] .

وحين انتهى المؤتمر الصهيوني الأول أصدر مقررات علنية وأخرى سرية. أما العلنية فخلاصتها العمل على تأسيس دولة لليهود في فلسطين ، ويمهد لذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأراضي لليهود في فلسطين ، وتنمية موارد اليهود المالية ، وانعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جميع اليهود[٢] .

أما المقررات السرية فقد اكتشفت بطريقة بوليسية جريئة خلاصتها : ان البوليس السري الروسي الذي كان يتعقب نشاط الجمعيات السرية اليهودية، قد بلغه خبر ما يصنع زعماء اليهود في سويسرا ، فانفذ عصبة مختارة من رجاله متنكرين بمهارة فائقة ، إلى سويسرا . ووصل رجال البوليس السري إلى مكان اجتماع اليهود واستطاعوا الدخول إلى البناية وان يشعلوا النار حول الطابق الذي يجتمع به حوالي مائة من شيوخ اليهود وزعمائهم . وفي لحظات انتشرت النار وملأت الغرف والردهات فصعق اليهود ، وجن جنونهم ، وطار صوابهم ولم يبق أمامهم إلا النجاة بأنفسهم حاملين معهم ما يمكن انقاذه من أوراق متناثرة على المكاتب . وفي الوقت نفسه تسلل أفراد البوليس القيصري الشجعان إلى مكان الاجتماع وجمعوا ما في الأدراج وما على الموائد من أوراق ومحاضر ،

---

(١) فتحي الرملي ، الصهيونية أعلى مراحل الرأسمالية ، وكالة الصحافة الافريقية مصر ١٩٥٦ ، ص ٨٨ .

(٢) خطر اليهودية ، ص ١٦٤ .

وانطلقوا قبل وصول البوليس السويسري الذي حضر ولم يجد أثراً لليهود أو لأفراد البوليس الروسي[1] . وانتقلت الأوراق إلى بطرسبرج ، واطلعت حكومة القيصر على مضمونها ، فوجدت ان من جملتها صحائف بالعبرية بشكل مسودات فبذلت جهداً كبيراً حتى نظمتها ، ثم ترجمتها إلى الروسية على يد الكاتب الروسي سرجي نيلوس (Sergyei Nilus) سنة ١٩٠٥ . ونشرت تلك الأوراق حاملة اسمها الحالي (Protocols of the Learned Elders of Zion) ووصلت نسخة منها إلى المتحف البريطاني سنة ١٩٠٦ وتسربت ترجمتها من هناك رغم السرية الشديدة التي احاطت وجود النسخة في المتحف[2] . ثم ترجمت المقررات إلى لغات كثيرة وطبعت منها عشرات الطبعات رغم مقاومة اليهود وتهديدهم كل من له علاقة بترويج نشر تلك الأسرار .

وحاول اليهود انكار تلك المحاضر السرية ، إلا أن الأدلة توفرت لاثبات صحتها وصدورها عن حكماء اليهود . ومن تلك الأدلة ما ذكره المليونير ولتر راثنو Walter Rethenau في جريدة المانية Wiener Freis Presse بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩١٢ .

«Only 300 men, each of whom knows all the others, govern the fate of Europe. They elect their successors from their entourage. These Jews have the means in their hands of putting an end to the form of any state which they find unreasonable.»[3]

ومعناها :

« هنالك ٣٠٠ رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين ، يتحكمون في مصير أوربا . انهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها » .

ومن الأدلة ما ذكره هرتسل نفسه عن تسرب أسرار يهودية إلى (الجنتايلز — الكفار) . وما جاء في مذكراته التي نشرت في عدد ١٤ يوليو ١٩٢٢ من

---

(١) عجاج نويهض ، الأنوار ، بيروت ٢٣-٤-١٩٦١ .

(٢) J. Creagh Scott, Hidden Government, Britons Pub. Society, London 1954 - P. 9

(٣) نشرة : The Key to Mystery

جريدة الجويش كرونيكل ، عن زيارته لجولد سمد (Gold Smid) في بريطانيا وما جرى بينهما من حديث عن تدمير الارستقراطية من أجل تقوية النفوذ اليهودي ، وما كان من اقتراح قدمه هرتسل لجولد سمد فحواه ، ان احدى الوسائل الهامة لتحقيق ذلك الهدف هو زيادة الضرائب على الأرض في بريطانيا. وقد جاء مثل هذا الاقتراح الذي قدمه هرتسل لجولد سمد في سنة ١٨٩٥ ، جاء في البروتوكول السادس الذي وضع أيام انعقاد المؤتمر الأول سنة ١٨٩٧[1]. والأدلة القاطعة على صحة المقررات وما حوته من خطط يهودية جهنمية ، هو تنفيذ كثير مما ورد فيها من خطط ودسائس ومؤامرات ، ومن يقرؤها وقد صدرت في القرن التاسع عشر ، يدرك اليوم إلى أي مدى تحقق الكثير مما ورد فيها . ونظراً لأن تلك المقررات اعتبرت دستور الصهيونية العالمية السري ، فلا بد من ذكر خلاصتها في هذا البحث ، لتتم الصورة عن وسائل التنفيذ التي يستخدمها اليهود في تحقيق اغراضهم ، انظر الملحق رقم (١) .

٣ — جمعيات أخرى .

أ — بناي برث (أبناء العهد) B'nai B'rith :

انشئت هذه الجمعية في مدينة نيويورك سنة ١٨٤٣م على نظام الماسونية . واقتصرت في قبول الأعضاء بمحافلها على اليهود . ومن نيويورك انتشرت فروعها إلى جميع أنحاء العالم ، في أوربا وخاصة بريطانيا والمانيا وفرنسا ، وفي آسيا واستراليا وافريقيا . ولم تسلم مصر منها فقد تأسس فيها محفلان سمي أحدهما محفل ماغين دافيد رقم ٤٣٦ والثاني محفل ميمونيت رقم ٣٦٥ ، قانون الأول باللغة العربية والثاني بالالمانية[2] . وأهداف هذه الجمعية في ظاهرها حب الخير والعمل الإنساني في مساعدة الفقراء والمضطهدين ومنع الاهانة عن اليهود والدفاع عن حقهم في المساواة[3] . ولكن الأهداف الحقيقية لهذه الجمعية كانت تدور

---

(١) Protocols of the Learned Elders of Zion, Britons Pub. Society London, 1922 P. 4

(٢) شاهين مكاريوس ، ص ٢٠٤ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية ، ط ١١ (بناي برث) .

حول دعم الماسونية العالمية ومساندتها في جميع الخطط الجهنمية التي ترمي إلى سيطرة اليهود على العالم بعد تدمير الأخلاق والحكومات الوطنية والدين . وكان أخطر محافل هذه الجمعية تلك التي انشئت في الولايات المتحدة وبريطانيا ، لأنها تغلغلت في صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وتولت محافل هذه الجمعية التصدي لكل من يتعرض لليهود أو يحاول الكشف عن خططهم وأساليبهم المخربة في الحياة . وغدت بناي برث سيفاً مسلطاً على رقاب الشعب في بريطانيا وامريكا وبقية أنحاء أوربا . واستخدمت مختلف الوسائل لاسكات الألسن وتحطيم الأقلام التي تفكر في نقد اليهود الذين يعيثون في بلاد العالم فساداً وتآمراً وتخريباً. وقد بلغ من خطرها أنها كانت تبث فروعها الارهابية في أربعين جامعة وكلية في الولايات المتحدة الامريكية[١] .

ولقد اسهمت بناي برث في جميع الثورات والحروب التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين . فقد ثبت أنها كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية والحربين العالميتين الأولى والثانية كما سيرد معنا في فصل قادم. وبالنسبة لوطننا فلسطين ، كانت هذه الجمعية تنفث سمومها وتغرس بذور الشر الصهيوني منذ سنة ١٨٦٥م . وفي سنة ١٨٨٨ انشأت في فلسطين أول محفل ماسوني للجمعية ثم اسهمت في تأسيس بعض المستعمرات الصغيرة خالقة بذلك نواة الوطن القومي اليهودي . وكان من أبرز الشخصيات اليهودية المنتمية لهذه الجمعية في فلسطين : ناحوم سوكولوف ، دزنكوف ، حاييم نخمان ، دافيد يلين ، مايئر برلين ، حاييم وايزمن ، جاد فرامكين[٢] . ولم تزل جمعية بناي برث قوة يهودية عاتية تسيطر على مقدرات امريكا وبريطانيا ، وسلاحاً ماضياً في يد اليهودية العالمية تستخدمه للسيطرة على العالم . ويكفي أن نعلم ان رئيس هذه الجمعية فيليب كلوزينك Philip Kluznick قد عين في عهد الرئيس ايزنهاور رئيساً للوفد الامريكي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وان رؤساء الولايات المتحدة لا يدعون فرصة تمر دون الاشادة بالأعمال العظيمة التي تحققها بناي برث[٣]..

---

(١) The American Jewish Year Book Vol. 46, 1944-1945 - P. 424

(٢) خطر اليهودية ، ص ١٥٤ .

(٣) عدد ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ من Arnold Leese, Gothic Ripples

ولا ننسى الحديث الذي أدلى به فوستر دالاس في الحفل الذي أقامه محفل الجمعية الأعظم بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٦ والذي قال فيه :

« ان مدنية الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية للإنسانية ، و لذلك يجب ان تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها ان تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن المدنية في معقلها الحالي اسرائيل[١] ... »

وهكذا نجد ان دالاس وأمثاله من زعماء الغرب البروتستانت قد أعمتهم خطط اليهود عن ادراك الحقيقة المرة وهي ان الديانة اليهودية القائمة على همجية التوراة والتلمود كما يمارسها اليهود اليوم ، ليست أساساً لمدنية الغرب وإنما هي البلاء الأكبر الذي يهدد مدنية الغرب والشرق على السواء ...

ب — شهود يهوه : Jehovah witnesses

جمعية يهودية ترتدي ثوباً مسيحياً مزيفاً .وهي في الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية في العالم ، ذلك لأنها تقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة وادخال نبوءات التوراة في النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازماً عند المسيحيين بوجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد ... والجمعية تأخذ اسم رب اليهود يهوه كما ورد في التوراة . وقد تأسست هذه الجمعية في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة سنة ١٨٨٤ . ثم انتقلت إلى نيويورك سنة ١٩٠٩ . ومن هناك شرعت توفد المبشرين إلى أنحاء العالم كافة . وطريقة التبشير عند اتباع هذه الجمعية هي اقتحام بيوت الناس بوقاحة عجيبة والبدء بالقاء دروس دينية من التوراة اليهودية لاستدرار عطف السامعين وكسبهم إلى صف الداعين إلى ضرورة عودة اليهود لارض الميعاد تحقيقاً لأوامر يهوه .

ومن مبادىء هذه الجمعية :

(١) عدم انفاق الأموال على اقامة الكنائس والمعابد ، وعدم الذهاب إلى المدارس اللاهوتية والمعاهد الطائفية .

(٢) عدم الاحتفاظ باسماء الأعضاء في الجماعة ، والاكتفاء بحفظ أسماء ناشري مطبوعاتهم التي يعترفون أنها تزيد على عشرات الألوف من الكتب

---

(١) المرجع السابق ، عدد ١٥ ابريل ١٩٥٨ .

والنشرات كل عام .

(٣) سرية مصادر الأموال التي تساعدهم على أداء مهمتهم .

(٤) الغاء العطلة أيام الآحاد ، تنفيذاً لأوامر يهوه ...

(٥) التظاهر بعدم معاداة الطوائف الأخرى[١] .

ولقد تسربت هذه الجمعية الخبيثة إلى البلاد العربية وخدعت حكومات عربية كثيرة فتغاضت عن نشاطها . وفي لبنان استفحل نفوذها فهب فريق من رجال الدين المسيحي الواعين ، وهالهم التطبيق العملي لتعاليم هذه الجمعيةاليهودية وقاد المعركة ضد شهود يهوه الخوري جورج فاخوري وفضح أسرارها وكشف حقيقة تعاليمها كما يلي[٢] :

(١) انهم ينكرون روحانية النفس وخلودها .

(٢) لا يخضعون لانظمة البلاد التي يعيشون فيها ، ولا يعترفون بقانون أو دستور .

(٣) انهم سفراء الله على الأرض التي يحكمها ابليس وأعوانه ، فلا يلزمهم أداء أية خدمة وطنية في أي بلد .

(٤) المسيحية زائفة والبابا مسيح دجال واسرار المسيحية من وحي الشيطان .

(٥) الإسلام أشبه بالبوذية والأديان الوثنية .

(٦) لا بد من أن يدمر يهوه ممالك العالم واقامة مملكة صهيون .

(٧) الحركة الصهيونية من عند الله وهرتسل نبي مرسل من الله ومبارك .

والخلاصة أنها جمعيةيهودية تستخدمها اليهودية العالمية مع الماسونيةوالصهيونية وبناي برث لتجريد الناس من وطنيتهم وأهدافهم السامية وتقاليدهم وأديانهم وأخلاقهم كما يشتهي التلمود ويرغب .

ج — الروتاري :

وهي جمعية تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف . وتتظاهر كذلك بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية

---

(١) أمين سامي الغمراوي،لهذا أكره اسرائيل ، دار النهضة العربية ١٩٦٤ ، ص ١٥٣–١٥٥

(٢) سامي عميقة ، الصياد ، بيروت ٢٤–١١–١٩٦٠ .

والاقتصادية . ولهذه الجمعية نواد في أكثر عواصم العالم ، انضم إليها عدد كبير من الشخصيات العالمية . وتحقق هذه النوادي أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان والغاء الخلافات الدينية . وبذلك يتسرب اليهود إلى المجتمعات مستغلين فكرة التسامح التي ينادي بها المخدوعون المضللون ، وينفذون أغراضهم في التجسس على البلاد التي يعيشون فيها . وقد فطن الفاتيكان إلى خطر أندية الروتاري ، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٥٠ قرر فيه الكرادلة :

« دفاعاً عن العقيدة وعن الفضيلة لا يسمح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادي الروتاري أو الاشتراك في اجتماعاتها ، وعلى غير رجال الدين كذلك ان يراعوا المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية المحرمة والمشتبه بها [١] .. »

د — اللاسامية Anti-Semitism

وهذه اللفظة لا تعني جمعية كبقية الجمعيات ، إلا أنها فرية كبرى لعبت وما زالت تلعب دوراً خطيراً في تاريخ البشر وعلاقة الأمم باليهود . انها سلاح معنوي جبار اخترعه اليهود وفسروا العداء الموجه إليهم من شعوب الأرض قاطبة انه عداء للجنس السامي . ونجح اليهود بمهارتهم وحيلهم وأساليبهم الجهنمية في استبدال كلمة (لا سامية) بكلمة (لا يهودية) . وانطلت الحيلة على الغرب الأعمى وصدقوا افتراءات اليهود في أن العداء الموجه ضدهم هو عداء للجنس السامي . ونسي الغرب الأعمى أو تناسى ان الأمة العربية اليوم تشكل القسم الأكبر من الجنس السامي ، ومع ذلك فهي التي تتعرض لعدوان اليهودية العالمية والصهيونية . وأما اليهود الذين يستغلون هذا السلاح لمحاربة كل من يقف في طريق أهداف اليهودية والصهيونية والماسونية ، فانهم أو على الأقل غالبيتهم من جنس غير سام . ذلك لأن الجزء الأكبر من اليهود في العالم اليوم هو من يهود الخزر الذين جاءوا من شرق أوربا وجنوبها الشرقي ، وكانوا قد تهودوا منذ أيام الخليفة هارون الرشيد . وتاريخ يهود الخزر يشير إلى ان عملية

---

(١) محمد علي علوبه ، فلسطين وجاراتها ، لجنة البيان القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٦٥ .

تهودهم بدأت سنة ٣٣٢م وتمت سنة ٩٤٧م[١] . أما كيف أصبح هذا السلاح سيفاً رهيباً مسلطاً فوق رؤوس غير اليهود فخلاصته كما يلي[٢] :

(١) حين كان اليهود يضرمون نار الحرب الدينية التي التهمت ملايين المسيحيين في أوربا ثم تكتشف أصابعهم فيها ، يصيحون لا سامية ...

(٢) حين اضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا في قتل أكثر من ٦٠ مليون مسيحي ، وثار بعض الأحرار الاوربيين وحاولوا كشف أصابع اليهود صاحوا لا سامية ..

(٣) كلما زاد طغيان المرابين اليهود واختنق الشعب الذي آواهم وحماهم ، وحاول ان يتململ لانقاذ نفسه من قبضة المرابين اليهود صاح اليهود لا سامية ...

(٤) كلما اكتشف شعب من الشعوب خطط اليهود الجهنمية لتدمير الدين والأخلاق وتحطيم العادات والتقاليد ، وحاول ذلك الشعب أن يحمي نفسه ضد الاجرام اليهودي المدمر صاح اليهود لا سامية ...

(٥) كلما أمعن اليهود في سرقة أموال شعب من الشعوب ونهب مصادر ثروته المعدنية والزراعية والتجارية ، وضج أحرار ذلك الشعب صاح اليهود لا سامية ...

(٦) حين تململ الشعب الروسي من طغيان ستة ملايين يهودي ، وأخذ يحد من نفوذهم وجشعهم ومؤامراتهم صاح اليهود لا سامية ... وكان جزاء الشعب الروسي ذبح ملايين المسيحيين في السنوات الأولى للثورة البولشفية سنة (١٩١٧م) .

(٧) وحين تولت اسرة ساسون في القرن التاسع عشر (١٨٣٢–١٨٦٤) تجارة الأفيون في الصين وثار أحرار البلاد صاح اليهود لا سامية ...

(٨) حين اكتشف الانجليز مناجم الذهب والماس في الترنسفال بجنوب افريقية في أواخر القرن التاسع عشر وهرع المغامرون اليهود لاستغلالها ثار شعب

---

(١) D. M. Dunlop, The History of the Jewish Khazars, Princeton University Press 1954, P. 89

(٢) خطر اليهودية ١٧٤ – ١٧٧ .

البوير وهم السكان الأصليون فصاح اليهود لا سامية ... ثم اكرهوا الانجليز على خوض الحرب التي قصفت أعمار آلاف الشباب البريطاني لتأمين وصول الذهب والماس إلى خزائن اليهود في بريطانيا .

(٩) إذا عم الارهاب اليهودي جميع مرافق البلاد وروع الشعب الآمن ، وتحركت بعض الاقلام الشريفة لانتقاد الأوضاع التي يخلقها اليهود ، صاح اليهود لا سامية ...

(١٠) إذا طالب صوت حر ان تمتنع الأحزاب في بريطانيا وامريكا عن الزج بأصوات اليهود الانتخابية في توجيه سياسة البلاد حرصاً على مصلحة الوطن ، صاح اليهود وقالوا لا سامية ... وتآمروا على ذلك الصوت لخنقه كما حدث « للشهيد » فورستال وزير الدفاع في حكومة ترومان، الذي قتله اليهود وأذاعوا انه انتحر لأنه من معتنقي مبدأ اللاسامية ...

(١١) حين كتبت بعض الصحف ان الجواسيس الذين حوكموا في امريكا وبريطانيا كانوا جميعاً من اليهود صاح اليهود هذه لا سامية ...

(١٢) حين القي القبض في روسيا السوفيتية على عدد من الأطباء اليهود سنة ١٩٥٣ بتهمة قتل ضحايا بريئة بالابر المسمومة صاح اليهود لا سامية ... وحين القت الحكومة القبض على عدد من تجار السوق السوداء وعدد من المحتالين والغشاشين والافاقين اليهود وصدرت ضدهم أحكام رادعة قاسية صاح اليهود يا للهول ان اللاسامية قد انتشرت في الاتحاد السوفييتي.

(١٣) حين نشرت بعض الصحف ان أطباء اليهود يجرون تجارب على بعض المرضى من غير اليهود بأن يحقنوهم بخلايا سرطانية حية من غير رضاهم ويحتج المرضى ويرتفع صوت استنكار لهذا العمل الوحشي الذي يساوي الإنسان بالحيوان يصيح اليهود في امريكا-هذه لا سامية ...

(١٤) حين تظهر علامات الاستنكار والاشمئزاز من الجرائم اليهودية التي يمارسونها في طقوسهم الدينية فيذبحون الأطفال لاستخدام دمائهم في خبز العيد يصيح اليهود لا سامية ...

(١٥) كل من يوجه أي نقد لتعاليم التوراة والتلمود والمقررات الصهيونية ، وكل من ينتقد خطط اليهودية العالمية للسيطرة على العالم بعد القضاء على

المدنيتين الإسلامية والمسيحية ، يهاجمه اليهود ويصيحون لا سامية ...

(١٦) إذا خرج قلم حر أو لسان حر صادق ليفضح الاخطبوط اليهودي المسيطر على أجهزة الإعلام في أغلب الدول الأوربية والامريكية ، يسارع اليهود إلى تحطيم ذلك القلم وقطع ذلك اللسان وسلاحهم الأول اللاسامية ...

ونجح اليهود بما لديهم من قوة مادية رهيبة تتمثل في امتلاكهم زمام الذهب والدولار والاسترليني ، نجحوا في استخدام سلاح اللاسامية ، وفرضوا غشاوة على أبصار قادة الغرب وبصائرهم ، فلم يقرأوا ما كتبه اليهود أنفسهم واعترفوا فيه بأنهم السبب في وجود اللاسامية . فقد قال مؤرخهم برنارد لازار في كتابه (اللاسامية) الذي نشره سنة ١٨٩٤م[١] :

«The general causes of anti-Semitism have always been the fault of the Jews themselves and not the fault of those who have opposed them ...With his dispositions and his tendencies it is inevitable that the Jew plays a part in revolution.»

ومعناها :

« ان الأسباب العامة التي أدت إلى اللاسامية كانت دائماً نتيجة خطأ اليهود أنفسهم وليس خطأ الذين عارضوهم ... ومع ما لليهودي من نزعات وعواطف وميول كان لا بد من أن يلعب دوراً في الثورات ... »

واعترف الصهيوني الأكبر وايزمن في أقواله أمام لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية التي حضرت إلى فلسطين سنة ١٩٤٦م بأن اليهود يحملون اللاسامية في مزاودهم حيثما ذهبوا[٢] .

«We seem to carry anti-Semitism in our knapsacks wherever we go.»

ونشرت جريدة الجويش كرونيكل اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٥٢ حديثاً للنائب سلفرمان نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي فرع بريطانيا قال فيه[٣] :

«But I would like to make it clear that in my opinion any suggestion that there is any element or trace of anti-Semitism connected with this problem is morally wicked and politically imbecile.»

---

(١) العدد ٣٨ تاريخ ١٨-١٢-١٩٤٩ من نشرة Free Britain, London

(٢) خطر اليهودية ، صفحة ١٧٨ .

(٣) عدد ١٢٧ تاريخ ١١-٥-١٩٥٢ من نشرة Free Britain, London

وفي حديثه هذا كان يعلق على انحطاط الثقافة اليهودية في الاتحاد السوفيتي فقـال :

« ارغب في توضيح الأمر فمن رأيي أن أي محاولة أو تفكير في ارجاع أسباب الانحطاط إلى اللاسامية أو مجرد أثر اللاسامية ، إنما هو من الوجهة المعنوية عمل شرير ومن الوجهة السياسية عمل جنوني أحمق ...

الفصل الخامس

الفتن والمؤامرات

ذكرنا في فصل سابق كيف اصطدم الإسلام بيهود الجزيرة العربية بعد ان أظهروا العداء للرسول صلى الله عليه وسلم ولدينه الحنيف . وأوضحنا كيف أنهم تآمروا وحقدوا وحملوا السلاح ضد الإسلام والمسلمين وانتهى ذلك بهزيمتهم واقصائهم عن جزيرة العرب . وفي هذا الفصل نقول ، ان اليهود لم يكفوا رغم هزيمتهم العسكرية ، عن التآمر وبث الفتن في سبيل اضعاف الإسلام وتمزيق شمل المسلمين . فقد لجأوا إلى خطط ماكرة تعودوا عليها مع خصمهم الأول المسيحية . لجأوا إلى التظاهر بالإسلام ليتسنى لهم بث السموم وزرع بذور الشك والريبة والتضليل والغش بين المسلمين متسترين بثوب الإسلام المتسامح ، مستغلين رفعة الأخلاق العربية الإسلامية في أيام الإسلام الأولى . وإذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي بعد عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ألفينا أصابع اليهود في مؤامرة قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) واضحة جلية . فها هو اليهودي الحاقد كعب الاحبار يتظاهر بالاخلاص للخليفة فينقل إليه نبوءات التوراة (الكاذبة) عن مقتله بعد ثلاثة أيام[1] وما عهدنا

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب ، الدار القومية د . ت ، ص ١٤٦ .

الكتب السماوية تبين عن مقتل أحد وتحدد وقت التنفيذ . ولكنها أساليب اليهود في المكر والخداع . فالواقع يؤكد ان كعب الاحبار كان على علم بمؤامرة الهرمزان وأبي لؤلؤة ، وعلى علم بموعد التنفيذ ، فتظاهر ان التوراة تنبيء عن مقتل الخليفة ليبعد الشك عن نفسه فيما لو اتسع التحقيق وكشفت المؤامرة . وحين نفذت الجريمة اكتفى عبد الله بن عمر بأخذ الثأر من الهرمزان وجفينة النصرانية ، وأبو لؤلؤة منفذ الجريمة قتل نفسه . ولم يجر تحقيق ما بين الفرس واليهود والنصارى الذين كانوا حاقدين على العرب عامة وعلى الخليفة عمر خاصة ، لتظهر أصابع الاجرام اليهودي . ونجا كعب الاحبار بينما اصيب الإسلام بأول ثلمة لم ترتق حتى يومنا هذا[1] .

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، حاكت أصابع اليهود أخطر فتنة اصيب بها الإسلام والمسلمون ، ما زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا . تلك هي فتنة غلاة الشيعة التي خلقها وتزعمها وقادها اليهودي عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء . وابن سبأ من يهود اليمن تظاهر بالإسلام في خلافة عثمان بن عفان ، واخذ يتنقل من بلد إسلامي لآخر ، باثاً ضلاله وشكوكه ، حتى وصل إلى مصر وتحدث في الرجعة قائلاً للناس : كيف تؤمنون برجعة المسيح ولا تؤمنون برجعة نبيكم محمد ، وكيف تسكتون على اغتصاب الخلافة من آل البيت[2] ...؟ وقاد ابن سبأ حملة التشهير بالخليفة عثمان ، وبث دعاته واسس جمعياته السرية التي أخذت تنفث سموم الفتنة في كل بقعة من ديار الإسلام . وحين أتم استعداده ، نفذ المتآمرون معه جريمة قتل الخليفة عثمان في اسلوب وحشي نابع من تعاليم التلمود اليهودية . واخذ ابن سبأ يدعو إلى تأليه الإمام علي ، وحين قتل الإمام انكر ابن سبأ ذلك وزعم ان علياً لم يقتل وأنه حي وان فيه الجزء الإلهي وانه هو الذي يجيء في السحاب ، وان الرعد صوته والبرق سوطه[3] . ولم تكن دعوة التأليه هذه بالشيء الجديد عند اليهود . فقد كانوا

---

(1) محمد حسين هيكل ، الفاروق عمر ، مطبعة مصر ١٣٦٤ ، ج٢ ، ص ٣١٩ .

(2) الشيخ محمد الخضري ، تاريخ الأمم الإسلامية ، المكتبة التجارية ، د. ت، ج٢ ، ص ٥٣ .

(3) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (-٨٤٥هـ) الخطط، ط النيل ١٣٢٦ هـ ، ج٤ ص ١٨٢ .

واضعي خطة تأليه المسيح عليه السلام حين عجزوا عن القضاء على المسيحية ، فجعلوها تقوم على اسس التثليث أو الأقانيم الثلاثة . وغدت محنة علي باصحابه كمحنة المسيح ، وكلا المحنتين من صنع اليهود [١] .

واستعر لهيب الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان وعلي والحسين بن علي شهيد كربلاء . وانقسم المسلمون على أنفسهم ودبت بينهم الخلافات والاطماع .

واصغى جمهور كبير من المسلمين إلى نداء الفرقة والعصبية القبلية التي أزالها الإسلام. واليهود الذين اخفقوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في زرع بذور الفتنة بين الاوس والخزرج ، نجحوا في زرع بذور الفتنة منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

ولم يكن اليهود ليظهروا على المسرح ، بعد ان هدم الإسلام كيانهم وقضى على وجودهم في الحجاز ، بل عملوا من وراء ستار منفذين لخطط رئيسهم ابن سبأ . وبعد ان نجحت الحركة السبأية في وضع اسس الفتنة بين المسلمين تشعب عنها عدد من الحركات الهدامة التي أسهمت في اضعاف المسلمين وجلبت عليهم الويلات والمصائب . ومن أخطر تلك الحركات ، الاسماعيلية التي بدأت جمعية سرية على غرار جمعيات اليهودالسرية ، لا يعرف أغراضها ودستورها إلا زعماؤها الاقلون وقادة أفكارها المقربون إلى رئيسها . وكان أول مؤسس لها هو اليهودي عبد الله بن ميمون القداح . ونسب هذا اليهودي حركته إلى اسماعيل بن جعفر الصادق[٢] ، الذي توفي حوالي (١٤٧هـ) ، وانقسمت الشيعة من بعده إلى فرقتين . الفرقة الأولى ويتبعها الاكثرية العظمى من اتباع المذهب الجعفري . وقد نادوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسلسلوا الإمامة من بعده حتى الإمام الثاني عشر وهو محمد بن حسن العسكري الذي قيل انه دخل سرداباً في مدينة سامراء ، وانه ما زال حياً ، وانه سيخرج من سردابه يوم القيامة باسم المهدي المنتظر ، ليملأ الدنيا عدلاً ورحمة[٣] .

---

(١) الإمام أبو محمد علي ابن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثنى — بغداد ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

(٢) مصطفى الحاج ، بعض الحركات الفكرية في الإسلام ، بيروت ، د . ت، ص ٧٦ .

(٣) دكتور محمد كامل حسين ، طائفة الاسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩، ص ١١ .

وفي هذا يقول شاعرهم (كثير) :

ألا ان الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثه من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء[1]

والفرقة الثانية هي الاسماعيلية ونادى أتباعها بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق . بيد ان الفرق بين الطائفتين كبير وخطير . ذلك بأن الفرقة الأولى أو الطائفة الشيعية الاثنى عشرية كانت وما زالت احدى فرق الإسلام الكبرى ، لها آداب وفقه وعلوم اسلامية لا تكاد تختلف عن السنة . كما لها مواقف اسلامية خالدة في الذود عن حياض الإسلام ، ولا تعترف هذه الطائفة الإسلامية بعبد الله بن سبأ وتلعنه وتبرأ منه ، كما تبرأ من غلاة الشيعة الذين اتبعوا بدع اليهود وأساليبهم الاجرامية في الدس على الإسلام والمسلمين[2] .

وقد اختلف المؤرخون في شرح حقيقة تعاليم الاسماعيلية فمنهم من زج بها في زمرة الماديين والزنادقة ، ومنهم من يحشرهم في جماعة زرادشت والمجوس الذين كانوا وما زالوا يسعون لاحياء دين فارس القديم ومنهم من ينسبهم إلى السبأيين، ومنهم من يصفهم بالانحلال والدعوة للإباحية والإلحاد، ومنهم من يأخذ عليهم تحليل المحرمات وهدم القيم الاخلاقية والآداب المتبعة في كل عصر . وأبشع ما ينسب إليهم هو نكاح البنات والاخوات واباحة اللواط وشرب الخمر والكذب والنفاق والتضليل والخداع والتقية والحقد على العروبة والإسلام . وهي صفات معهودة باليهود كما سبق أن بينا[3] . وأقوى دليل على أثر اليهود في حركات الاسماعيلية ، هي ترتيبات الدعوة وتنظيماتها

(١) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، ١٩٣٤ ، ص ٨١ .

(٢) الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، دار البحار ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٨٢ .

(٣) مصطفى الحاج ٨٣، ٨٤ .

بحسب الدرجات التي يمر بها العضو العامل ، كما هو جار في تنظيمات الماسونية اليهودية . وتتلخص درجات الاسماعيلية على الشكل التالي[1] :

(١) الإمام : وهذه الرتبة أعلى درجات الاسماعيلية وأرفعها وأوسعها سلطة . وهي مصدر كل قانون وتنظيم وتشريع .

(٢) الحجة أو الباب : تلي رتبة الإمام مباشرة ، فالحجة هو نائبه وظل الإمام لا يفارقه ، فلا إمام بدون حجة ولا حجة بدون إمام . ويطلق عليه اسم باب كذلك ومعناه أنه باب سر الإمام ومستودع اسراره وأعماله ..

(٣) داعي الدعاة : هو رئيس الدعاة والمسؤول الأول امام الحجة عن توزيعاتهم في الاقاليم ، وعن سلوكهم وأعمالهم وتعليمهم وانتقائهم ...

(٤) داعي البلاغ : هو المسؤول الأول عن تبليغ الأوامر التي يرسلها داعي الدعاة إلى الاقاليم . ويعتبر رئيس القلم والأمين العام ومحرر الرسائل ...

(٥) داع مطلق أو نقيب : هو الداعي الذي يصل إلى مرتبة تؤهله للسفر والتجوال من أجل الدعوة . ويكون مرتبطاً بداعي الدعاة ...

(٦) داع مأذون : مرتبته أدنى من مرتبة الداعي المطلق ، يخضع لترتيباته ولا يتنقل بين الاقاليم إلا باذنه ...

(٧) داع محصور : أقل قيمة من الداعي المأذون ، ويعتبر مسؤولاً أمام الداعي المطلق عن شؤون التبليغ في منطقة معينة .

(٨) جناح أيمن .

(٩) جناح أيسر .

حاملا هاتين الرتبتين ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق . فهما جناحاه يقدمان له الخدمات أثناء قيامه بالجولات في الأقاليم ، ويمهدان له الطريق ويقومان بالدعاية اللازمة لانجاح مهمته .

(١٠) المكاسر : وتعطى هذه الرتبة لكل مكالب تفقه بالدعوة ووصل إلى مدخل الفلسفة ، وأصبح قادراً على المجادلة وخاصة بين طبقات العامة .

(١١) المكالب : وهي أعلى من رتبة المستجيب . ووظيفة حاملها هي التجسس واستنشاق الأخبار المتعلقة بالدعوة . وجلب الزبائن الذين يأنس فيهم

---

(١) عارف تامر ، القرامطة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت ، ص ٧٩ – ٨٣ .

الاستعداد والقابلية لخدمة الحركة ويشبهونه بكلب الصيد الذي يحضر الطرائد بعد أن تصاب ..

(١٢) المستجيب : وهي أول رتبة تعطى للمنتسب حديثاً إلى الحركة .

وتعتبر الحركة الإسماعيلية من النكبات التي ألمت بالإسلام ، لما تم على يد أتباعها من تشويه لحقيقة الإسلام ، واعطاء صورة بشعة عنه أمام العالم ، مما سهل لدعاية اليهود في العالم النيل من الإسلام العظيم . وتاريخ إمام الطائفة آغا خان الثالث (١٨٧٧–١٩٥٧) أقوى برهان على خطر الحركة الاسماعيلية وكفرها وبعدها عن الإسلام . فقد كان آغا خان اسوأ مثل على الإنسان العادي بله الإمام الذي يفترض فيه استقامة الخلق والإيمان والصلاح . وحياة آغا خان وقصص غرامياته وزوجاته وفسقه ووزنه تارة بالذهب وبالماس تارة أخرى ، كانت مادة دسمة لصحافة العالم اليهودية طوال نصف قرن . واتباع آغا خان يشاركونه المسؤولية في تشويه وجه الإسلام الصحيح . فقد كانوا يؤلهونه ، ويعتقدون أن الخمر حين تدخل في جوفه تتحول إلى ماء زمزم .

وحين سئل آغا خان مرة من قبل صديق له ، كيف يسمح — وهو المثقف — لاتباعه ان يؤلهوه ، قهقه طويلاً حتى دمعت عيناه وقال : « ان القوم في الهند يعبدون البقرة ، ألست خيراً من البقرة ...؟ »[1].

وانجبت الاسماعيلية حركة هدامة أخرى هي حركة القرامطة التي قامت لهدم الخلافة العباسية وانتشر أتباعها في العراق واليمن والبحرين وفارس . وكان أخطر فئة منهم قرامطة البحرين الذين قاد رئيسهم سليمان بن طاهر جيشاً وغزا مكة المكرمة (٣١٧هـ / ٩٣٠م) ، وهتك حرمة بيت الله الحرام . وفتك بالحجاج المحرمين الآمنين وقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً ، ونهب الأموال وردم بئر زمزم واقتلع الحجر الأسود ونقله مع قواته المنسحبة للجنوب[2] .

والحركة القرمطية عامل تخريب في قواعد الإسلام ، تظاهرت بأنها تهدف إلى خدمة الطبقة الفقيرة ، فخففت عنها أعباء المعيشة وفي الوقت نفسه خففت عنها أعباء الدين ، ورفعت فروض الصلاة والصوم والزكاة وألغت شعائر الإسلام

---

(١) محمد كامل حسين ، ص ١٢٦

(٢) مصطفى الحاج ، ص ١١٨

وحقدت على العرب والعروبة .

وفي هذا يقول شاعرهم[1] :

خذي الدف يا هـذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطـربي
تولى نـبي بـني هاشـم	وهذا نـبي بـني يعـرب
لكل نـبي مـضى شرعـة	وهـذي شرائـع هـذا النبي
فقد حـط عنـا فروض الصلاة	وحـط الصيام ولـم يتعب
فلا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القـبر في يـثرب

ولقد كان الاصبع اليهودي في حركة القرامطة متستراً إلى أن كشفه الخليفة المعتضد حين ضيق الخناق على عزرا بن صموئيل كبير تجار اليهود في بغداد . واعترف عزرا بأن اليهود قد مدوا يد العون المالي إلى القرامطة وحركات بابك الخرمي والسبئيين وميمون القداح . واعترف كذلك بمساعدة اليهود السرية للروم رغم أن تسامح المسلمين أيام العباسيين قد جلب على اليهود النعيم والرخاء، وأنهم اثروا واكتنزوا الأموال من التجارة والربا ، ومع كل ذلك فإنهم عمدوا إلى مساندة كل حركة تخريبية تقوم في ديار الإسلام[2] .

ورغم ان حركة القرامطة اندثرت منذ زمن بعيد ، إلا أن آثارها التخريبية وأفكارها الشعوبية الحاقدة ما زالت عالقة بأذهان بعض الكتاب الذين لا يتورعون عن الاشادة بتعاليمها ، نافثين سموم الحقد على الأمة العربية التي حملت وما زالت تحمل لواء الإسلام. فهذا قرموط حقير يكتب في سنة ١٩٦٥ عن العرب ما يلي:[3]

« وإذا ما أردنا ان نشعب البحث ونذهب بعيداً فنقول ، انه لم يكن للعرب أيضاً عندما حلوا في الأمصار التي فتحوها أي ثقافة أو تراث فكري ينشرونه في الأفكار ، ويغرسونه في العقول ، واننا نرى أنه في كافة البلدان التي كانت خاضعة للدولة الأموية ، تعلق الفاتحون بحضارة الأمم التي غلبوها ، فنقلوا عنها الكثير من الأفكار والآراء ، وبالفعل كانوا مهرة في النقل ،

---

(١) عارف تامر ، ص ١٤٥ .

(٢) علي أحمد باكثير ، الثائر الأحمر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٣٤ — ١٤٠

(٣) عارف تامر ، ص ١٨ .

واظهروا قابلية فائقة للغذاء العقلي ... » .

واستمرت فتن اليهود وأصابعهم تلعب بالإسلام ، حتى أن أغلب مؤرخي المسلمين (السنة) قد أجمعوا على أن عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب كان يهودياً من سلمية حداداً ، دخل المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي وقال عن نفسه انه المهدي..[1] وتاريخ الفاطميين يشير بلا ريب إلى أثر اليهود التوراتي التلمودي في تعاليمهم وسلوكهم وتأليه ملوكهم ، كما حدث للحاكم بأمر الله الذي ادعى الربوبية وصار قوم من اتباعه يقولون : يا واحدنا يا احدنا ، يا محيي ، يا مميت[2] ..

وتنطق الرسالة الرابعة عشرة من رسائل الحاكم بأمر الله ، إلى الكفر الصراح وتأليه الحاكم ، والرسائل هي التي حلت عند الفاطميين محل القرآن والسنة . ومما جاء في تلك الرسالة :

« سبحانك يا مبدع الأشياء ، يا مخترع العالمين ... يا من لا تلحقه صفة وليس له صفة .. شهدت وآمنت وأيقنت بأنك الله المبدع العزيز الواحد الأحد ، وانك باري لا باري لك ، وخالق لا ضد لك ، وقادر لا مقدور عليك ، وحاكم لا محكوم عليك ... يا أرحم الراحمين لا اصرف ذاتي إلى غيرك تائب إليك معترف بالوهيتك ، متبرىء من كل عدو لك ، لا شريك لك ولا دافع لامرك ، تجاوز عني واغفر ذنبي .. لا إله غيرك ولا معبود سواك[3] .. » .

وهذا جزء يسير من الرسالة الطويلة الموجهة لا إليه سبحانه وتعالى وإنما للحاكم بأمر الله... وتغلغل النفوذ اليهودي في الدولة الفاطمية حتى قال شاعر مسلم :

يهود هذا الزمان قد بلغوا غايه آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك

---

(١) الإمام الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤) ، مطبعة السعادة القاهرة د . ت ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط الهند ١٣٥٨ ، ج ٧، ص ٢٩٨ .

(٣) دكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة ١٩٦٤ ، ص ٣٦٦ .

يا أهل مصر اني قد نصحت لكم تهوّدوا قد تهوّد الفلك[1]

هذا ما رأينا ايجازه عن أصابع اليهود في الفتن والمؤامرات الايجابية التي جلبت المصائب والويلات على الإسلام والمسلمين . ولا ننهي هذا الفصل دون الإشارة إلى الفتن السلبية التي حققها اليهود بأفكارهم وأقلامهم ومكرهم . فقد أجمع المؤرخون على أن الشوائب والبدع التي الصقت بالإسلام لم تكن من الإسلام في شيء ، وإنما كانت بفعل روايات اسرائيلية مغرضة خرافية لا صلة لها بالقرآن الكريم والسنة النبوية[2]

ويطلق علماء المسلمين كلمة اسرائيليات على جميع البدع والخرافات والعقائد والأساطير التي دسها اليهود وعبيدهم من المبشرين ، والتي استغلها المستشرقون من اليهود في النيل من الإسلام النظيف البريء من تلك الأفكار[3] . وتشمل الاسرائيليات ما زجه اليهود في بعض التفاسير من خرافات وتنبوءات عن نهاية العالم ، وملاحم خيالية وأحاديث مدسوسة لا يقبلها العقل السليم . وكل هذا الذي شرع اليهود في تدبيره لاضعاف الإسلام وتشويهه منذ القرن الأول الهجري ، ما زلنا نعاني منه أشد العناء . ولولا أن الإسلام دين الله الذي فطر الناس عليه ، ولولا عوامل القوة الكامنة في هذا الدين لاستطاع اليهود بدسائسهم ومكرهم ، تحطيمه ولما يزل في مهده[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٢) عبد الجواد سليمان ، سلسلة بحوث ومحاضرات للشيخ محمد عبده ، حسن المنياوي ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٤٠١ .

(٣) فان فلوتن ، ص ١٠٨ .

(٤) دكتور جمال الدين الرمادي ، الاسرائيليون والمؤامرة الكبرى ، كتب قومية ، عدد ١٤٨ ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧ .

الفصل السادس

طرق التدمير في المجتمعات غير اليهوديّة

يهدف اليهود إلى تدمير مقومات الأمم والشعوب ، تمهيداً للاستيلاء على أوطان الآخرين ولا سيما الوطن العربي الكبير . وقد رسمت بروتوكولات حكماء صهيون الخطط الجهنمية وعبدت الطرق التي يجب أن يسلكها اليهود للوصول إلى غاياتهم . وأولى تلك الطرق هي هدم الدين . وقد نص البروتوكول الرابع على ضرورة انتزاع فكرة الإله من عقول الناس ، والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية عن القوى المادية . ويساعد على نجاح تلك الخطة ان تواصل صحافة اليهود وأجهزة الإعلام التي تسيطر عليها اليهودية العالمية ، الهجوم على رجال الدين مستغلة أخطاء فردية من بعض رجال الدين ، للنيل منهم وتحقيرهم أمام الجيل الصاعد ، فتضعف الثقة برجال الدين ويكثر الملحدون الذين تسخرهم القوى اليهودية لابراز عيوب الأديان غير اليهودية .

وحين تضعف الروابط الدينية لدى جيل من الأجيال ، تضعف بالتالي مقوماته الاجتماعية والأخلاقية . والدين عند كل شعب من الشعوب عامل ضمان لحفظ الأخلاق الكريمة التي يستند إليها النظام الاجتماعي السليم . فحين ينحل الدين تنحل الأخلاق ، وحين تنحل الأخلاق يصبح الشعب كمية مهملة ليست لها مقومات البقاء .

ويلجأ اليهود في سبيل تحقيق تعاليم حكمائهم وتوراتهم وتلمودهم ، إلى طرق عديدة توصلهم إلى تدمير مقومات الشعوب والدول ، مما يسهل عليهم السيطرة على مقدراتها ، وأشد تلك الطرق خطراً :

١ ـ الجنس :

تنص توراة اليهود وتلمودهم على أن مال العالم كله ملك لليهود ، وانه مغتصب منهم وعليهم ان يعملوا لاسترداده بشتى الطرق ، بلا وازع من أخلاق أو ضمير أو منطق . ولذا فقد اعتمد اليهود على بيع أعراضهم لكسب مال « الكفار » واسترجاعه ليكون في حوزة اسرائيل . ويتم ذلك بأن يصدروا فتيات اسرائيل إلى جميع مواخير العالم في أوروبا وأميركا ، ويصدروا كذلك اعداداً كبيرة من الفتيات إلى أسواق الرقيق الأبيض في العالم ، وإلى البارات والملاهي والنوادي الليلية تحت اشراف جمعيات يهودية منظمة . وأخطر جمعية لتوريد الفتيات الاسرائيليات لاسواق الرقيق الأبيض يشرف عليها شلومو بيرلشتين من أعضاء حزب المابام البارزين[١] . وقد ورّد هذا الزعيم اليهودي ثلاثة آلاف فتاة في سنة واحدة (١٩٦٠) . ومن ألمانيا وحدها ربحت فتيات اسرائيل ١٨ مليون مارك الماني . وتعتبر مدينة ميونيخ المركز الرئيسي لتوزيع فتيات اسرائيل على دول اوروبا . ويصدف أحياناً ان يطير شلومو إلى بلد من بلدان اوروبا ناقلا معه (قطعة طيبة) من البضاعة إلى أحد الزبائن من أثرياء أوروبا ... ويعترف شلومو بافتخار ان هذه التجارة تديرها الأسر الارستقراطية في المجتمع اليهودي[٢] .

أما بالنسبة لتجارة الجنس في دولة اليهود نفسها ، فرابحة مربحة . تدر على اليهود المال من أثرياء العالم الذين يقصدون الماخور الغربي الذي يمثل المدنيـة الغربية في الشرق واعني بها دولة اسرائيل . وبالاضافة إلى المال الذي يجنيه اليهود من بيع فتياتهم للزوار الأجانب ، فإنهم يستخدمون الجنس للحصول على أسرار ومعلومات من الزبائن الكبار الذين يحضرون إلى اسرائيل بدعوة من حكومتها ..

---

(١) د كتور سليمان مظهر ، المساء ١٤-٣-١٩٦٢ .
(٢) المرجع السابق .

وتشرف وزارة الخارجية الاسرائيلية على عملية تقديم المتعة للضيوف الأجانب وخاصة وفود الدول الافريقية التي تخدعها حكومة اليهود وتوجه إليهاالدعوات الكثيرة ، وتقدم لها المغريات لترشوها فتستمر في تأييدها للدولة اليهودية . ولقد حولت الاباحية والمتاجرة بالاعراض اسرائيل إلى كباريه وجودي تموت فيه الأخلاق والقيم . فالعلاقات الجنسية تتم بلا روابط من زواج أو طلاق . وفي المستعمرات اليهودية يتناسلون على الطريقة البدائية . والدولة تسلخ الأطفال عن أمهاتهم لتقتل في نفوسهم العاطفة فيشبوا قساة مجرمين. والفتيات يسرن فيالشوارع باللباس القصير الفاضح ، ويمارسن الحب علناً وبشكل قذر . ويبلغ الانحلال الخلقي أشده في الفنادق التي يؤمها السياح الأجانب مثل فندق (دان) ، الذي تتردد عليه وزيرة الخارجية السابقة ورئيسة الحكومة حالياً جولدا مائير للاشراف على خطة الترفيه عن الأجانب البارزين[1] . وعلى الحدود التي تفصل الدولة اليهودية عن البلاد العربية ، تطوف دوريات من المجندات للاختلاط برجال الهدنة وجنود قوات الطوارىء الدولية .

وتحيي المجندات اليهوديات الفاتنات الليالي الصاخبة مع قوات الطوارىء التي تشكل مورداً مالياً كبيراً ومورداً خطيراً لا ينضب من الاسرار التي يقدمها هؤلاء الجنود إلى الغواني اليهوديات . وقد اعترفت مجلة « هوليم هازيه » في تحقيق صحفي لها قائلة : « قلما تجد مراقباً للهدنة أو ضابطاً من البوليس الدولي ليس له عشيقة يهودية ، يغرقها بالهدايا التي يشتريها بأسعار رخيصة من الأقطار العربية التي يزورها[2] ... » ومع الهدايا التي ينقلها رجال الأمم المتحدة تنتقل الأخبار والمعلومات عن كل صغيرة وكبيرة فيالبلاد العربية . (كتب هذا البحث قبل كارثة حزيران ١٩٦٧ يوم كان البوليس الدولي يرابط على الحدود) .

أما إشراف حكومة اليهود على تنظيم عملية البغاء ، فقد كشفت عنهفضائح عديدة وقعت عندهم ، ونشرت فيصحافتهم. وبسببأخطاء بسيطة فيالاجراءات ظهرت الأدوارالرسمية التي تلعبها حكومة اليهود لتسهيل تقديم الفتياتاليهوديات الجميلات إلى الضيوف من اوروبا وافريقيا وخاصة الرسميين منهم . حدث

---

(١) الصياد ١٠–٥–١٩٦٢ .

(٢) الشعب ، بيروت ١–١–١٩٦٤ .

ان داهم البوليس — خطأ — فندق يوسف كلاين واتهمه بممارسة الدعارة . فغضب كلاين وثار على توجيه هذه التهمة إليه . وقرر أن يدافع عن نفسه وان يشرح دوره كرجل وطني يؤدي عملاً لصالح دولته ولتدعيم مركزها في العالم . وكشف كلاين عن أن وزارة الخارجية اليهودية هي التي أمرته ان يخلي فندقه من النزلاء ويعده لاستقبال ضيوف أجانب تخدمهم فتيات يهوديات جميلات . واعترف كلاين ان فندقه لم يتحول إلى وكر عادي للملذات ، وإنما كان الهدف الذي ترمي إليه وزارة الخارجية اكتساب قلوب الضيوف الذين تتاح لهم الفرص الكاملة لممارسة الحب بعيدين عن العيون في الفنادق العادية[1] ..

وقصة الشاويش اليهودي المغفل جولدوين الذي داهم منزلا في شارع روتشيلد بتل أبيب ، فما كان من مديره إلا أن سحب الشاويش إلى التلفون واتصل بعاموس مدير البوليس العام . وحين حضر عاموس مهرولا أنب الشاويش على تطفله وكشف له عن أسرار الدولة التي تنظم عمليات الدعارة لكسب المال وكسب الأسرار والمعلومات من الضيوف الأجانب ، وكان جزاء الشاويش المتطفل الجاهل حسم راتب اسبوع ، مما اضطره إلى تزويد جريدة « هوليم هازيه » بمعلومات عن الفضيحة فنشرتها في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦١/٧/٥ . ومما جاء في ذلك العدد من الجريدة ان بيوتاً كثيرة منتشرة في أنحاء اسرائيل مخصصة لمتعة الزوار من افريقيا وآسيا واوروبا . وان بعض تلك الأماكن يطبق اعمالا منكرة ينسبها إلى العرب ، وتمارس فيها الدعارة بشكل رهيب ، ناسبين ذلك إلى الحياة العربية الإسلامية زمن الخلفاء ، ويطلقون عليها حفلات ألف ليلة وليلة[2].

ويرى اليهود أن ممارستهم للدعارة والفسق والفجور ليست جديدة عليهم ، إذ أنهم يقتدون بأنبيائهم الذين صورتهم توراة اليهود فاسقين فاجرين . ألم تذكر التوراة ان داود الملك المسيح انتهك عرض زوجة أحد ضباطه واسمها بتشبيع ..؟ ألم يصوروا أحد أبناء داود داعراً فاجراً يسطو على عرض اخته ؟ ألم يصوروا سليمان الحكيم داعراً مزواجاً يقتني ٧٠٠ زوجة و ٣٠٠ خليلة ...؟ ان غريزة الفسق والفجور أصيلة عندهم راسخة في عروقهم واصولهم ، لا يرون في تطبيقها

(١) الصياد ، ٦-٨-١٩٦٤ .
(٢) المساء ، ٣-٨-١٩٦١ .

أي حرج أو ملامة . ولم يكتف اليهود بتحويل دولتهم إلى ماخور للدعارة ، ولم يكتفوا كذلك بتصدير الغواني والمومسات إلى دول اوروبا واميركا . وإنما أداروا بأنفسهم جميع بيوت الدعارة في كل من دول أوروبا واميركا . ونشروا الفسق والفجور ، ودمروا أخلاق الشعوب الاوروبية والاميركية . وفرنسا مثلا لم تستطع ان تقاوم في الحرب العالمية الثانية أكثر من اسبوعين ، لأن جيلا كاملا من الفرنسيس قد ماتت روحه بسبب الفسق والفجور واللهو والرفاهية والتخنث والميوعة التي نشرها اليهود في فرنسا .

وفي اميركا نجح اليهود بتدمير الأخلاق والقيم والتقاليد . فانحلت الاسرة الاميركية بشكل مخيف . وانتشرت الدعارة بشكل سافر فاضح . وسرت عدوى متاجرة اليهود بالاعراض إلى الحكومة الاميركية نفسها . فأنشأت منذ عهد تيودور روزفلت سنة ١٩٠٨م دائرة لتقديم الفتيات إلى الزوار الأجانب من رؤساء الدول أو السياسيين البارزين . وقد كشفت مجلة (انسنسورد) حقيقة هذه الدائرة التابعة لوزارة الخارجية الاميركية . وقالت المجلة ان السياسة الاميركية الحديثة قد أدخلت إلى المفاهيم الدبلوماسية مفهوماً جديداً تخطى استعمال الفتيات الجميلات في أعمال التجسس وسرقة الأسرار ، وتعرف هذه المهمة الجديدة في الأوساط السياسية الاميركية بـ « الترفيه عن كبار الدبلوماسيين الأجانب » . واعترفت المجلة ان في دوائر وزارة الخارجية الاميركية ملفاً سرياً يحتوي على أسماء وعناوين أكثر من عشرين فتاة رائعة الجمال جرى اختيارهن بدقة وعناية للقيام بالترفيه عن كبار الزائرين السياسيين ، كل حسب حاجته وذوقه وشذوذه الجنسي ... ويطلق عليهن في دوائر الخارجية لقب « فريق الحب » . وذكرت المجلة أسماء زبائن كبار قدمت لهم فتيات من فريق الحب ، منهم بعض الملوك والرؤساء والوزراء ، مما لا يصح ان نفصح عنه[١] . واميركا التي كانت قبل الحرب العالمية الثانية ترعى الأخلاق والتقاليد نسبياً ، فقدت أخيراً سيطرتها على النواحي الاجتماعية والأخلاقية ، واسلمتها إلى أجهزة التدمير اليهودية التي تتغلغل في مرافق البلاد كلها . فكثرت الجرائم والسرقات وأعمال التهريب والارهاب والمخدرات واغتصاب السيدات والفتيات . وتفسخت الأخلاق بين

(١) الحوادث، بيروت ١٩-٢-١٩٦٢ .

فتيات المدارس وفتيانها . كل ذلك بفضل خطط اليهود ودعواهم الفاجرة في الحرية الشخصية والاباحية المطلقة . وادعت أجهزة الأعلام اليهودية ان الاكثار من الدراسات والتحقيقات عن الشؤون الجنسية وادخال تدريس الجنس كمادة تعليمية في المدارس والمعاهد ، وتعريف المسائل الجنسية وتبسيطها ، تساعد على الاقلال من موجة التفسخ والفجور ...

وأصغت السلطات الاميركية إلى دعاية اليهود وطبقت البرنامج الذي وضعوه ، فماذا كانت النتيجة ..؟ كانت النتائج عكسية ، إذ ارتفع عددالجرائم الجنسية وازداد التفسخ الخلقي ، وتوسعت حلقة العلاقات الجنسية غير المشروعة، واندفع عدد أكبر من الفتيان والفتيات ممن هم في سن المراهقة نحو « المعرفة »... معرفة الجنس وطبيعة العلاقات الجنسية . فطالما ان دروساً علمية ونظرية تلقى عليهم ... فلماذا لا يجرون التطبيقات العملية لهذه الدروس[1] ..؟

والدعارة في اميركا يهودية في القائمين عليها وفي سماسرتها وتجارها والبضاعة المتداولة . ويكفي ان نعلم ان ملكة الدعارة في نيويورك طوال خمسين سنة هي اليهودية بولي ادلر التي نشرت عنها كتب توضح كيف كانت تدير أقدم صناعة في التاريخ (الفسق)[2] .

وفي الدول الاسكندنافية وخاصة السويد والدانمرك ، نجح اليهود في تدمير الأخلاق والعادات الحميدة في تلك البلاد التي كانت قبل خمسين سنة محافظة في أخلاقها بعيدة عن الانحلال والفجور . ونجحت أفكار اليهود في تدريس الجنس واطلاق الحرية للفتيان والفتيات في ممارسة نشاطهم الجنسي قبل الزواج . وتكاد لا توجد فتاة في السويد والدانمرك لا تعرف العلاقة الجنسية قبل الزواج ؛ وتشجع حكومة الدانمرك مثلا عمليات الاجهاض التي تنجم عن العلاقات غير المشروعة . وتبلغ حوالي ٢٠ ألفاً في السنة . ومن لا ترغب في الاجهاض تتولى الدولة الاشراف على توليدها وتبني طفلها ... ولا يرى المسؤولون عن الفتيان والفتيات في تلك البلاد أي خطأ في اقامة علاقة جنسية قبل الزواج . فمن الطبيعي في نظرهم ان يسبق الزواج فترة تعارف ، وهذه الفترة تقود ، بالطبع ، إلى

(١) مجلة الاحد ، بيروت ٤-٢-١٩٦٢ .
(٢) الصياد ، ١٢-٧-١٩٦٢ .

الصلة الجنسية . ويوافق الآباء والأمهات على ذلك شرط ان تتم العملية في البيت وان يتعرفوا على الشاب .. ويدعو راديو الدانمرك في اذاعاته إلى ضرورة التوسع في العلاقات الجنسية قبل الزواج لأن ذلك يخفف من نسبة الطلاق[1] ... انها أصابع اليهود التي تعبث في كيان الشعوب والأمم وتحيلها إلى خراب أو خرائب لا ترتكز على أية اسس .

وإذا انتقلنا إلى بريطانيا التي كانت دائماً تعتز بمحافظتها على العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية ، نجدها قد تحولت إلى كباريه يديره اليهود . حتى أن الدعارة هناك قد أصبحت قانونية . حدث أن قدم البوليس فتاة يهودية اسمها سوزي لاحترافها البغاء العلني . وقال المدعي العام انه ليس في احترافها البغاء العلني مخالفة للقانون ولكنها قامت بعمل فاضح ضد الأخلاق العامة ونشرت على نوافذ محل عملها اعلانات فاضحة لدعوة الزبائن . وادعت سوزي أنها ما دامت حرة في ممارسة تجارة البغاء فكيف لا يسمح لها بالاعلان عن البضاعة ..؟ ونطق القاضي حكمه ببراءة سوزي لأن قوانين بريطانيا تسمح بتعاطي البغاء العلني وهي لا بد ان تسمح كذلك بالاعلان عنه[2] ...

٢ ــ الشذوذ الجنسي :

لم يكتف اليهود بنشر تعاليمهم عن حرية الجنس وحرية ممارسة العلاقات الجنسية علناً بلا وازع من أخلاق أو تقاليد أو نظام يحفظ للمجتمع حرمته وكيانه وإنما عمدوا إلى نشر الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق) ، في دول اوروبا واميركا بشكل مريع . وإذا استثنينا حالات المرضى المصابين بالشذوذ الجنسي فاننا نواجه نوعاً من الشذوذ يعم دول اوروبا واميركا ، ويهدد بالفعل المجتمعات العالمية بأسرها ، لأنه شذوذ من أجل الشذوذ ، ولأنه مصحوب بحملات دعائية يهودية تصل في مستواها إلى حد الفلسفة التي تخترعها أقلام اليهود للدفاع عن الحرية الشخصية المدمرة . ولقد نشر اليهود وباء الشذوذ الجنسي في دول العالم وجعلوه تجارة ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . وتشهد على ذلك اليوم كهوف

---

(١) الصياد ٢٣-٤-١٩٦٤ .

(٢) الحوادث ١٥-٢-١٩٦٣ .

السان جرمان في باريس وأقبية البيكاديلي وحي السوهو في لندن ، وكذلك بارات معروفة في نيويورك وهوليود وسان فرانسيسكو وميونيخ ومدن السويد والنرويج والدانمرك وبلجيكا وهولنده[1] .

وانتصرت خطة اليهود التدميرية بشكل صريح واضح في بريطانيا المحافظة ذات التقاليد العريقة . ويشرف اليوم على عملية تخنيث شباب بريطانيا أربعة من الخنافس ثلاثة منهم يهود . ومهمة هؤلاء الخنافس ان يخنثوا الشباب باطالة شعورهم ولبس الأحذية ذات الكعوب العالية ووضع المساحيق ولبس البنطلونات الضيقة . ومهمتهم كذلك ان يعكسوا الوضع مع الفتيات فيشجعوهن على لبس بنطلونات الرجال وقص شعورهن كالشباب والامتناع عن وضع المساحيق وعدم ابراز الانوثة بأي شكل من الاشكال . ونجح اليهود كذلك في دفع ملكة بريطانيا إلى منح الخنافس المخنثين أوسمة رفيعة لأنهم يجلبون عملة صعبة لبريطانيا ...

ونجح اليهود كذلك في استغلال فضيحة اللورد اليهودي المخنث الذي ضبط مع عشيقه ، وفضيحة الموظف الكبير في وزارة الخارجية البريطانية الذي ضبط مع جندي في حديقة هايد بارك في لندن ، وقادوا حملة تهدف إلى اباحة الشذوذ الجنسي وعدم اعتباره جريمة يعاقب عليها القانون . ورغم ان الكتاب المقدس عند الانجليز قد حرم العلاقة الشاذة ، ورغم ان الفلسفة الأخلاقية الاجتماعية قد حرمتها كذلك ، فقد انتصرت الحملة اليهودية التي قادها اليهودي ولفندن يوم قدم مشروعه للبرلمان سنة ١٩٥٧[2] .

ولقد مرت الحملة اليهودية بأطوار عديدة وأيدها رئيس جمعية الكويكرز سنة ١٩٦٣ الذي قال بأن عاطفة الشخص الشاذ نحو رفيقه هي عاطفة صافية خالية من الأنانية تماماً كعاطفة الحب بين رجل وامرأة .. ولذا ليس من الضروري اعتبار هذه العلاقة إثما ...

وأيد رئيس الكويكرز عدد مذهل من رجال الدين البروتستانت ، وعدد كبير من طلبة الجامعات البريطانية ولا سيما طلبة جامعة اكسفورد الذين ساروا بمظاهرة إلى مجلس العموم بتاريخ ١٩٦٦/٢/٩ ، لاعلان تأييدهم لمشروع القانون

(١) الحوادث ١٤-٨-١٩٦٤ .
(٢) الحوادث ١١-٢-١٩٦٦ .

الخاص بالشذوذ الجنسي ، وكان أولئك الطلبة قد قدموا التماساً إلى النائب المحافظ همفري بيركلي (يهودي) الذي قدم المشروع ، وهو يقضي باعتبار أعمال الشذوذ الجنسي التي تتم بين البالغين وبموافقتهم أعمالا مشروعة[1] ... وسار خمسمائة من كبار الشخصيات البريطانية مع عدد من الاساقفة واساتذة الجامعات العريقة ، وقدموا عريضة التماساً إلى هرولد ويلسون رئيس الوزارة البريطانية مطالبين باباحة الشذوذ الجنسي . وقد لبى مجلس العموم البريطاني رغبة قادة الفكر في بريطانيا ووافق على مشروع قانون اباحة الشذوذ الجنسي[2] ، بأغلبية ١٦٤ صوتاً ضد ١٠٧ صوتاً .. ولم تنفع صيحة رجل ما زالت فيه عناصر الرجولة ثابتة لم تتحلل بالخطط اليهودية المدمرة . ذلكم هو اللورد مونتجمري الذي هاجم القانون المخالف للدين والعرف والتقاليد والأخلاق . وذهبت صيحته أدراج الرياح ، لأن اللوردات الذين كان يصيح فيهم مصابون بالشذوذ الجنسي وخاصة اليهود منهم . وانتصر دعاة التخنث في بريطانيا وانهزم دعاة الرجولة . وكانت موافقة مجلس اللوردات بأغلبية ٩٤ صوتاً ضد ٤٩ صوتاً[3] ...

أما في السويد وغيرها من بلاد الشمال المحافظة ، فقد نجح اليهود كذلك في نشر الشذوذ الجنسي والتخنث . وأصبح شباب السويد ينافسون شقيقاتهم وامهاتهم باستعمال مستحضرات التجميل ، واطالة الشعر ، وغايتهم من ذلك كما يدعون حفظ التوازن بين الجنسين ... وانتشرت أندية الشذوذ الجنسي في كل مكان تحت حماية الدولة التي دمر اليهود مقوماتها ، وغدت العوبة في أيدي مفكري اليهود وفلاسفتهم الذين لا يهدفون إلا إلى خراب العالم[4] .

وفي الولايات المتحدة الاميركية ، معقل اليهودية العالمية ، يلجأ اليهود وهم ينشرون الفساد والرذيلة والشذوذ الجنسي إلى استغلال جرائمهم هذه في ابتزاز أموال ضحاياهم الذين دربوهم على الرذيلة ولقنوهم دروس الفساد والشذوذ . فقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بعددها الصادر في ١٩٦٦/٣/٣ ، ان أكثر

---

(١) الاخبار ١١-٢-١٩٦٦ .
(٢) أخبار اليوم ١٢-٢-١٩٦٦ .
(٣) الاسبوع العربي ، بيروت ٧-٦-١٩٦٥ ، الأخبار ٢٥-٥-١٩٦٥ .
(٤) الاسبوع العربي ٢٨-٢-١٩٦٦ .

من ألف شخص من ذوي الشذوذ الجنسي بينهم عدد من المربين البارزين والشخصيات المسرحية البارزة والضباط في القوات المسلحة ، قد دفعوا ملايين الدولارات إلى شبكة ابتزاز واسعة النطاق في الولايات المتحدة خلال فترة عشر سنوات . وقد عرف الحادث من البوليس ومن مصادر مكتب المدعي العام . كما علم ان الضحايا قد دفعوا ملايين الدولارات تصل إلى عشرة ملايين ، تحت التهديد بفضحهم ، وان بعض الأفراد دفع الواحد منهم ٢٠ ألف دولار إلى أفراد عصابة يتظاهرون بأنهم من البوليس . واضافت الجريدة تقول ان أحد الضحايا كان موسيقياً معروفاً يظهر على شاشة التلفزيون ومن بينهم ممثل سينمائي معروف وعدد من المحاسبين ورؤساء شركات أعمال ومدير مدرسة ومدير متحف للفنون وعضو في مجلس امناء احدى الجامعات(١) .

وهكذا هزمت اليهودية العالمية الفضيلة في دول اوروبا واميركا . وانتصرت دعوى الانحلال والرذيلة والفسق والفجور . وبانتصار اليهود في اباحة الشذوذ الجنسي في العالم ، يقتربون من أهدافهم التلمودية ومقررات حكمائهم التي تنص صراحة على ضرورة تدمير أخلاق الشعوب ليسهل على اليهود حكمها وتسييرها كالعبيد لخدمة اليهود في كل مكان . ويهدف اليهود كذلك إلى تخريب سنة الحياة في التناسل بين الذكر والانثى . فعندما تنعدم الفوارق بين الجنسين ، تضطرب أنظمة الحياة الاجتماعية وتنعدم الرجولة وتنتشر الخنوثة ، وينقرض النسل ، وذلك أقصى ما يسعى إليه اليهود . بالاضافة إلى أن جعل الجنس دين الشعوب الغربية وحكوماتها ، يساعد على تفسخ الشعوب وانسياقها وراء الرذيلة في نهم وسعار لا مثيل لهما حتى في حياة الشعوب البدائية . واننا نظلم الحيوانات حين ننسب الشهوة الجامحة الشاذة إليها ونقول (شهوة حيوانية) ، لأنه لم يعرف عن الحيوانات أنها تستعمل أي نوع من أنواع الشذوذ الجنسي . والغريب أن حكام الغرب وفلاسفته وقادة الفكر فيه قد اعمتهم الدعاية اليهودية ، فلم يعودوا يروا الهوة السحيقة التي تقودهم إليها فلسفة اليهود المدمرة في الحياة .

والعجيب في أمر الغرب الأعمى ان خطة اليهود في نشر الاباحية وتقديس الجنس لم تعد خافية عليه ، بعد أن نادى بها كتاب اليهود وفلاسفتهم المخربون ،

---

(١) المحرر ، بيروت ٤-٣-١٩٦٦ .

ونادت بها جمعياتهم السرية وعلى رأسها الماسونية التي من تعاليمها :

It is our desire to organize a community of people sexually free. We want to create human beings who will not feel ashamed of their sexual organs. In these days, when Christian civilization still prevails, we shall meet with great difficulties, but the beginning is already made and, though small is successful. When on a large scale, it will bring definite victory only when youth from the earliest years will be imbued with the principles of this new morality. Youth must consider that from the very time of birth., sexual organs are holy...»(1)

ومعناها :

« ان امنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً . نريد ان نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية . وفي هذه الأيام التي تسود فيها المدنية المسيحية نجد صعوبات جمة ، ولكن البداية قد رسمت فعلا ، ومهما تكن صغيرة إلا أنها ناجحة . وعلى نطاق واسع ، لا بد من النصر المحقق إذا استطعنا ان نغذي الشباب منذ سنوات أعمارهم الأولى ، بأسس هذه الآداب الجديدة . على الشباب ان يدركوا منذ ولادتهم ان اعضاء التناسل مقدسة ... »

لعمري لقد نجح اليهود في خطتهم هذه نجاحاً باهراً . فقد أسسوا نوادي العراة في دول اوروبية كثيرة ، ونشروا فكرة العري في جميع شواطىء اوروبا واميركا ولم ننس بعد فضيحة الوزير البريطاني الذي كان يدعو أصدقائه ليسبحوا عراة مع عارضة الأزياء كرستين كيلر التي كانت تفضل السباحة عارية في قصر الوزير[٢] . وهذا يدل على نجاح اليهود في نشر العري والفجور في أعلى أوساط الشعب البريطاني . وكيلر الغانية يهودية ورفيقتها ماندي يهودية ووزير الدفاع بارثولميو يهودي ، وفي كل فضيحة خلقية ، من أيام استير التي باعت نفسها لملك فارس إلى يومنا هذا ، لا بد من وجود أثر لليهود فيها . ويستمر اليهود في تنفيذ خططهم الجنسية المدمرة ، وتستمر الشعوب المغفلة التي تقودها حكومات جاهلة أو عميلة لليهود ، في السير وراء مدنية اليهود التي في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب الأليم .

---

(١) Arnold Lease, Freemasonry, London 1935, P. 20

(٢) الجمهورية ٢٩-٦-١٩٦٣ .

٣ ـ الأدب والفن :

انقلب الأدب في عرف اليهود إلى قلة أدب . فهم من وراء الأدب المنحل الذي يغمر أسواق العالم سواء في الكتب والصحافة أم المسارح والراديو والتلفاز. واليهود هم دعاة الأدب للأدب والفن للفن ، أي أن يكون الأديب أو الفنان حراً في التعبير عن أدبه وفنه دون مراعاة لمجتمعه أو مصلحة وطنه . وفي الوقت نفسه يوجه اليهود أدب العالم كله لخدمة أغراضهم وابراز المظالم التي حلت بهم عبر التاريخ ، دون أن يسمحوا لأحد بالرد على موجات الدعاية التي تصور اليهود أقلية مضطهدة مظلومة . وكل من يجد عنده الجرأة للقول بأن العلة في جميع مراحل الاضطهاد كامنة في اليهود أنفسهم ، سرعان ما توجه إليه سهام الدعاية اليهودية فيوصم باللاسامية والشيوعية والنازية ، ويقضى عليه وعلى مستقبله لأنه أراد ان يقول كلمة الحق . ولنأخذ مثلا « يوميات آن فرانك » التي زعم اليهود ان فتاة يهودية في الثانية عشرة من عمرها كتبتها قبل ان يقتلها النازيون في قبو أحد الأبنية في هولندا . لقد كتب تلك اليوميات يهودي عالم قدير ، ولكن لم يجرؤ ناقد في اوروبا واميركا على الشك في نسبة تلك اليوميات إلى الطفلة اليهودية . ومثلت تلك اليوميات المؤثرة على مسارح العالم وفي دور السينما ليكسب اليهود دعاية وعطفاً من الأدب الكاذب المزيف . وكذلك في رواية اكسودس التي تقص حكاية السفن التي كانت تنقل المهربين من اليهود إلى فلسطين ، وتظهر بطولة اليهود الكاذبة وتعلقهم بأرض الميعاد وتشردهم وقصص اضطهادهم . ولم يجرؤ النقاد في الغرب على ذكر حقيقة الخلق اليهودي الكامن وراء الاضطهاد الذي ألم باليهود ، لأن من يكتب ضد أعمال اليهود الأدبية يحارب بلا رحمة ويطرد من عمله ويوصم باللاسامية أو النازية[1] ... وصدر لليهود في السنوات الأخيرة انتاج أدبي دعائي غمر المسارح العالمية ودور السينما ، مثل رواية (آخر العادلين) التي ألفها اليهودي شوارتز ، ورواية الرداء التي أظهرت طريقة صلب المسيح بشكل يبعد التهمة عن اليهود ، ورواية بن هور ، ورواية الموقع ٢٤ لا يجيب . وفي هاتين الأخيرتين يبرز اليهود بطولاتهم الكاذبة واتقانهم فن

---

(١) مجلة الجندي ، دمشق ٤-٧-١٩٦١ .

الحرب . مع أن الحقيقة تؤكد أنهم لم يكونوا شعباً محارباً طوال تاريخهم ، وإنما كانوا شعباً متوحشاً غادراً ماكراً جباناً .

واستطاع اليهود في النصف الأول من هذا القرن ان يسيطروا على صناعة السينما في العالم الغربي . والمدينة السينمائية في اميركا (هوليوود) غارقة في بحر اليهود ، لا تحرك ساكناً ، ولا تجري لقطة سينمائية واحدة دون رقابة اليهود الصارمة التي لا تسمح باخراج أي فيلم لا يخدم أهداف اليهود من زاوية معينة . فهم في هوليوود من وراء أفلام الاجرام التي تساعدعلى خلق جيل من الشباب متشبع بالروح الإجرامية . وهم من وراء أفلام الدعارة السافرة وأفلام الجنس التي توزع في قصور الطبقات الارستقراطية في العالم . وهم من وراء أفلام الدعاية اليهودية التي تخدع الشعوب وتبعدهم عن ادراك حقيقة المشكلة اليهودية التي تسبب الصداع المزمن للعالم كافة . ولم يكتف اليهود بادارة صناعة السينما في اوروبا واميركا ، وإنما شرعوا في غزو تلك الصناعة في هوليوود خاصة ، وأخذوا يزودون اميركا بالممثلين والممثلات اليهود الذين يسهمون في صنع الأفلام المدمرة ، ويشرفون في الوقت نفسه على جمع الملايين وتحويلها لدولتهم المجرمة[١] . وسيطرة اليهود على صناعة السينما في العالم ، واشرافهم الكامل على المسارح والملاهي ، تتم كلها تنفيذاً لوصايا حكمائهم في محاضر الجلسات التي لخصناها في الملحق رقم (١) . فهدفهم الرئيسي هدم المجتمع القائم والتقليل من هيبة الحكومات واشاعة التدهور الخلقي ، وحل الروابط العائلية بقصد انتشار الانحلال الاجتماعي . واليهود يعلمون ان أغلب رواد السينما والملاهي من صغار السن أو من طبقة العمال والفقراء ، ولذا فانهم يعمدون إلى اثارة غرائزهم الجنسية بما يقدمون إليهم من مواقف عاطفية مثيرة ورقصات خليعة ، وحيل تنير الاذهان إلى الخيانة الزوجية واغتصاب الفتيات والاحتيال وكسر الخزائن والنصب والاغتيال . وكلها تظهر بأفلام اليهود اعمالا بطولية بارعة . وامعاناً في التضليل وابعاد الشبهات عن حقيقة اغراضهم يلجأ اليهود إلى استئجار مؤلفين من غير اليهود ، ممن يتمتعون بين مواطنيهم بشهرة واسعة ومكانة رفيعة في عالم الأدب والتأليف ، كما يتخذون لممثليهم وممثلاتهم اسماء

---

(١) الكفاح ، بيروت ٢١-١١-١٩٥٩ .

مستعارة توحي بأنهم من غير اليهود ... ولم تسلم طائفة من سخريتهم . فكثيراً ما يظهر على الشاشة قسيس يسلك سلوكاً منحرفاً ، يغري النساء ويضلل الفتيات ويشرب الخمر ويلعب الميسر ويختلس أموال الكنيسة لصرفها على شهواته ونزواته ، مبرراً أعماله بعبارات وقورة عليها مسحة من الحكمة والاتزان ، يبدو فيها وكأنه يعظ الناس . وهذا يؤدي إلى غرضين ، الايحاء إلى الجماهير باحتقار رجال الدين ، واتباع الطريق غير السوي اقتناعاً بأقوالهم وتقليداً لهم في أعمالهم[1] . ولقد شهدت بنفسي مسرحيات عربية مثلت على شاشة السينما والتلفاز ، ومنها مسرحية (المحروسة) ، يظهر فيها شيخ معمم يشرب الويسكي ويلعب القمار في بار الخواجه ينِي ويغازل السيدات . والاصابع اليهودية في هذا النوع من الأدب المسرحي ، واحدة سواء في اوروبا أم في بلاد العرب ، رائدها زعزعة الثقة برجال الدين الذين يقفون حجر عثرة في طريق التخطيط اليهودي المدمر . واعجبتني مؤخراً صيحة استاذ واع غيور هو الاستاذ مصطفى بهجت بدوي . أطلقها منددا بالسماح لافلام اليهود المدمرة التي تغزو البلاد العربية وتعرض على شاشة السينما فيها . ومما ورد في صيحة الاستاذ الفاضل[2]: « نعم غير معقول في منطق وعرف أي دين وأي مجتمع هذا الذي يسمح بعرضه على شاشة احدى دور السينما بالقاهرة تحت اسم « قبلني أيها الغبي » . لقدخرجت من أحداث الفيلم وأنا لا أصدق عيني واذني ، تلفني دوامة من التقزز والتفجع والذهول . كيف يمكن ان نقدم هنا في القاهرة مثل هذه القصة السينمائية وان تعرض كنموذج (ناجح) لسبل الشهرة وجمع المال واعمال المبدأ الحقير الشهير ... الغاية تبرر الواسطة .. وأية واسطة ؟ انها قصة تستطيع — بمنتهى الصراحة — ان تنسف نسفاً كل ما ننشده في مجتمعنا من قيم واشتراكية . فكيف وقعنا في هذا المحظور الغريب جداً ؟... » ثم يواصل الاستاذ بدوي تعليقه على أحداث الفيلم الداعر الذي يدعو إلى هدم القيم الزوجية ، والاستخفاف بالفضيلة والمتاجرة بالاعراض لكسب المال والجاه ، بشكل سافر مسعور لا يرعى حرمة لمبادىء أو أخلاق أو قيم . وينهي الاستاذ صيحته قائلاً « مهزلة لا تصدق — أو

(١) مجلة المجلات ، اكتوبر ١٩٥٨ .

(٢) ملحق الجمهورية الديني ، ٢٢-٤-١٩٦٦ .

مأساة — لا يستطيع منتجها بأي حال من الأحوال أن يدعي السخرية من المجتمع وإنما هي مليئة بإيحاءاتها وسياقها وخاتمتها بأن الدنيا تؤخذ سفاحاً وفساداً وفجوراً ومن فوق الكرامات . وان ما تبنيه الاشتراكية في خمس سنين تهدمه هذه القصة في خمس دقائق ... » .

وهل يكتفي اليهود بسيطرتهم على المسارح والملاهي ودور السينما وصناعة الأفلام المخربة ؟ كلا ثم كلا . انهم يسيطرون كذلك على صحافة العالم وينشرون عن طريقها أساليبهم المحكمة لاشاعة التفسخ والانحلال من المجتمعات غير اليهودية . انهم يشرفون على مجلات الدعارة والخلاعة التي توزع ملايين النسخ الاسبوعية والشهرية . بالاضافة إلى الصفحات الكاملة التي تخصصها صحف العالم جميعها للتحدث عن المرأة والانوثة والمسائل الجنسية . انهم يقفون وراء صحافة الفضائح والاخبار الملفقة والحوادث الاجرامية ، فانظر إلى صحافة اميركا أم الحريات والديمقراطية ، تجد ان اليهود قد سخروها لهدم المجتمع الاميركي . وهي لا تتورع عن نشر الاعلانات عن أجهزة جديدة اخترعت للتجسس على الجيران . ويقول أحد الاعلانات اليهودية[1] :

« إذا أردت ان تعرف ما يقوله جيرانك فاشتر هذا الجهاز ... ان ثمنه لا يزيد على ستين دولاراً . بستين دولاراً تستطيع ان تمضي ليلة ممتعة وان تستمع إلى اناس يبعدون عنك ٢٠٠ متر . اشتر الجهاز ... أحسن هدية لوالدك الذي على المعاش ... لا يمكن ان تشعر بالوحدة ، وفي استطاعتك ان تكون في فراش أية سيدة جميلة لحظة ... اشتريه يا آنسة ... اشتره يا رجل ... »

أما هذا الجهاز الذي اخترعه اليهود فهو عبارة عن راديو ترانزستور ومعه راديو صغير جداً في حجم زر الجاكتة . ويتم تركيب الجهاز بأن تذهب إلى بيت من ترغب في كشف اسراره وتلصق الزرار إلى جوار سريره ثم تعود إلى بيتك لتسمع ما يلتقطه هذا الزرار ويكبره الراديو الموجود في منزلك على بعد ٢٠٠ متر ، وقد انتجت مصانع اليهود هذا الجهاز الصغير على نطاق واسع ، وانتشرت فضائحه في كل مكان . ثم عمد اليهود إلى اختراع جهاز جديد يبطل مفعول هذا الجهاز الذي أصبح بعبعاً يهدد أمن كل انسان . لأنه أصبح من الممكن

---

(١) أخبار اليوم ٢٥-١٢-١٩٦٥ .

أن يمر انسان بجانب أية سيدة ثم يلقي بالجهاز في جيبها أو حقيبتها ليتجسس فيما بعد على حياتها الخاصة . وأصبح اليهود يربحون من تجارة بيع الاجهزة العجيبة وبيع الاجهزة المضادة لها ، بالاضافة إلى موارد الإعلان عن هذه الاجهزة . يقع كل هذا في اميركا بحجة الحرية الشخصية ولم يجرؤ أي انسان على الوقوف في وجه هذا الاجرام اليهودي الذي يمزق المجتمع الاميركي ، لأن من يحاول كشف الستار عن جرائم اليهود وخططهم التدميرية يوصم بالنازية واللاسامية كما ذكرنا سابقاً . وهكذا يظل اليهود سادة الحياة الاميركية الاوروبية ومعاول الهدم في كيان المدنية الغربية . ولو اقتصر الخطر على اوروبا واميركا لما كان لنا ان نقلق أو نخاف . ولكنه سرى إلى كيان المجتمع العربي الإسلامي ، وأخذ يعبث بقواعد المجتمع واسسه المبنية على الذوق والاخلاق والرجولة ، فباسم الحرية التي تنادي بها أقلام اليهود وعبيدهم ، غزانا الفن التجريدي والسريالي والواقعي والمادي والتصوير التعبيري . وما زلت أذكر قول خروشوف حين قال عن لوحات الفن اليهودي ؛ « تبدو لي هذه اللوحات كالشعوذة ، كالتهريج مرسومة بذيل حصان أو حمار لا تمت إلى المشاعر الإنسانية بصلة[1] ... » .

وتعتبر أكثر العواصم العربية سوقاً حرة لغزو الفن اليهودي المخرب . وقد كتبت مجلة الصياد تحذر من هذا الغزو القاتل لكل فن حقيقي . وقالت عنهم انهم أبناء بيكاسو اليهودي ، يسعون إلى هدم كل حضارة ، وكل احساس قومي ، وكل شعور انساني . وهم باسم الفن يحطمون القيم الأخلاقية ، ويهدمون شعور المرء تجاه وطنه وتجاه قضاياه الإنسانية ، وتجاه دينه . وليس أكره على اليهود من ان يروا لوحة تعبر عن مشاعر المرء تجاه وطنه ونفسه وامته[2] .

وقبل أن اختتم حديثي عن الأدب والفن والدعاية والأفلام عند اليهود ، لا بد من ذكر الاهانة التي توجهها هوليوود اليهودية في جميع أفلامها إلى الزنوج والملونين . وكل الأفلام التي تصدر عن مدينة السينما في اميركا تصور الرجل الاسود همجياً متوحشاً سفاحاً آكلاً لحوم البشر ، مما نشر الفكرة الخاطئة عند الاميركيين بأن جميع السود متوحشون . وقد حصر الدكتور لورنس ريديك

---

(١) الصياد ٣٠-٥-١٩٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

في كتيب له ، الأدوار التي تسند إلى الرجل الاسود في أفلام هوليوود ، وهي كما يلي بالترتيب[1] :

١ — الهمجي المتوحش .
٢ — العبد الراضي بعبوديته .
٣ — الخادم الوفي .
٤ — السياسي الفاسد .
٥ — المواطن الذي لا يقدر المسؤولية .
٦ — اللص الحقير .
٧ — عدو المجتمع .
٨ — المجرم الوغد .
٩ — الشبق المتوحش .
١٠— الرياضي بلا عقل .
١١— الشقي لأنه لم يخلق أبيضا .
١٢— الطباخ بطبيعته .
١٣— الموسيقي بطبيعته .
١٤— النديم المثالي .
١٥— المتدين الأحمق .
١٦— الحاوي .
١٧— المحدث المؤثر .
١٨— المتخلف عقلياً .
١٩— السائق الغبي .
٢٠— الوغد الذي يكره الجنس الأبيض .

٤ — النصب والرشوة والسرقة :

أوجد اليهود في العالم مدرسة النصب والرشوة والغش والسرقة والاحتيال . أوجدوها منذ ثلاثة آلاف سنة يوم ادعوا ان ربهم أمرهم بأن يخدعوا

---

(١) نهضة افريقية ، اغسطس ١٩٦٣ .

المصريين ويستعيروا منهم أواني النحاس والفضة والحلي من الذهب بحجةاحتفالهم بعيدهم ، ثم يسرقونها عند رحيلهم عن مصر . وطبيعي أنه لا يوجد رب يشجع على النصب والاحتيال والسرقة. ولكنها طبيعة اليهود منذ عرفوا في التاريخ . ثم استعرت في نفوسهم حمى الحقد والحسد والكراهية للناس كافة مع مرور الزمن . فجاءت كتبهم من التوراة إلى التلمود وتعاليم حكمائهم ، كلها تشجع على الغش والسرقة والنصب واستحلال دم غير اليهود وأموالهم وأعراضهم . ولقد اكتشف في السنوات الأخيرة كتاب يهودي لا تزيد صفحاته على الستين اسمه سفر هارازيم أي (كتاب الأسرار) ، ترجمه العالم اليهودي مارجوليوت فوجد ان تاريخه يرجع إلى سنة١٨٦ عبري أي قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة. وقد نشر مارجوليوت ترجمة هذا الكتاب الخطير وخلاصة تعاليمهالتي توضح كيف ان اليهودي لا بد ان يحقق اطماعه وأهدافه وشهواته في الحياة ، ولو على حساب هلاك الآخرين أو خراب دورهم . وذلك باستخدام السحر الذي يتغلب بواسطته اليهودي في ميدان المال والنصب والاحتيال[1] . واليهود في العصور الحديثة لا يحتاجون إلى استخدام السحر ، لأن سيطرتهم على دول الغرب الأعمى ، تمكنهم من تحقيق كل ما ورد في كتبهم القذرة . والحديث عن عمليات النصب والاحتيال والغش والسرقة عند اليهود يحتاج إلى مجلد كبير . ولذا فاني اكتفي بذكر بعض الحوادث التي وقعت في النصف الأول من القرن العشرين حتى يومنا هذا .

في ربيع عام ١٩٠٩ تقدم رجل يهودي يدعى ابراهام ستافسكي مع حفيده الصغير ساشا ، من صاحب مسرح « ماريني » في باريس ، وطلبا منه ان يؤجر لهما المسرح لاستغلاله طوال فترة الصيف . وتحرى صاحب المسرح عن الرجلين فقيل له انهما من يهود روسيا ، وان ماضيهما نظيف لا غبار عليه ، فاطمأن باله ، وسلم مفاتيح المسرح للجد وحفيده ، ثم ذهب إلى بيته في الريف ليقضي بقية أشهر الصيف بعيداً عن ضوضاء العمل في العاصمة . وتسلم ابراهام وساشا ادارة المسرح ، وبدآ يجمعان أموالاً من المساهمين والمعلنين والمنتجين ، حتى أصبح لديهما مبلغ كبير ، ففرا هاربين تاركين المسرح والفن ...

---

(١) المصور ١٦-٧-١٩٦٥ .

وفي سنة ١٩١٢ مات جد ساشا بعد أن لقن حفيده اصول الغش والتزوير والسرقة والاحتيال . وأخذ ساشا ستافسكي يمارس نشاطه في هذا الميدان القذر ، واعتقل أكثر من مرة . ثم غير اسمه وأصبح « سيرج الكسندر » . وكان هذا النصاب قد تغلغل في الأوساط الارستقراطية في فرنسا ، ليغطي جرائمه في التزوير والغش والسرقة . وفي سنة ١٩٣٠ انتقل مع عائلته إلى شقة فخمة جداً . وصنع ستافسكي النصاب معملاً خاصاً بالجواهر الثمينة ، صدر منه كمية كبيرة من الزمرد المزيف جنى من ورائها في ظرف ثلاثين شهراً ٢٣ مليون فرنك. وازدهرت أعماله ، واستطاع بما يبذله من مال ان يشتري صمت الصحافة وكبار رجال الأمن وكبار الشخصيات في الدولة . ودام هذا الحال حتى سنة ١٩٣٣ حين وقع ستافسكي في الفخ . فقد أعلن مدير بنك بايون البلدي ، ان شخصاً اسمه « سيرج الكسندر » قد أصدر قسائم وهمية بقيمة ٥٠٠ مليون فرنك . ثم علم ان سيرج هذا ، هو النصاب اليهودي ستافسكي الذي خدع الأوساط المالية والسياسية والإدارية في فرنسا. واهتزت الأوساط الحكومية والشعبية لهذه الفضيحة التي أخذت رائحتها وأخبارها تنتشر في فرنسا واوروبا وشملت الفضيحة شخصيات فرنسية منها وزير العدل الفرنسي ريتالدي الذي ثبت عليه الاشتراك مع ستافسكي في احدى عمليات النصب والاحتيال . وفي الثامن من يناير ١٩٣٤ أعلن ان ستافسكي انتحر في مخبئه . ثم أعلن ان كبير المحققين قد انتحر أيضاً. والواقع ان الأيدي الملوثة المشتركة بجرائم هذا اليهودي هي التي تخلصت منه ومن كبير المحققين، تخلصاً من التوسع في الكشف عن الشخصيات الكبيرة التي استطاع يهودي قذر ان يفسد ضمائرها ويحطم كبرياءها[١] .

هذا في فرنسا ، فإذا ما انتقلنا إلى الولايات المتحدة الاميركية ، وجدناها غارقة في فضائح اليهود حتى الأذقان . ونختار فضيحة كبرى بطلها يهودي اسمه بيلي استس وصنعته (قومسيونجي) . استغل هذا اليهودي النصاب المزور ، يهودية وزير الزراعة عزرا بنسون ، وجمع خلال بضع سنوات حوالي ١٠٠ مليون دولار . وخلاصة عمليات النصب والاحتيال أنه كان يرشو موظفي وزارة الزراعة وبعض رجال الكونجرس ، فيتغاضون عن جرائمه وألاعيبه . وقد حصر

(١) الحوادث ٤-٢-١٩٦٦ .

عمله في صوامع الغلال وصفائح النوشادر الذي تحتاج إليه وزارة الزراعة . ثم عمل في ميدان القطن وأجرى عمليات وهمية لحساب الفلاحين . وانكشف أمر استس حين حاول ان يهدم صحيفة (اندبندنت) ، التي لم تؤيد ترشيحه لمنصب عضو في مجلس ادارة مدرسة بلدة بيكوس . فأنشأ صحيفة تنافسها . وردت الصحيفة المعارضة بنشر قصة الصفائح الوهمية . وبدأ التحقيق الذيأسفر عن توقيف استس يوم ٢٩ مارس ١٩٦٢ ، وانتشرت أنباء الفضيحة ، واتسع التحقيق ليشمل كبار الموظفين الذين كانوا يتناولون من استس رشاوي تافهة . واعترف نائب مدير الاستقرار الزراعي ايمري جاكوبس (يهودي) أنه قبل هدية من استس هي بدلتان ثمن كل منهما ٢٥٠ دولارا . واعترف جيري هوكان (يهودي) مساعد وزير العمل بأنه تسلم مبلغ ألف دولار هدية من استس . واعترف كذلك السناتور باربوروه (يهودي) بأنه تسلم هدية غير مشروطة ... قيمتها ١٧٠٠ دولار ... وهكذا شملت الفضيحة عدداً كبيراً من الأشخاص ، وظل عزرا بنسون الوزير اليهودي بعيداً عن متناول القضاء ، مع أنه شريك في الملايين التي جمعها النصاب اليهودي استس من دم الشعب الاميركي المغفل[1].

وفضيحة اميركية أخرى بطلها مخرج تلفزيوني اسمه فريدمان (يهودي) كان يتفق مع الأشخاص الذين يتقدمون للاجابة على الاسئلة التي تشبه عندنا برنامج (جرب حظك) . يتفق معهم بأن يعطيهم الاسئلة والاجوبة معاً . وحين يتقدمون للبرنامج ويظهرون كعباقرة يربحون الجوائز الخيالية التي كانت تبلغ في المرة الواحدة ٦٤ ألف دولار . وبعد ان يتسلم الفائزون جوائزهم الكبيرة يقتسمون المبالغ مع المخرج فريدمان ومساعديه من المخرجين اليهود . وقد انفضح أمر هذه العملية البشعة واعترف كبير العباقرة فان دورين الذي كان استاذاً جامعياً وانغمس في عمليات النصب هذه وربح ملايين الدولارات عن طريق غش الجمهور والكذب والاحتيال والتزوير ، اعترف بتفاصيل عمليات النصب المذهلة . وشمل التحقيق أكثر من ٣٠٠ مزور نصاب ممن ربحوا مئات الألوف من الدولارات واقتسموا أرباحهم مع المخرجين اليهود . ومن جملة الرابحين عن طريق الغش طفل عمره ١٤ سنة اسمه ليونارد روس (يهودي)،

---

(١) الاهرام ١-٦-١٩٦٢ .

ربح ٦٤ ألف دولار في برنامج للأطفال . وطفل آخر عمره ١٠ سنوات ، اسمه روبرت ستروم (يهودي) ، ربح ٢٤٢ ألف دولار ، واسموه الطفل العبقري زوراً وبهتاناً[١] ..

أما فضائح الرشوة والاثراء غير المشروع والهدايا المشبوهة فحدث عنها ولا حرج . لقد أفسد اليهود جو الحياة الاميركية . وأصبحت المادة معبود الناس لا تقضى مصلحة بدون رشوة أو هدية بالتعبير المهذب الذي يناسب المقامات... حتى لقد اعترفت مجلة « أخبار الولايات المتحدة والعالم » بأن واشنطن يمكن تسميتها بمدينة الهدايا والرشوة . ولماذا ..؟ لأن واشنطن أكبر زبون في العالم . فهي تشتري بما قيمته ٥٠ بليون دولار سنوياً هي قيمة طلبات الدولة . وتحت يدها أكبر قوة مالية في البنوك تبلغ ٧٠ بليون دولار . وتتصرف في مليوني وظيفة مدنية . وتجمع ثمانين مليون دولار ضرائب سنوياً . وتمنح تراخيص الاستيلاء وانشاء محطات الراديو والتلفزيون وآلاف المشروعات . ومن هنا جاء الفساد الذي عم كبار الموظفين والمسؤولين في الدولة وفي البيت الأبيض نفسه. المغريات كثيرة ، واليهود الذين يعتبرون الوسيلة الكبرى للرذيلة والفساد ، منتشرون في جميع أوساط الدولة . ولا يمر وقت دون ظهور فضائح رشوة وهدايا واختلاسات ونصب واحتيال . في جميع عهود رؤساء الجمهوريات ، وقعت فضائح . حتى في أيام الرئيس الصالح ابراهام لنكولن ، لم يخل جو الولايات المتحدة من رائحة الفضائح المخزية . وفي عهد ترومان فصل الجنرال اليهودي بينت ماير من الجيش لأنه كان يمنح العطاءات لشركة سرية هو مالكها . كما فصل ماثيو كونيللي (يهودي) سكرتير البيت الأبيض لأسباب تتعلق بالضرائب . وغيرهما عشرات الموظفين الكبار المرتشين ، فصلوا من وظائفهم في عهد ترومان . وكذلك حدث في عهد ايزنهاور وكندي . فقد فصل هارولد تالبوت (نصف يهودي) قائد سلاح الطيران الاميركي ، بعد ان تبين أنه يمنح عقوداً لشركة هو أحد مؤسسيها. واستقال وزير الخدمات العامة ادموند مانور (يهودي) لادانته في قضية رشوة. وفصل روبرت ترباروس (يهودي) نائب وزير الدفاع ، لاستغلاله منصبه في

---

(١) المصور ١٩-١١-١٩٥٩ .

تعيين أقاربه في مناصب هامة[1] .

وكانت أكبر الفضائح اليهودية في اميركا ، الرشوة التي تقاضاها القاضي فنسنت كيوج (يهودي) والمدعي العام اليوت كاهنر (يهودي) ، وقيمتها ٣٥ ألف دولار لمساعدة شركة أعلنت افلاسها . وحين كشفت الفضيحة حكم على القاضي والمدعي العام اليهوديين بالسجن لمدة سنتين[2] .

واليهود حين لا يجدون مجالا لسرقة أموال غيرهم فانهم يسرقون أموالهم ويغش بعضهم بعضاً . ودليلنا على ذلك فضيحة الاسرائيلي يوسف رفائيلي مدير منظمة سندات قرض الانشاء والتعمير الاسرائيلي ، الذي اعتقلته سلطات الأمن في مدينة نيويورك في نوفمبر ١٩٥٩ ، بتهمة اختلاس ١٠٠ ألف دولار من أموال القرض.وجدير بالذكر ان رفائيلي هذا يعد من أقرب المقربين إلى السارقين العظيمين بن غوريون وليفي اشكول[3] .

وننتقل بعد هذه الجولة القصيرة في اوروبا والولايات المتحدة ، إلى شرقنا العربي ، لنضرب مثلاً على أن اليهود هم اليهود أينما كانوا وحيثما وجدوا . ومسرح قصتنا التالية لبنان البلد العربي ، الذي يحنو على اليهود ويعاملهم بكرم ويمكنهم من العمل في التجارة والوظائف والبورصة ، بحرية لا يجدونها في دولتهم المغتصبة .

انها قصة عائلة مزراحي اليهودية التي تتألف من الأخوين داود وصموئيل صاحبي محل لبيع البلور والخردوات ، وأولادهما وعددهم جميعاً ٥٣ شخصاً. اشتهر داود بالربا بين الموظفين في طرابلس. واكتسب سمعة طيبة لدى المصارف والتجار . بيد أن طيبته تلك كانت عن خطة مرسومة وتصميم خطير هو العودة إلى أرض الميعاد ، بعد أن تقوم العائلة كلها بعملية سلب ونصب كتلك التي قام بها أجدادهم قبل ثلاثة آلاف سنة . ولذلك شرعوا في المدة الأخيرة يقترضون من كل من استطاعوا الوصول إليه وبمختلف الوسائل والطرق . استدانوا من بنوك ، انترا ، البنك اللبناني للتجارة ، التسليف المهني ، البريطاني ، فاضل ،

---

(١) روز اليوسف ٤-٨-١٩٥٨ .

(٢) الاهرام ٤-٨-١٩٦٢ .

(٣) الاهرام ٢٠-١١-١٩٥٩ .

الشركة المصرفية ، وغيرها . ولما كان موعد رحيلهم قد تقرر ان لا يتجاوز الخامس عشر من يناير ١٩٦٦ ، فقد لجأوا إلى شراء مختلف أنواع البضائع من التجار ، وكانوا يعطونهم ثمنها شيكات على البنوك تستحق بتاريخ لاحق لموعد رحيلهم عن البلاد . ثم يبيعون البضائع لاشخاص آخرين ليجمعوا أكبر كمية ممكنة من النقد . اشتروا سجاداً وأثاثاً فاخراً بحجة فرش بيوتهم الجديدة. اشتروا سيارة مرسيدس وتلفزيونات وملبوسات فاخرة وكمية كبيرة من التحف الثمينة والساعات الذهبية والبرادات . واحتالوا على موظف فقير خرج على المعاش ومنحته الشركة تعويضاً قدره ٢٥ ألف ليرة لبنانية . أغروه بأساليبهم الماكرة وسرقوا المبلغ بأكمله[١] . وكان اسوأ جانب في العملية هو ان أصغر أبناء داود مزراحي ، وهو طالب في مدرسة الطليان بطرابلس ، قد لعب دوراً قذراً مع زملائه الطلبة . فأوهمهم أنه مسافر لتركيا ومستعد لاحضار ما يلزمهم من هدايا الجلد والتحف التركية . وجمع بهذه الخدعة خمسة آلاف ليرة ضمها إلى المبالغ التي جمعتها العائلة المجرمة . وبعد ان استنفدت عائلة مزراحي كل الأساليب وجمعت ما يقارب ستة ملايين ليرة (مليون ونصف مليون جنيه مصري) ، غادرت البلاد على دفعتين ، دون ان يفطن أحد إلى هذه الجريمة التي ذهب ضحيتها عشرات التجار والمساكين من العرب البسطاء الذين ما زالوا مخدوعين باليهود ومعاملات اليهود . لقد اختفى آل مزراحي وهم يحملون أكثر من عشرين جواز سفر لبناني دون ان ينتبه أحد لرحيلهم الجماعي المفاجىء . ووصلوا إلى اليونان بسلام وأمان ، ومنها إلى أرض الميعاد ، ليستقبلهم مذياع الدولة المغتصبة بالترحيب والتهليل ، وكأنهم قادمون من معركة انتصروا فيها على الكفار (الجنتايلز) . واكتشف الناس في طرابلس غياب آل مزراحي ، وثار التجار والدائنون ، وأعلن بوليس لبنان عن جريمة آل مزراحي ، وطلب من البوليس الدولي ان يلقي القبض عليهم . وكل ذلك يضيع أدراج الرياح ، لأن المجرمين قد وصلوا إلى دولتهم الباغية وانضموا إلى زمرة اليهود الذين يتجمعون في أرضنا المغتصبة[٢] . واهتمت الأوساط الرسمية وغير الرسمية بالفضيحة اليهودية

---

(١) الجمهور ، بيروت ٣-٢-١٩٦٦ .
(٢) الاسبوع العربي ، ١٤-٢-١٩٦٦ .

وجرت تحقيقات عن أوضاع اليهود في لبنان . واكتشف المحققون ان الاخطبوط اليهودي في لبنان يسيطر على الشركات كلها عن طريق تحكم السماسرة اليهود بشؤون البورصة . وقد ذكر من أسماء السماسرة اليهود[1] : نسيم تشه ، رفول جاموس ، موييز مغربي ، هارون حافظ ، يوسف حقال ، البير لافي ، ادغار تاليو ، وغيرهم . وهؤلاء باستطاعتهم تفليس أية شركة يهملون اسهمها أو يحاربونها في البورصة . ورغم ان عدد اليهود في لبنان لا يتجاوز خمسة آلاف ، إلا أنهم يتحكمون في أوضاع البلاد الاقتصادية ، ويسيطرون على أغلب المصارف والبنوك وتجارة الاقمشة والعطور والخردوات والسيارات . وكشف التحقيق بعد الفضيحة ان اليهود كانوا يشترون الأرض اللبنانية المجاورة للحدود الفلسطينية ، وان صفقات عديدة قد تمت لحساب اليهود في جنوب لبنان المحاذي للدولة المغتصبة[2] .

وحين ذهب الصحفيون للحي اليهودي في بيروت ، والتقوا بالحاخام اليهودي ، تظاهر بالحزن على ما حدث ، وأبدى دهشته كيف يخون آل مزراحي الأمانة ، ويغدروا بالبلد الذي حماهم ورباهم[3] ... ولم يدرك الشعب العربي في لبنان وغير لبنان ان الحاخام نفسه ، ومن معه من حاخاميم اليهود في كل مكان ، هم الذين يتولون تلقين تعاليم التوراة والتلمود التي تحض على سرقة غير اليهود واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

(١) الحوادث ١٨-١-١٩٦٦ .
(٢) الحرية ، بيروت ٧-٢-١٩٦٦ .
(٣) مجلة الأحد ، بيروت ٢٠-٢-١٩٦٦ .

الفصل السابع

الغزو الفكري

لقنت الحروب الصليبية أمم الغرب درساً في الاسلوب الجديد الذي يعامل به الشرق المسلم . فقد أدركوا ان الغزو العسكري لديار الإسلام لا بد مخفق مهما طال الزمن ، إذا لم يكن مصحوباً بغزو فكري يزلزل عوامل القوة الكامنة في الإسلام.وغذت هذه الأفكار الجديدة ، حسرات الصليبيين المهزومين ، واحقادهم الدفينة في قلوبهم السود . ودلتهم تجارب الحروب والهزائم ، إلى سر عظمة الأمة الإسلامية ، ومنابع قوتها التي اخرجتها من الظلمات إلى النور ، وجعلتها أمة موحدة متماسكة ، سلاحها الفتاك إيمان بالله الواحد وجهاد في سبيله. عرف الصليبيون أن الإسلام قضى على العصبية القبلية ، فلا عدنان وقحطان ، ولا ربيعة ومضر ، ولا قيس ويمن ، ولا عربي وعجمي ، ولا أسود وأبيض وأحمر . وأيقن مفكرو الغرب وفلاسفتهم وقادتهم ، ان الإسلام هو العقبة الكبرى في طريق الاستعمار وفي طريق اليهودية العالمية . وأيقنوا كذلك ان القرآن الكريم ، هو القوة الخارقة التي توحد الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ، وتباين لغاتها ، وبعد المسافات بينها . ومن هنا شرعوا في تدبير الخطط للقضاء على مقومات الأمة العربية والبلاد الإسلامية بوجه عام . وهي المقومات

الممثلة في وحدة الوطن الإسلامي من الأندلس إلى جاوه (أندونيسيا اليوم) ووحدة لغتها ، ووحدة جهادها ونضالها ، ووحدة دينها ، ووحدة مجتمعها المتماسك[1] . وأجمع الغرب أمره على محاربة الإسلام والمسلمين ، وذلك بهدم البنيان من اصوله وجذوره . محاربة الإسلام في نفوس المسلمين ، لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم ، واضعافه وابعاده عنهم وابعادهم عنه ، واشغالهم بمبادىء أخرى ان لم تقض نهائياً على الإسلام ، فانها تزاحمه وتزلزل أركانه ، فيسهل القضاء عليه مع الزمن .

وكيف السبيل إلى خوض هذه المعركة غير المسلحة ..؟ لقد اهتدى الغرب إلى السبيل الذي يعينه على محاربة الإسلام بلا سيف . اهتدوا إلى ضرورة ايجاد أسلحة المعركة من داخل الإسلام والمسلمين ، وايجاد أدوات الهدم من الداخل . فقرروا دراسة الإسلام وتاريخ الإسلام وآدابه وفنونه . فكان الاستشراق والتبشير السلاحين الخطيرين اللذين ظهرا بشكل سافر وعلى نطاق واسع منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا[2] . ومعركة الاستشراق التي قادها المستشرقون ، لا تختلف كثيراً عن معركة التبشير التي قادها المبشرون . فأهداف الفريقين من حيث النتيجة واحدة تتلخص في محاربة الإسلام من داخله ، وزرع الشك في نفوس المسلمين ، والطعن على نبي الإسلام ، والحط من قيمة الفكر الإسلامي ، واقتناص المثالب من بعض الكتب الصفراء وارجاع ما فيها من خرافات إلى الإسلام ، وتشويه التاريخ الإسلامي ، واثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية ممثلة في القرآن الكريم بقصد هدمه ، وتلقين الشباب المسلم الاعجاب بالغرب ومدنية الغرب ، والعمل على تنصير المسلمين . ويختلف الفريقان في الاسلوب . فالاستشراق يأخذ صورة البحث العلمي الاكاديمي الخادع ، بينما يعمل التبشير في مجال العقلية العامة للشعوب. ويستخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجالات العلمية وكراس التدريس الجامعي والمؤتمرات العلمية العامة ، بينما يعمل التبشير في التعليم الأولي من دور الحضانة ورياض الأطفال

(١) الدكتور ناصر الدين الاسد ، القومية العربية والاستعمار ، دار المعارف ١٩٥٧ ، ص ٩٢ .

(٢) عيادي العبد عيادي ، المسيحية والقومية العربية ، مطابع الناشر العربي القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٢٦ .

إلى المراحل الابتدائية والثانوية ، مضافاً إلى ذلك تغلغلهم في أوساط الشعب الفقيرة والتظاهر بعمل الخير واسعاف المرضى والفقراء ... . الخ [1]

ويهمني في الحديث عن الاستشراق والتبشير ابراز أصابع اليهود في هذين السلاحين الجبارين اللذين وجها ضد الإسلام والمسلمين . انني اعتقد ان العامل الأول في تطوير هذين السلاحين واستخدامهما في القرنين التاسع عشر والعشرين ضد الإسلام والمسلمين راجع إلى اليهود الذين تظاهروا باعتناق النصرانية ليعملوا على هدمها من الداخل . اولئك اليهود الذين وصلوا في الرتب الكهنوتية إلى درجات عليا تمكنهم من فرض آرائهم على الكنيسة وتوجيهها الوجهة التي يريدون وهم – أي اليهود المتنصرون – بعد ان استطاعوا بمساعدة الجمعيات السرية اليهودية وعلى رأسها الماسونية ، ان يهدموا قوة الكنيسة في اوروبا بعد الثورة الفرنسية ، وان يحاربوا كل شكل من أشكال القوة الروحية عند الإنسان ، وان يوجهوا الحكومات الاوروبية ضد الدين[2] ، اتجهوا عندئذ إلى القوة الروحية الإسلامية ، املا في هدمها وجعل الشرق الإسلامي يتجه إلى عبادة المادة ، كما عبد اولئك اليهود الذهب من أيام موسى وهارون إلى يومنا هذا .

وليس من قبيل المصادفة ان نجد ان أكبر المستشرقين منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو اليهودي جولد تسيهر ، الذي كرس حياته للطعن على الإسلام ونبي الإسلام وقرآن الإسلام ، بأسلوب علمي مقنع ، تنبعث منه أحقاد اليهود ومكرهم وخبثهم . وليس من قبيل المصادفة كذلك ، أن يكون أكبر المبشرين وأخطرهم طوال النصف الأول من القرن العشرين هو اليهودي صموئيل زويمر ، الذي كان يدبر عملية الغزو التبشيري في ديار الإسلام كلها . هذان الرئيسان الخطيران للاستشراق والتبشير يهوديان ، ومعهما عشرات المستشرقين من اليهود ، وعشرات المبشرين من اليهود كذلك . انها أصابع اليهود الذين يخدعون الغرب الأعمى ، ويوجهون المسيحية الغربية إلى معاداة الإسلام ومحاربته ، وهم يعلمون أنها لن تنتصر في المعركة ، ويكتفون

---

(١) ابراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون، مكتبة الوعي العربي ١٩٦٤ ، ص ٣٩–٤٠ .

(٢) محمد أسد (ليوبولد فايس)، الإسلام على مفترق الطرق، نقله للعربية الدكتور عمر فروخ دار العلم للملايين ١٩٥١ ، ص ٤٣ .

باضعاف الفريقين المسلمين والمسيحيين ، لتكون لهم الغلبة في نهاية الأمر كما تصور لهم عقولهم المريضة . وانني لا أقصد تبرئة الصليبية الغربية من الجهل والحقد والتعصب والطمع ، انما اصر على ان العامل الأول في الحرب العلمية الروحية المستعرة بين الأديان ، ليس إلا يهودياً خبيثاً ماكراً ، سداه التوراة ولحمته تعاليم التلمود الاجرامية . واصر كذلك على ان أقلام اليهود هي التي قادت الحرب المسعورة ضد الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ فوصفته باللصوصية والشهوانية والسحر . كما زعمت أقلامهم أنه عليه السلام رئيس عصابة مصاب بداء الصرع ، وان المسلمين يعبدونه ويقربون له الضحايا البشرية ، وجعلت منه أحياناً صنماً من ذهب [1] ... وهاتان النقطتان الاخيرتان ، الضحايا البشرية وصنم الذهب، هما من صميم الفكر اليهودي والطقوس اليهودية التي سبق ذكرها. وبروكلمان المستشرق العالم (يهودي) ، لم يخف في دراساته الاكاديمية ... ان محمداً ﷺ دعيّ وليس بنبي ، وان كل ما دعا إليه مقتبس عن الأنبياء السابقين وعادات الأمم ... ويقول كذلك إن محمداً ﷺ أخذ فكرة الحساب والعقاب من المصادر اليهودية ونسج حولها تخيلات وأوهاماً وأكاذيب ... وان الصلاة طقوس فارسية ، وتقبيل الحجر الأسود وثنية[2] ... ويخرج بروكلمان إلى نتيجة واضحة هي أن محمداً ﷺ لم يكن إلا شخصاً عادياً وان دينه لم يقم إلا بحد السيف ...!

وكذلك يفعل امام المستشرقين جولد تسيهر اليهودي في كتابه « العقيدة والشريعة في الإسلام » ، حين يغمز في القرآن الكريم ويطعن فيه ويكرر اتهامه بالتناقض . ويبدو واضحاً انه يتخلى عن برجه العلمي لينحط إلى يهوديته الحاقدة على الإسلام ونبي الإسلام وقرآن الإسلام[3] .

وكذلك يفعل المستشرق صموئيل مرجوليوث (يهودي) ، الذي نشر في

---

(١) محمد عبد الغني حسن ، الإسلام بين الانصاف والجحود، مؤسسة المطبوعات الحديثة، د. ت. ص ١٩ .

(٢) محمد الدسوقي ، الإسلام والمستشرقون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٦٢ ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) محمد محمود الصواف ، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، مكة المكرمة ، ص ١١٠ .

سنة ١٩٢٥ ، رأيه عن الشعر الجاهلي والتشكيك في مصادره ونسبتها للجاهلية ، وخرج برأي يشكك في اعجاز القرآن الكريم . ثم قلد مرجوليوث كتاب عرب على رأسهم الدكتور طه حسين الذي أخذ آراء المستشرق اليهودي وضمنها كتابه « في الشعر الجاهلي »[١] .

ولا يقل عنهم خطورة المستشرق اليهودي فنسنك رئيس تحرير دائرةالمعارف الإسلامية ، التي وضعت بأقلام المستشرقين اليهود والمبشرين من أصل يهودي ، فجاءت ملأى بالمطاعن على الإسلام وتاريخهم ودينهم وقرآنهم . ونبيهم[٢] . ومن عجب ان توضع دائرة معارف وتسمى اسلامية ، ولا يشترك في تحريرها إلا اليهود والنصارى . لأن اولئك الذين يدعون العلم من اليهود والنصارى لا يمكن أن يحكموا ضمائرهم فيما يكتبون ، ولا يمكن ان يكونوا محايدين فيما يكتبون عن الرسول الكريم والقرآن والتاريخ الإسلامي . وهم منذ نشأتهم تشبعوا بالفكرة العدائية للإسلام . وكان الغرض من قيامهم ، الرد على القرآن وكتب الدين الإسلامي . وهم في رأي العقاد رحمه الله ، عون للاستعمار في تحقيق اطماعه في البلاد المستعمرة ، عن أي طريق ومنها التجسس على البلاد العربية التي يغزوها الغرب[٣] . وفي رأي الخولي رحمه الله ، أنهم — أي الاستشراق والتبشير والاستعمار — يشكلون حلقات تعاون ثلاث متداخلة ، وان دراساتهم ليست لوجه العلم ، وخاصة حين نرى اهتمام وزارات المستعمرات المختلفة بأعمال الاشتشراق ونشرها وتشجيعها والبذل في سبيلها مع زميلاتها عمليات التبشير[٤] .

مكمن الخطر في أنظارهم :

أدرك المستشرقون والمبشرون ان الخطر الكامن في الإسلام يهدد اوروبا على الدوام . وان القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار

---

(١) الإسلام والمستشرقون ، ص ٥١ .

(٢) الدكتور حسين الهراوي ، المستشرقون والإسلام ، المنار ١٩٣٦ ، ص ٧٤ .

(٣) الشبان المسلمون ، جمادي الاخرة ١٣٨٠ — ديسمبر ١٩٦٠ .

(٤) المرجع نفسه .

المسيحية ، وهي التي اخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية[1] . وليس هذا فحسب ، وانما رأى المستشرقون والمبشرون ان الإسلام دين زاحف شديد المراس في رفض الاستعباد، وبالتالي فانه لا يتقبل الاستعمار ولا يرتضي بالذل[2] ويعترف كتاب اليهود والنصارى ان الحروب الصليبية نفسها لم تكن لانقاذ المدينة المقدسة من أيدي المسلمين بقدر ما كانت تهدف إلى تدمير الإسلام ذلك القوة الخطيرة الزاحفة[3] .

ولم يخف المبشرون في كتاباتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ، الفزع من قوة الإسلام ، والإلحاح الشديد على تنصير المسلمين أو زعزعة إيمانهم بدينهم على الأقل . وفي كتاب « العالم الإسلامي » الذي نشره زويمر اليهودي ورئيس المبشرين في آسيا وافريقيا ، أبدى أسفه إلى أنهم لم يكتشفوا قوة الإسلام وخطره إلا مؤخراً ولكنه طمأن بني قومه إلى أن أبواب التبشير قد غدت مفتوحة في ممالك الإسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية في الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر ، وان في العالم ١٤٠ مليون مسلم يرتقبون الخلاص[4] ...

وقال المبشر اليهودي وليم جيفورد بالكراف :

« متى توارى القرآن ومدنية مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ ان نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه[5] .

والحضارة في نظر هؤلاء المبشرين هي اعتناق المسيحية ، ومن بعدها يرحب العرب بالمستعمرين لأنهم على دينهم .

والغريب ان المبشرين يرتعدون فزعاً لذكر الصوفية التي يظن الكثيرون أنها من نقاط الضعف في الإسلام . فهي في نظرهم من أكبر العوامل على بث شعور

---

(١) الدكتوران مصطفى خالدي وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار ، بيروت ط ٢، ١٩٥٧ ، ص ٣٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٥ .
(٤) ا . ل . شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي، تعريب مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ١٣٥٠ ، ص ٤٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير اسلامي . ويرون في الطرق الصوفية عاملاً على تقوية ما يسمى بالجامعة الإسلامية حسب رأي القس ورتز[1] وأخشى ما يخشاه المستشرقون والمبشرون ، هو اتحاد العرب والمسلمين في امبراطورية عربية قد تصبح لعنة على العالم وخطراً على المسيحية ... والأفضل في نظر المبشر لورانس براون ان يظل العرب والمسلمون متفرقين بلا قوة ولا تأثير[2] ...

ولا يخفي الكاتب اليهودي اشعيا بومان قلقهمن ازدياد قوة المسلمين بازدياد أعدادهم التي لم تقل أبداً منذ ظهر الإسلام . واعترف ان وجه الخطر علىالغرب من الإسلام هو كونه ليس ديناً فحسب ، بل ان من اركانه الجهاد . وذكر في مقال له في مجلة العالم الإسلامي التي يصدرها المبشرون ، أنه ما من شعب دخل الإسلام ثم عاد نصرانياً ، وان ما من قوة حاولت الاحتكاك بالقوات الإسلامية التي تعتمد على البدو وتسند ظهرها إلى الصحراء ، إلا وخسرت أضعاف أضعاف ما خسره المسلمون[3] . ولذلك حض هذا اليهودي كلا من الانجليز والفرنسيس على وجوب السيطرة على الشواطىء الإسلامية ، ودفع المسلمين إلى داخل البلاد بعيداً عن الشواطىء ، لكي يسهل اضعافهم والقضاء عليهم ... وهناك كثيرون من العرب المضللين السذج الذين يعتقدون ان الغرب يرغب في بقاء الإسلام ليتعاون مع المسيحية في معركة البقاء ضد الشيوعية والعلمانية والالحاد.فليسمعوا إذن ما يقوله المبشر لورنس براون عن هذه النقطة بالذات[4] :

« لقد كنا نخاف أو نخوف بشعوب كثيرة . ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف . لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر والخطر الشيوعي . إلا أن هذا التخويف كله لم يكن له أساس كما تخيلناه . اننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا . أما الشعوب الصفراء فان هنالك دولا ديمقراطية كبرى

---

(1) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
(2) ابراهيم خليل أحمد ، ص ٣٧ .
(3) التبشير والاستعمار ، ص ١٣١ .
(4) المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

تتكفل بمقاومتها ... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع ، وفي حيويته . انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي ... » .

وكتاب الغرب من اليهود والنصارى لا يفرقون بين البلاد العربية والإسلامية. الكل عندهم مسلمون ، والبلاد بلاد اسلامية . والخوف من العرب لأنهم مسلمون . والاهتمام بالأمة العربية كما يقول مورو بيرجر في كتابه : (The Arab World Today)، ليس ناتجاً من وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. ويؤكد في كتابه هذا وجوب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب وقوة العرب التي صاحبت دائماً قوة الإسلام وعزته وانتشاره . ويبدي الكاتب فزعه لانتشار الإسلام في افريقية بيسر لأنه يستهوي الافريقيين الذين يرون ان المسيحية هي دين المستعمر[1] . وانتشار الإسلام بيسر وسهولة دون بذل الملايين كما يفعل المبشرون ، كان يقض مضاجع عتاة الاستعمار منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا . ولقد كانوا وما زالوا يرون في الإسلام خطراً وعقبة في سبيل خططهم الاستعمارية . وكان جلادستون رئيس الوزارة البريطانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بعيد النظر وحكيماً حين قال[2] :

« ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع اوروبة السيطرة على الشرق ولا ان تكون هي نفسها في أمان » . وتصوروا ان كلام جلادستون هذا يصدر عنه وقوى الغرب في أوجها نتيجة تطور عصر النهضة الذي أطلقوا عليه اسم (Rennaisance) وقوى الشرق المسلم آخذة في التدهور والسير إلى الغروب . ومع ذلك يبدي جلادستون قلقه بل فزعه من القرآن وخطره على اوروبا . ولماذا كل هذا الخوف والقلق ...؟ والجواب عند المسيو كيمون في كتابه عن الإسلام ، حين وصف الإسلام الذي جاء به الدستور الإلهي — القرآن — بأنه «جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً ، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور ... وما قبر محمد في مكة (كذا) إلا عمود كهربائي يبث الجنون في

---

(١) روز اليوسف ٢٩-١-١٩٦٣ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٣٩ .

رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الهستيريا والذهول العقلي وتكرار لفظة الله إلى ما لا نهاية (الدروشة) ، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى والجنون الروحاني والمانيخوليا ..الخ »[1]

وهذا الهذيان المحموم من المبشر الفرنسي يوضح تناقضه وفزعه من هذا الدين الذي يبعث في نفوس اتباعه « الدروشة » . والجنون الروحاني ، وهما الشيء الذي يزعجه ، فيندفع للتنفيس عن حقده واضطرابه إلى توجيه الشتائم والصاق التهم الكاذبة .

وانسجمت الخطط الاستعمارية في الحرب ضد الإسلام وديار الإسلام ، مع قوى التبشير الكاثوليكي بقيادة الكرسي البابوي في روما ، وقوى التبشير البروتستانتي بقيادة اليهودية العالمية وتوجيهها . وللكرسي الرسولي مجرى سياسة لا يتغير ، وهو يسعى لتحقيق ما بدأته الحروب الصليبية ، ولو أدى الأمر إلى استخدام كل الوسائل ، ومنها استخدام رهبانياته المنتشرة في جميع أنحاء العالم . ويعترف المسيو اوجين يونغ ان اكليروس البابا يسير على خطط اليهود في التجسس وبث الدسائس والفتن والتسلط على الاشخاص ذوي المكانة العالية بالتهديد بافشاء أسرارهم الشخصية[2] .

وقوى التبشير لا تكل ولا تمل ، والكرسي الرسولي لا يتحول عن خطته لطمس آثار الإسلام ، ويسعى للوصول إلى غايته ولو نجم عن ذلك دمار هائل. « فالنصرانية والموسوية هبتا لمواقعة المحمدية ، وهما تأملان ان تتمكنا من صرع عدوتهما .. »[3] .

وتوحيد قوى الصليبية واليهودية الذي يشير إليه النص السابق ، بدا واضحاً جلياً منذ أوائل القرن العشرين ، حين قادت جرائد التبشير في مصر ، حملة مركزة على الإسلام بقيادة جريدة (راية صهيون) التابعة لطائفة الانجليكان (البروتستانت)[4] . ويكفي لادراك تهود البروتستانت وتسخير أنفسهم ونشاطهم

---

(١) مسيو جبرابيل هانوتو ، الإسلام ، ١٩٠٠ ، ص ١٥ .
(٢) استعباد الإسلام ، ص ٤٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠ .
(٤) محمد رشيد رضا ، شبهات النصارى وحجج الإسلام ، المنار ١٣٢٢ هـ ، ص ٣٧ .

لخدمة اليهود ، هذا الاسم الذي اتخذوه لجريدتهم (راية صهيون). ولعمري لقد ظلت هذه الراية خفاقة ترف فوق رؤوس القوات الاستعمارية الصليبية التي حاربت الإسلام والمسلمين . إلى أن تمكنت من تركيزها على ربى فلسطين سنة ١٩٤٨ .

أهدافهم الأساسية :

يهدف المستشرقون والمبشرون إلى هدم الإسلام وتنصير المسلمين . وبما أنهم — من تجاربهم الطويلة — أدركوا استحالة ارتداد المسلم عن دينه ، فقد رسموا خططهم ، وبنو آمالهم على زعزعة عقيدة المسلم ، وتشكيكه بدينه ، وخلق فجوة بين المسلمين واصولهم العريقة المجيدة ، فيسهل بذلك القضاء على كيانهم الإسلامي الشامخ ، ويتحولون إلى قطيع من الأغنام يمكن استغلالها أو سوقها للذبح عند الحاجة . وقد جهر كبير المبشرين صموئيل زويمر اليهودي في ٢ اغسطس سنة ١٩١١ ، برأيه الصريح في أعمال المبشرين البروتستانت ، حين اعترف أن للتبشير في البلاد الإسلامية مزيتان: مزية هدم ومزية بناء، ويعني بالهدم انتزاع المسلم من دينه ولو إلى الالحاد ، ويعني بالبناء تنصير المسلم ان أمكن ...[١]

وما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، فلا بد اذن من تسهيل التحاقهم بالمدارس العلمانية التي تساعد في القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب[٢] . ومعلوم لدينا ان المدارس العلمانية والتعليم العلماني الالحادي كانت من عمل اليهودية العالمية والماسونية اليهودية بعد الثورة الفرنسية التي رفعت شعارات اليهود الزائفة : حرية ، مساواة ، اخاء . ولما كانت أصابع اليهود هي المحرك الأول للاستشراق والتبشير ، فقد فرضت آراءها وخططها لهدم الإسلام . وكان على رأس تلك الخطط نشر التعليم العلماني وابعاد الشباب المسلم عن التعليم الديني . والفصل بين الإسلام والتعاليم الإسلامية وبين وسائل الحياة المادية التطبيقية . ومن أجل ذلك يبدي غابراييل هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً ، اغتباطه

(١) الغارة ، ص ١١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٢ .

للانقلاب الصامت الذي حدث في تونس بعد احتلالها سنة ١٨٨١ ، وأدى إلى فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية بدون جلبة ولا ضوضاء ، وبدون ان يترك ذلك « الانقلاب العظيم » ألماً أو توجعاً . ولا يخفي هانوتو فرحه لأن بلداً من بلاد الإسلام قد ارتخى رباطه الديني ، وانفصم الحبل بينه وبين البلادالإسلامية الشديدة الاتصال ببعضها ، وانفلتت شيئاً فشيئاً ، روابطه مع مكة ومع ماضيه الاسيوي[1] .. وتلك كانت سياسة الحكومات الصليبية الغربية وعملائها في الشرق العربي الإسلامي : العمل الصامت الدؤوب على انتزاع شجرة الوحدة الإسلامية من جذورها ، وغرس بدلا عنها شجرة صناعية تمتد جذورها إلى منابع المدنية الصليبية اليهودية ، فترتوي منها سماً زعافاً . وتتفق سياسة الحكومات الاستعمارية مع قوى التبشير التي حين خاب مسعاها في تنصير المسلمين ، قنعت بالعمل « الإنساني » القاصر على زعزعة عقيدة المسلمين ، ودفعهم إلى اقتباس الأفكار والعقائد الطارئة التي أوجدها اليهود ونماها المستشرقون والمبشرون[2] .

ومن أهداف الاستشراق والتبشير كذلك ، تدبير المؤامرات والدسائس لاحداث الفتن والانقلابات في الوطن الإسلامي . وحينما وقعت أحداث تركيا سنة ١٩٠٨ وانقلب جماعة الاتحاد والترقي من عملاء اليهود والماسونية اليهودية على السلطان المفترى عليه عبد الحميد الثاني ، لم يخف رئيس جمعيات التبشير صموئيل زويمر اليهودي فرحه بذلك الانقلاب وأشاد بالاحرار ... الذين سجنوا السلطان عبد الحميد في سلانيك،وغرسوا بذور المدنية الغربية في ديار الإسلام[3].

أما عن خطط الصليبية الغربية وقوى التبشير اليهودية لاسقاط الخلافة الإسلامية ، فسوف أفرد لها صفحات خاصة من هذا البحث في فصل مقبل في الكتاب الثاني .

وسائلهم لتحقيق أهدافهم :

لجأ المستشرقون والمبشرون إلى وسائل دنيئة ظالمة ، استخدموها في حربهم

---

(١) هانوتو ، ص ٢١ .
(٢) التبشير والاستعمار ، ص ٤٦ .
(٣) الغارة ، ص ٩٢ .

ضد الإسلام والمسلمين . ونجح اليهود بنفوذهم الجارف في الغرب الأعمى ، في نشر صورة مشوهة عن الإسلام والقرآن والتاريخ الإسلامي . وطمسوا عظمة الإسلام والقوى الكامنة فيه ، ودعوته إلى الخير والعدل والمساواة . وباع علماؤهم ورجال الدين منهم ، ضمائرهم بسبب الخوف من الإسلام الزاحف. واعترف كثيرون من المبشرين أنهم مكرهون على نشر الصورة المشوهة الزائفة عن الإسلام ليثبتوا كراهية الإسلام في نفوس أبناء طوائفهم ، فلا تؤثر فيهم تعاليمه السمحة الساحرة ... ومن أهم الوسائل التي استخدمت في المعركة :

١ ــ تشويه الإسلام ونبي الإسلام :

قاد اليهوديان جولد تسيهر المستشرق وصموئيل زويمر المبشر معركة تشويه الإسلام والقرآن والرسول العظيم محمد ﷺ . وهاجم تسيهر القرآن واتهمه بالتناقض وعدم وضوح فكرة الالوهية والتوحيد فيه . أما التثليث في رأيه فمذهب واضح في فهم الالوهية ... وادعى زويمر ان تعريف المسلمين لالههم يختلف عن تعريف المسيحيين ، وإله المسلمين ليس له قداسة ومحبة[1] ... والذي يقول هذا الكلام يهودي يؤمن بالتوراة والتلمود وما جاء فيهما عن أوصاف يهوه ورب الجنود وإله اسرائيل ، القاسية المتوحشة الضعيفة أحياناً الظالمة دائماً وأبداً .

وحاول مرجليوت المستشرق اليهودي ان يشكك في نسب الرسول العظيم ، وان والده عليه السلام مجهول لأن لفظة عبد الله ــ بحسب رأيه ــ معناها الشخص المجهول . ونسي أو تناسى ان النسب عند قريش والعرب عامة ، كان أهم شيء في تاريخهم. ولكنها يهودية هذا المستشرق ، هي التي دفعته إلى أن يلصق بالنبي الكريم ، ما ألصقه اليهود بأنبيائهم من عيوب أقلها أنهم كانوا (ممزيريم) أولاد زنى [2] .

ولم يترك المستشرقون والمبشرون ميداناً إلا اقتحموه، لبث سمومهم وافتراءاتهم ومطاعنهم على الإسلام ونبي الإسلام . أخذوا على الإسلام تعدد الزوجات والطلاق ، فأثبتت الأيام حكمة التشريع الإسلامي الخالد ، وملاءمته لضرورات

---

(١) الدسوقي ، ص ٤٤ .

(٢) حسين الهراوي ، ص ٦٧ .

الحياة الإنسانية ، على نقيض الحال في بلاد الناقدين الحاقدين ، حيث يتحطم نظام الأسرة ويسري الفساد إلى الحياة الاجتماعية بشكل يهدد أركان أمم الغرب بالدمار المحقق . ولا يخفى على أحد اليوم مبلغ الانحلال الذي وصلت إليه أمم الغرب ، حتى ان الكثيرين من مفكري المسيحية أخذوا يحبذون تعدد الزوجات ليمنعوا تعدد « الصديقات »السريات . أما الطلاق فقد أخذت به دول الغرب المسيحية ولكن بابتذال أين منه أنظمة الشريعة الإسلامية الغراء .

وقالوا عن الإسلام وديمقراطية الإسلام انها مسبوقة بديمقراطية اليونان ، مع أن عناصر الديمقراطية الإسلامية الثلاثة وهي المساواة والمسؤولية الفردية وقيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم من الحدود والتبعات ، قد انفرد بها الإسلام ونادى بها لأول مرة في تاريخ الإنسان[1] . وتمثل الآيات التالية عناصر الديمقراطية الإسلامية الخالدة :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم[2] » .

« كل امرىء بما كسب رهين[3] » .

« وامرهم شورى بينهم[4] » .

وقالوا عن الإسلام انه دين الكسل والخمول والاتكال والجهل وانه سبب تأخر المسلمين . وهي افتراءات قذرة وجهل مطبق بالإسلام دين العلم والعمل . فالقرآن الكريم دستور الإسلام الخالد ، يذكر لفظ العلم أكثر من مائة مرة ، في آيات بينات تقديراً للعلم وبيانا لنوره الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومنها :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ...[5] » .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات[6] » .

---

(١) عباس محمود العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، دار القلم القاهرة ١٩٦٢ .
(٢) الحجرات ١٣ .
(٣) الطور ٢١ .
(٤) الشورى ٣٨ .
(٥) الزمر ٩ .
(٦) المجادلة ١١ .

« لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك[١] » .
« ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك إذا لمن الظالمين[٢] ».
« بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم[٣] » .
« إنما يخشى الله من عباده العلماء[٤] » .
والحديث الشريف الذي يطالب الناس بطلب العلم من المهد إلى اللحد ، كاف لاخراس أعداء الإسلام الذين يصمونه بالجهل .
وكذلك حض الإسلام على العمل بصراحة وقوة . ولم يعرف الإسلام الكهانة والانقطاع للعبادة والابتعاد عن الدنيا .
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[٥] » .
« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه[٦] »
ويأمر القرآن المسلمين بالعمل أثناء أداء مناسك الحج ، وبعد صلاة الجمعة امعاناً منه في تشجيع العمل والبعد عن البطالة والكسل .
« ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام[٧] » .
« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله[٨] » .
وقال الرسول الكريم (ﷺ) « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده[٩] » .

---

(١) النساء ١٦٢ .
(٢) البقرة ١٤٥ .
(٣) العنكبوت ٤٩ .
(٤) فاطر ٢٨ .
(٥) التوبة ١٠٥.
(٦) الملك ١٥.
(٧) البقرة ١٩٨ .
(٨) الجمعة ٩ ، ١٠.
(٩) الفتح الكبير ، ج ٣ ، ص ٨١ – ط مصطفى البابي الحلبي .

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً[1] ».
وهي لعمري تعاليم خالدة تثبت ان الإسلام دين ودنيا ، وليس دين كهانة وتواكل وكسل .

وأخذ المستشرقون والمبشرون على نبي الإسلام محمد (ﷺ) موضوع الزواج وتذرعوا به للنيل من شخصه الكريم واتهامه بالشهوانية والتشكيك في دعوته ودينه القويم . وما اتفق خصوم الإسلام من مستشرقين ومبشرين وملحدين على شيء كما اتفقوا على خطة استغلال هذه النقطة والتبشير بها . فكلهم يحسب ان المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة الرسول (ﷺ) ولقد خاب فألهم وطاشت سهامهم وثبت اخفاقهم في اختيار هذه الخطة بالذات . إذ أن جلاء الحقيقة في هذه المسألة أهون شيء على المسلم العارف بأمور دينه المطلع على تاريخ الإسلام وسيرة نبيه ، فينقلب المقتل المظنون ، حجة يكتفي بها المسلم لكشف بهتان الذين كفروا وافتراءاتهم . فيزداد تعظيم المسلم لنبيه وتبرئة دينه مما يفترون . وكل منصف يقرأ سيرة النبي الكريم يدرك بأنه (ﷺ) لم يبن بأية زوجة لحسن ووسامة ، ولشهوة جنسية كتلك التي يتخيلها ذوو النفوس المريضة الحاقدة ، بل كان زواجه عليه السلام من نسائه تضحية وشرفاً ، وانسانية وحكمة ودروساً اجتماعية مثالية .

واعجب شيء نلاحظه في هذه المسألة التي يلعب فيها اليهود الدور الأول ، هو مقدرتهم على القاء غشاوة على أبصار المستشرقين والمبشرين وبصائرهم فلا يرون ما ورد في توراة اليهود عن شهوانية أنبياء اليهود التي نسبها لهم اليهود أنفسهم . لم ير هؤلاء الحاقدون ان سليمان قد تزوج سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية في وقت واحد ، وان والده داود كان شهوانياً مزواجاً . وان غيرهما من أنبياء التوراة كانوا كذلك . ولم نسمع ولم نقرأ في يوم من الأيام ان نقداً أو هجوماً أو طعناً وجه إلى أنبياء اليهود . انها أحقاد الغرب الصليبي التي تسيرها دعاية اليهودية العالمية كيفما تشاء .

وآخر ما صدر عن أقلام اليهود كتاب بعنوان « محمد » لليهودي رودنسون نشره له نادي القصة الفرنسي . وقد ضمن هذا اليهودي كتابه طعناً في الإسلام

(١) هذا الأثر – على الأرجح – لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والقرآن والنبي الكريم . ونعت محمداً (ﷺ) بأنه « زير نساء » وأنه كان ينظم الحملات لقطع طريق القوافل لكي ينهب الطنافس الحريرية ويفرشها لزوجاته[1]

ولم ننس بعد مؤامرة اليهود على القرآن الكريم . فقد تعاونوا مع الهيئات التبشيرية وزيفوا القرآن وطبعوا منه آلاف النسخ المزورة . واكتشفت حكومة المغرب العربي القرآن المزيف وفيه عدد من الآيات المحرفة لتلائم أهداف اليهود وترفع عنهم لعنة السماء الخالدة . واكتشفت مؤامرة يهودية أخرى في شيكاغو حين نشرت دار ديفز اليهودية ما اسمته « بالقرآن القصير » ، أوجزت فيه القرآن على هواها . وتنبهت القاهرة والأزهر الشريف لهذه المؤامرة الخسيسة . وسارعت الجمعيات الإسلامية في المناطق التي وزع فيها القرآن المزيف، إلى جمعه وحرقه[2]. واخفقت مؤامرات التبشير واليهودية العالمية ، لأن القرآن دستور السماء الخالد لا تقوى سلطات الدنيا بأسرها على تحريفه أو تقليده .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[3] .

وادعى المبشرون والمستشرقون اليهود ، ان الإسلام امتداد لليهودية ، مع أن حقيقة الإسلام تبعده عن اليهودية بعد السماء عن الأرض . فاليهودية دين الظلم والهمجية والوحشية والسحر والخرافات والاجرام والعنصرية المدمرة . وهم يعتقدون كما ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث ، أنهم شعب مختار يحتكرون الإله ، وان جميع البشر من الأنجاس والحيوانات المسخرة لخدمة اليهود . أما الإسلام فهو دين الخير والمحبة والعدل والمساواة ، دين الناس كافة ورب المسلمين هو رب العالمين سبحانه وتعالى عما يصفون .

واكتشف الطلبة العرب في الولايات المتحدة هذا العام (١٩٦٦) ، ان مؤسسة مكافحة الصرع الاميركية قد عرضت لوحة تحمل صورة النبي العظيم (ﷺ) واسمه كأحد المشاهير المصابين بالصرع ، وذلك في الاجتماع السنوي للاكاديمية الاميركية الطبية بولاية اوهايو...ولم يكن خافياً ان المبشرين والمستشرقين اليهود هم وراء هذه الحملة القذرة . فهم وحدهم الذين روجوا لهذه الفرية من

---

(١) الشبان المسلمون ، محرم ١٣٨٢ – يونيو ١٩٦٢ .
(٢) الشبان المسلمون ، شعبان ١٣٨٠ – فبراير ١٩٦١ ، آخر ساعة ١١–١–١٩٦١ .
(٣) الحجر ٩ .

قديم للطعن في نبوته (ﷺ) ونفي تلقيه للوحي ، والقاء الشبهات على كون القرآن الكريم من كلام الله . واحتج الطلبة العرب للرئيس جونسون وحاكم الولاية ، بيد ان احتجاجهم قد ذهب أدراج الرياح ، لأن جونسون من أصل يهودي ، ولم يأت لكرسي الرئاسة إلا بالنفوذ اليهودي الذي يذل شخصيات اميركا من كبيرها إلى صغيرها[١] .

وتطاول المستشرقون والمبشرون على التاريخ الإسلامي والمدنية الإسلامية والفكر الإسلامي . وجحدوا فضل العرب على اوروبا والعالم أجمع . وانكروا الجميل الذي أسداه العرب لاوروبا حين كانت غارقة في دياجير الجهل والعبودية والهمجية ، وتجاهلوا مدنية العرب والمسلمين التي غمرت اوروبا فأسهمت في نقلها من أدوار الجهل إلى التدرج في معارج المدنية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم . والمنصفون من علماء الغرب — وهم قلة — لا ينكرون أن الأمم الراقية اليوم تستخدم الأرقام التي تعلمها الجميع عن العرب ، ولولا تلك الأرقام ما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات والصواريخ[٢] . والعلماء المنصفون يعترفون بفضل العرب في ميادين الفلك والطب ، ويقرون بأن كتب ابن سينا والرازي وابن رشد ، قد استقبلت في باريس والمانيا ولندن بثقة وحظوة بحيث لم يستطع طبيب في اوروبا ان يمارس الطب دون الاعتماد على ما ورد عن هؤلاء الأطباء العرب الكبار ، وان مستشفيات العرب قبل القرون الوسطى كانت مثالية وتفتح أبوابها لكل طبقات الشعب بدون تمييز وبلا مقابل ، وان أطباء العرب لم ير العالم لهم مثيلا[٣] . ولم تنجح الطريقة المنظمة التي تحايل بها الأدب الاوروبي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية على اوروبا . فظهرت حقائق التفوق العربي في علوم الفلك والطب والجغرافيا والرياضيات والتاريخ والاجتماع وفن العمارة والزخرفة[٤] . وثبت لكل عالم

---

(١) المدينة المنورة ، جدة ، ١٨ محرم ١٣٨٦ — ٨ مايو ١٩٦٦ .

(٢) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي بيروت ١٩٦٤ ، ص ٦٦ — ٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٤) جمال مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الأوروبية ، الانجلو ١٩٦٠ ، ص ١٥٩ .

لا يعميه التعصب الديني بأن حضارة الإسلام التي عمت أقطار العالم القديم ، لم تكن حضارة ناقلة عن اليونان كما يدعي اليهود والمستشرقون والمبشرون ، وإنما كانت حضارة مبتكرة اصيلة نبعت من خصائص الأمة العربية المشبعة بروح الإسلام ، المسترشدة بتعاليمه السامية الخلاقة .

وشن أعداء الإسلام من مستشرقين ومبشرين ويهود ، هجوماً عنيفاً على الشريعة الإسلامية ، لأنها في نظرهم أعظم قوة دافعة ومثبتة لهذا الدين.والشريعة الإسلامية التي تستند إلى القرآن والسنة والفقه الإسلامي الذي انتجته قرائح صفوة من العلماء لا يجود الزمان بمثلهم ، هي التي جعلت من الإسلام ديناً ودنيا ، وميزته عن سائر أديان البشر ، بما منحته من نفوذ متغلغل في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان . ولذا لم يأل أعداء الإسلام جهداً في توجيه الطعن إلى الشريعة الغراء ، بأن يضعوها دائماً في قفص الاتهام ، ويصموها بالتخلف والقسوةواباحة الرق ... املا في زعزعة مكانتها من الإسلام ، وبالتالي اضعافها والقضاء عليها ليتم لهم تجريد الإسلام من عوامل حياته وبقائه ووجوده وعظمته وخلوده . وتهم القسوة والتخلف واباحة الرق ، التي يوجهونها للشريعة الإسلامية متهافتة كاذبة ظالمة . فشريعة الله التي قضت بقطع يد السارق ورجم الزاني ، حكيمة عادلة رحيمة ، لأنها إنما تفعل ذلك لردع النفوس الشريرة وقطع دابر الجريمة وحماية أمن الملايين . وخير دليل على ذلك ، ان روسيا التي تستهوي أنظمتها وقوانينها أفئدة الكثيرين من شبابنا « التقدميين » ، لا تكتفي بقطع يد السارق وإنما تعدمه . وقد أعدمت الحكومة الروسية عدداً كبيراً من الذين يسرقون ويتلاعبون بالعملة ويختلسون أموال الدولة . ولم يوجه لروسيا أي نقد من المستشرقين والمبشرين وعملاء اليهود في العالم[1] .

واميركا التي تستهوي أنظمتها وقوانينها أفئدة قسم آخر من شبابنا ، لا تكتفي بقطع يد السارق ورجم الزاني ، وإنما تعدم الزنجي الذي يسرق دولارين من الاميركي الأبيض . وتعدم الزنجي الذي يحاول اغتصاب المرأة البيضاء أو لمسها ، كما حدث للزنجي جيمس ولسون الذي اعدم لسرقته دولارين إلا ربعاً

---

(١) المساء القاهرية ١-٨-١٩٦٢ .

من اميركية بيضاء[1] . وفي اميركا أم الحرية والديمقراطية ، ليس من الضروري ان يحكم على الزنجي السارق أو الزاني من قبل المحاكم النظامية ، بل يكفي ان تقوم عصابة (كلوكلس كلا ن) ، بتنفيذ الشريعة الاميركية غير المكتوبة ، وتعدم الزنوج الذين يسرقون أو يتجرأون على لمس السيدة البيضاء أو التحدث إليها ... فهل تتعرض أنظمة اميركا وقوانينها لما يتعرض له الإسلام وشريعته السمحة الغراء ..؟ ثم لماذا لا يلقي نظرة منصفة إلى حالة الأمن في البلاد الاوروبية المتمدنة ، وحالته في أي بلد اسلامي يطبق شريعة الله في قطع يد السارق ورجم الزاني ...؟ ولو ألقيت تلك النظرة لوجدنا الأمن في دول اوروبا مختلا ، والجرائم في زيادة مضطردة مذهلة . حتى ان سجلات الأمن في بريطانيا تشير إلى زيادة رهيبة في عدد الجرائم . فبينما كانت ٤١,٤٣٥ جريمة في عام ١٩٥٠ ، إذا هي ١,٠٧٦,٩٦٣ جريمة في عام ١٩٦٤[2] .

وكذلك الحال في المانيا ، التي بلغ فيها عدد الجرائم في سنة ١٩٦٤ ، ١,٧٤٧,٥٨٠ جريمة[3] . واغلب تلك الجرائم حوادث سرقة واغتصاب فتيات ونساء . في حين أن حوادث السرقة والزنى التي تقع في شبه الجزيرة العربية كلها ، لا تزيد على عدد أصابع اليد في السنة الواحدة . ومع حساب عدد الشرطة التي تحفظ الأمن في بريطانيا أو المانيا أو حتى لبنان ، نجد ان عدد أفراد الشرطة في بيروت وحدها ، يزيد على عدد الشرطة في المملكة العربية السعودية ، التي تزيد مساحتها على مساحة نصف دول اوربا كلها[4] . وكل ذلك راجع إلى ان الحكومة السعودية تنفذ حكم الشرع في شخص أو شخصين في السنة ، فتقطع دابر الجريمة ، وتحفظ أمن الناس في رقعة من الأرض مساحتها ٢,٤٠٠,٠٠٠ كم٢[5]

أما اتهام الشريعة باباحة الرق ، فهو زور وبهتان . لقد اتفق الشرق الشيوعي مع الغرب الصليبي على توجيه هذه التهمة الكاذبة للشريعة الإسلامية . ولعبت

(١) محمد أحمد باشميل ، صراع مع الباطل ، بيروت ١٣٨٠ - ١٩٦٠ ، ص ١١٨ .
(٢) المساء ٢٠-١-١٩٦٦ .
(٣) الاهرام ٨-٣-١٩٦٦.
(٤) صراع مع الباطل ، ص ١٢١.
(٥) المخططات الاستعمارية ، ص ٢١١ .

دعاية اليهود وأقلامهم بالفريقين . وأعمت أبصارهم وبصائرهم ، فلم يروا ان الشريعة الإسلامية لم تشرع الرق بل شرعت العتق ، وأنها وضعت الأنظمة التي تكفل الحرية لجميع الأرقاء الذين أوجدتهم طبيعة المجتمع الجاهلي[1] .
وتجاهل أعداء الإسلام أن الرق هو أصل من اصول توراة اليهود التي يقدسها الغرب المسيحي ، وبدعة اخترعها اليهود ليبرروا خططهم في استرقاق البشر . ومن يقرأ الفقرات ٢٠–٢٩ من الاصحاح التاسع في سفر التكوين ، يجد جذور البدعة في حكاية نوح الذي تقول التوراة انه شرب النبيذ وسكر وفقد وعيه فانكشفت سوأته . وان ابنه حام قد سخر منه حين رآه على تلك الصورة ، في حين سارع اخواه سام ويافث إلى تغطية سوأة أبيهما ، دون ان يقع نظرهما على عورته ، وأنه حين أفاق وعلم ما كان من موقف أبنائه ، لعن كنعان بن حام ، ودعا عليه وعلى نسله ان يكونوا عبيداً لابناء سام ويافث . وقد ابتدع اليهود هذه البدعة ، وحشروها في توراتهم التي كتبوها بعد عدة قرون من حياة موسى عليه السلام . وقد أرادوا بها ان يبرروا همجيتهم الأولى في فلسطين وأخلاقهم الاجرامية التي تتوق إلى استعباد الشعوب .

لقد أعمى التعصب الغربي الذي تسيره دعاية اليهود،أبصار أعداء الإسلام، فلم يدركوا ان اباحة الرق والاستعباد، هي من صميم توراة اليهود وتلمودهم، وأنها قد سرت من اليهود إلى الهنود واليونان والرومان ، ثم إلى شعوب اوروبا واميركا كلها . وهي تسري اليوم من أخلاق اليهود وتوراتهم إلى أمم الغرب فتحيلها إلى قوى غاشمة ، تستحل الرق ، رغم أنها تتظاهر بتحريمه في قوانيها ودساتيرها . فأخلاق اليهود التي طغت على اميركا مثلا ، تبيح لها ان تستعبد عشرين مليوناً من الزنوج ، هم سلالة الذين اختطفهم تجار الرقيق من اوروبا واميركا في القرنين الماضيين وما قبلهما[2] . ويا ليت اميركا تعاملهم كما يعامل

---

(١) عباس محمود العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، دار القلم ، ط ٢٠ ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠١ .
(٢) تحاول الدعاية اليهودية في افريقيا اليوم،أن تلصق تجارة الرقيق بالعرب والمسلمين لتشوه وجه الإسلام والعروبة في افريقيا ، وتطمس ما فعله العرب والمسلمون في سبيل اخراج الافريقيين من الظلمات إلى النور .

السيد عبده . انها تستعبدهم وتمتص دماءهم ، وفي الوقت نفسه تفضل عليهم الكلاب الاميركية البيضاء ... وارتضت أخلاق المسيحيين الاميركان التي تعلموها من اليهود ، ان يعتبر الزنجي نجساً لا يحق له ان يلمس الاميركي الأبيض أو يصافحه أو يكلمه إلا إذا طلب منه ذلك . وان لا يسمح له بدخول مدارس البيض أو استخدام المواصلات أو الفنادق أو المطاعم أو الملاهي التي يستخدمها البيض[1] ، وما أصدق الشاعر الفيتوري حين يصور مأساة الزنوج في اميركا[2] :

ألأن وجهي أسود
ولأن وجهك أبيض
سميتني عبداً
ووطئت انسانيتي
وحقرت روحانيتي
فصنعت لي قيدا
وشربت كرمي ظالما
وأكلت بقلي ناقما
وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط منازلي
وكسوتني التنهيد والكدا
وسكنت جنات الفراديس التي
بيدي نحت صخورها الصلدا
وأنا ... كم استلقيت في كوخ الدجى ؟
أتلفح الظلمات والبردا
كالشاة اجتر الكآبة عاقدا
حولي دخان تفاهتي عقدا
حتى إذا انطفأت مصابيح السما

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي ، المساواة في الإسلام ،دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٦٥ ، ص ٥١ — ٥٥ .

(٢) ديوان الفيتوري ، القاهرة د. ت.

وانساب نهر الفجر ممتدا
أيقظت ماشيّي الهزيلة
وانطلقت أقودها لمراحها قودا
فإذا سمنّ نعمت أنت بلحمها
ونبذت لي الامعاء والجلدا

وسار اليهود بالشعب الاميركي إلى أن أوصلوه لمحنة في الأخلاق والضمير والمنطق . وجعلوه على سبيل المثال ، يقيم المظاهرات الصاخبة ، لا من أجل منع الاسلحة النووية ، أو ضد الاستعمار البريطاني في أطراف الجزيرة العربية ، أو ضد ظلم الهندوس في كشمير أو وحشية اليهود في فلسطين ، ولا ضد التفرقة العنصرية البشعة في اميركا وجنوب افريقيا . وإنما يقيمها احتجاجاً على وحشية الروس حين قذفوا بالكلبة لايكا إلى الفضاء حيث ماتت في تلك التجربة[١] .

ويا لها من جريمة كبرى أثارت عواطف الشعب الاميركي ومشاعره النبيلة ... تلك المشاعر التي لا تبالي في استعباد ملايين الزنوج ، بل وتغرس في نفوسهم الرضى بالذل ، فيستمرئون العبودية . ولم ننس بعد ما حدث حين قام بطل من بين المستعبدين (محمد علي كلاي) ، وأعلن اسلامه ، صارخاً بشجاعة وقوة بأن الإسلام هو دين الحرية والمساواة ، وانه الجدير بتحرير العبيد ، وما كان من تعرضه لهجوم بني قومه من الزنوج الذين قتل الاميركان واليهود روح الاباء والحمية في نفوسهم . حتى ان بطلا مثله ممن ارتضوا العبودية (باترسون) ، قال بأن موقف كلاي هذا عار على الزنوج ... اريد حياته ويريد موتي ... وفي ختام الحديث عن فرية الرق هذه ، لا بد من الاشارة إلى الكذبة المفضوحة التي ترددها دعاية المستشرقين والمبشرين واليهود ، مدعية ان المدنية الغربية هي صاحبة اعلان حقوق الإنسان ، تلك الحقوق التي لم تعلن في بريطانيا إلا سنة ١٢١٥م[٢] (الماجنا كارتا) ، والتي أعلن عنها في فرنسا سنة ١٧٩٨م ، وفي الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥م. في حين ان الإسلام قد قررها وأعلن عنها منذ أربعة عشر قرناً . قررها في القرآن الكريم ، في عشرات من الآيات الكريمة منها :

---

(١) علي شحاتة ، الرق بيننا وبين اميركا ، دار الفكر الإسلامي ، دمشق ١٩٥٨ ، ص ٧٩ .
(٢) جيمس دورتي ، الماجنا كارتا ، ترجمة مصطفى حبيب ، الانجلو ، د. ت. ، ص ١٢٤ .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم[1] » .

وقررها في عشرات من الأحاديث النبوية الشريفة آخرها ما كان في خطبة الوداع :

« أيها الناس إنما المؤمنون اخوة ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى » .

وقررها الإسلام في التطبيق العملي لشريعته الغراء ، التي سار على هديها الصحابة والتابعون والخلفاء الراشدون وآلاف بعدهم من القادة والحكام المسلمين العادلين ، الذين كانت وما زالت ، تتردد في أسماعهم أصداء صيحة ابن الخطاب في وجه ابن العاص :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا »[2] .

وطعن المستشرقون والمبشرون بنظرة الإسلام إلى المرأة . وادعوا ان الإسلام لا يساويها بالرجل ويظلمها ويحتقرها ولا يورثها كما يورث الرجل ... وهي افتراءات يهودية صليبية بعيدة عن الحق والصواب . لأن الإسلام أعز المرأة وأكرمها وحماها وصان شرفها وأشركها في المشورة السياسية وفي الجهاد ، وأنقذها منذ طفولتها من عادة الوأد التي كان العرب يقدمون عليها نتيجة فقرهم وخشية ان تباع فتياتهم لليهود المرابين ، فيجبروهن على البغاء. وأعداء الإسلام الحاقدون يوجهون النقد للإسلام ، مع أن الأديان الأخرى والتطبيق العملي لها في مدنيتهم الفاجرة ، قد جعل المرأة سلعة رخيصة يتصرف بها اليهود في اوروبا واميركا ، ويتاجرون بها ، ويحرمونها نعمة الاستقرار والسعادة الزوجية كما هو الحال عند المرأة المسلمة . ويكفي ان رسول الله (ﷺ) قد أوصى بالمرأة في حجة الوداع حين قال :

« ان لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، واستوصوا بالنساء خيراً

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) محمد حسنين هيكل ، الفاروق عمر ، مطبعة مصر ١٣٦٤ هـ ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

انهن لا يملكن لانفسهن شيئاً وانكم إنما أخذتموهن بأمانة الله[1] ».

هذا بالنسبة للمرأة كزوجة ، أما بالنسبة لها كأم ، فيكفي انه عليه السلام قد جعل الجنة تحت أقدامها . ووصايا القرآن الكريم بالأم تجعل منها قديسةطاهرة مطهرة . وبالنسبة لها كابنة ، فإن المسلم يفتدي ابنته بروحه ودمه ، ويحافظ عليها ويؤمن مستقبلها ، ويظل يعطف عليها إلى أن تموت . بينما هي في اوروبا واميركا تائهة حائرة كادحة ، منحوها الحرية المدمرة ، فحطمت شخصيتها ، وضيعت شرفها ، وخرجت عن سلطان والديها في سن مبكرة ، وانفصمت عرى المودة والحنان بينها وبين أهلها ، وغدت قطعة صماء في الخضم المادي الخانق الذي يسمونه « المدنية » .

وحكاية الميراث والطعن فيها عجيبة حقاً لا تصدر إلا عن صفاقة اليهود وشركائهم المبشرين المستشرقين . فالإسلام الذي يجعل الرجل مسؤولا عنها فتاة وزوجة وأماً واختاً وعانساً ومطلقة وعجوزاً ، قضت حكمته العادلة ان يجعل للذكر في بعض الميراث مثل حظ الانثيين . ثم كيف يطعن الأعداء الغربيون في هذه المسألة ، في حين ان المرأة عندهم لا ترث إلا بالوصية ؟ ذلك لأنهم يعيشون على نظام الوصية ويقسمون الأموال قسمة ضيزى ، فيعطون أكبر الأنجال كل المال ويتركون الباقي تحت رحمته . وتكون النتيجة استئثار البكر بالمال ، ويهيم الباقون من اخوته واخواته على وجوههم . وهذه الحالة يراها أعداء الإسلام عدلا فلا يكتبون عنها ولا يناقشونها أو يطعنون فيها كما يفعلون بالنسبة للإسلام[2] .

٢ ـ التعليم والطب :

لجأت الهيئات الاستشراقية التبشيرية إلى تسخير التعليم الكاذب والطب المخادع لنشر تعاليمها الفاسدة . واستغل المستشرقون الهالة العلمية الزائفة التي أضفاها عليهم عملهم . فعقدوا الندوات العلمية والمحاضرات وأصدروا النشرات والكتب التي ملأوها بالسموم والمطاعن على الإسلام وتاريخ الإسلام . وكانت الدول

(١) سنن الترمذي ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ ، مطبعة الأندلس ، حمص ، ١٣٨٦ هـ .
(٢) المراوي ، ص ١٠٠ .

الاستعمارية وما زالت سنداً قوياً لهذا الجانب من الحرب ضد الإسلام . فأغدقت على عمليات الاستشراق ، وأفسحت للمستشرقين مكان الصدارة في جامعات أوروبا واميركا . وأصبح المستشرقون من اليهود خاصة اساتذة الكراسي الجامعية للتاريخ الإسلامي في أغلب جامعات أوروبا واميركا . وليتصورن القارىء مبلغ الانصاف الذي يلقاه الإسلام ، حين يكون المسؤولون عن تدريسه هم ألد أعدائه. ولم يكتف المستشرقون باحتكار تدريس الإسلام في جامعاتهم ، وإنما اشرفوا بدهاء ومكر على تخريج أعداد كبيرة من العرب المسلمين الذين أخذوا عنهم العلم ، وحملوا الشهادات الجامعية العليا ، ثم عادوا إلى أوطانهم صوراً شائهة عن المستشرقين ، إلا أنهم أكثر خطورة منهم . ذلك لأن المستشرق مكشوف ليس من السهل أن يوزع بضاعته بأمان واطمئنان ، في حين ان العربي المسلم من تلاميذ المستشرقين قادر على خداع بني قومه ، وبالتالي ينشر سمومه وأفكاره وبضاعته دون رقابة صادقة واعية كما يفعل اليوم تلاميذهم من العرب والمسلمين من أمثال الدكتور نديم البيطار والدكتور صادق العظم وأدونيس وأنسي الحاج وغيرهم من يحملون الراية نيابة عن اساتذتهم المستشرقين والمبشرين من حيث يدرون أو لا يدرون . ودأب المستشرقون على استغلال طلبة العلم المسلمين وطموحهم إلى نيل الشهادات العلمية من جامعات أوروبا وامريكا . فسهلوا لهم المهمة وتقاضوا الثمن باهظاً ، حين كان المستشرقون أساتذة الكراسي المشرفين على الطلبة يوجهون طلبتهم إلى تقديم بحوث تعرض بشكل أو بآخر بالقرآن الكريم وبالتاريخ الإسلامي والآداب الإسلامية واللغة العربية .

وفي السنوات الأخيرة كان المستشرقون يشجعون طلبتهم في جامعات أوروبا واميركا على تقديم أبحاثهم عن اللهجات العامية في البلاد العربية . ولم تعد مساعي المبشرين والمستشرقين اليهود لتفتيت اللغة العربية خافية على أحد . فقد دأبوا على اذاعة الأراجيف الباطلة حول اللغة الفصحى وقدرتها على الحياة لاداء متطلبات العصر الحديث في العلوم والفنون . وهم يهولون دائماً في صعوبة النحو وعسره وصعوبة الحرف العربي الجميل محاولين استبداله بالحرف اللاتيني . وشهدت مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر معركة عنيفة قادها عملاء اليهودية العالمية من أمثال ولكوكس وباول ويعقوب بن صنوع (يهودي) لمحاربة الفصحى

والترويج للعامية[1] . وساعدهم في الحرب ضد العربية الفصحى نفر من أقطاب الفكر فيمصر وسورية منهم: اسكندر المعلوف، سلامة موسى، عبد العزيز فهمي، لطفي السيد، سعيد عقل، انيس فريحه، الخوري مارون غصن[2]. وكان أخطرهم جميعاً عبد العزيز فهمي باشا الذي لم يكتف بالدعوة إلى العامية، بل طالب بتغيير الحرف العربي واستعمال الحرف اللاتيني اسوة بما فعله اتاتورك في تركيا[3] ودعاة العامية من الغرب يهدفون بالدرجة الأولى إلى هدم المقوم الأول للأمة العربية وللقومية العربية وللوحدة العربية وهو اللغة العربية الفصحى التي يفهمها العربي من المحيط إلى الخليج ، في حين أن العامية تقتصر على قطر دون قطر ، بل على مديرية دون مديرية . ويهدفون كذلك إلى القضاء على لغة القرآن الكريم وجعل كتاب الله أثراً تاريخياً قديماً مثل الكتب اللاتينية المحفوظة في المتاحف. وهم يعلمون بأن القضاء على الحرف العربي يؤدي إلى هدم التراث العربي الإسلامي الخالد . وفصله عن حاضر الأمة العربية ومستقبلها ، وفي ذلك ضياع رهيب لمقومات الأمة حين يبتر ماضيها عن حاضرها ومستقبلها . لمثل هذا يعمل المبشرون والمستشرقون من اليهود ولا لوم عليهم في ذلك . واللوم كل اللوم على اولئك العرب الذين انساقوا في التيار الذي كان وما زال يسعى إلى اجتياح الأصول العربية التي تشكل عناصر البقاء والخلود لهذه الأمة[4] .

أما هيئات التبشير فقد وجدت في التعليم أساساً متيناً لانجاح رسالتها في نشر المسيحية وتعاليم الانجيل في قلب ديار الإسلام . ففتحوا المدارس التبشيرية في جميع البلاد العربية ، وزودوها بالقسس والرهبان الخبراء بنفسية الشرق العربي. واهتموا بتعليم أطفال المسلمين محاولين التأثير على فطرتهم قبل ان تنمو عقولهم ويتشبعوا بالتعاليم الإسلامية . وعمدوا كذلك إلى ارسال أبناء المسلمين في بعثات

---

(١) دكتور صلاح الدين عبد الوهاب ، دراسات في المجتمع العربي ، دار النشر والاعلان ، ١٩٦٢ .

(٢) دكتوره نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ص ٥٥ ، ٧٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٤ ، ١٤٥ .

(٤) عمر فروخ ، القومية الفصحى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١ ، ص ١٧٩ .

تعليمية إلى مدارسهم وجامعاتهم خارج بلاد العرب ، لينهلوا من الثقافة المسمومة ويعودوا إلى أوطانهم وقد ودعوا هناك دينهم وأخلاقهم ومبادئهم الإسلامية[1].

واقدم معاقل التبشير في الوطن العربي الكلية السورية الانجيلية التي أسستها هيئات التبشير البروتستانتية في بيروت عام ١٨٦٢م وهي الجامعة الاميركية في بيروت اليوم . وكان أول رئيس لها المبشر دانيال بلس (يهودي) . ومن بعدها أسست كلية روبرت الاميركية في استانبول والجامعة الاميركية في مصر والفرنسية في لاهور[2] . واغرقت هيئات التبشير الكاثوليكي والبروتستانتي بلاد العرب والمسلمين من طنجة إلى الملايو وجاوه ، بالمدارس التبشيرية التي تسندها الدول الاستعمارية المسيحية . واقترنت عملية نشر التعليم الديني المسيحي بالضغط على التعليم الديني الإسلامي في كل بلد ابتلي بالاستعمار . واشرف المبشرون على التعليم الرسمي في البلاد العربية الإسلامية . وما زلت أذكر ان رئيس التعليم في فلسطين كان مبشراً بريطانيا اسمه بومن من أصل يهودي . وكذلك مدير التعليم في مصر ابان الاحتلال هو دنلوب المبشر الذي نزع ثياب الكهنوت امعاناً في الخداع والتضليل . ووضع دنلوب وأمثاله من أساطين التبشير برامج التعليم العربي في المدارس والجامعات العربية من المغرب العربي حتى جاوه في الشرق ، مستهدفين مسخ التعليم الديني وفصل الدين عن الحياة ، ومحاربة المدارس والجامعات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف . وصبغ التعليم في الوطن العربي بالصبغة الغربية الباهتة . وأصبح تاريخ بريطانيا وفرنسا واميركا ينال من الحصص الدراسية أكثر من تاريخ العروبة والإسلام . وتساوت حصص اللغة الأجنبية بحصص اللغة العربية . وتقلصت حصص الدروس الدينية إلى شيء رمزي لا يسمن ولا يغني من جوع . وصدق رأي المبشر تكلي الذي قال : « يجب أن نشجع انشاء المدارس وان نشجع على الاخص التعليم الغربي . ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية ، ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً »[3].

---

(١) الصواف ، ٢٠ .

(٢) التبشير والاستعمار ، ص ٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ٨٨ .

ولا تخفي المدارس والجامعات التبشيرية أغراضها التبشيرية ، ومحاولاتها استغلال كل الدروس بما في ذلك العلوم والتاريخ ، في سبيل تأويلها نصرانياً من أجل ادخال التعاليم المسيحية في نفوس الطلاب . وكان يفرض على الطلبة المسلمين دخول الكنائس الملحقة بالجامعات والمدارس التبشيرية . واحتج الطلبة المسلمون عام ١٩٠٩ على اجبارهم على الدخول إلى الكنيسة في كلية بيروت الاميركية ، فاجتمع مجلس الجامعة وأصدر منشوراً جاء في مادته الرابعة ما يلي :

« هذه الكلية مسيحية ، اسست بأموال شعب مسيحي . هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية ، وهم انشأوا المستشفى وجهزوه . كل هذا فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الانجيل من مواده ، فتعرض بمنافع الدين المسيحي على كل تلميذ ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ... وكل طالب يدخل موسستنا يجب ان يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه[1] ».

وهي صفاقة يهودية مشبعة بتعاليم التلمود . ومن يرى الجامعة الاميركية اليوم يجدها مستعمرة تحتل أجمل وأخطر مكان في بيروت وقيمتها لا تقدر بمال ، مع أنهم اشتروها كما يدعون بعشرات الجنيهات أو مئات الدولارات ...

ولم تهمل هيئات التبشير البنات المسلمات . فأسست لهن مدارس تبشيرية خاصة في بلدان عربية واسلامية كثيرة . وقال المبشر « جسب » مرة بأن مدارس البنات في بلاد الشام هي بؤبؤ عينه . وهو صادق في قوله ، لأن الفتاة هي التي تتولى تربية الأطفال حين تصبح مدرسة أو مربية أو أماً . والفتاة التي تنشأ على الثقافة الغربية التبشيرية تغدو خطراً ماحقاً على أطفال المسلمين الذين تبث فيهم روح المسيحية الغربية بما فيها من ضغائن وأحقاد على الإسلام والمسلمين[2] .

وحين نشير إلى خطر التبشير على بنات المسلمين ، لا نبني تخوفنا على أوهام أو دعاية ، وإنما عن واقع لمسناه وما زلنا نلمسه كل يوم . وعندي خير دليل على نوايا التعليم التبشيري وخطره على فتياتنا ، وهو ما حدث في مدرسة بنات نابلس احدى مدن الضفة الغربية من الأردن . ومدرسة بنات نابلس الأهلية تشرف عليها هيئة تبشيرية وتدار بأموال الفاتيكان. ونسبة الفتيات المسلمات فيها ٩٧٪ .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) الصواف ، ص ٢٩١ .

وما حدث في تلك المدرسة ، هو تهجم احدى المدرسات على الإسلام وعادات المسلمين مثل دفن الموتى بالاكفان الرخيصة وعدم وضعهم في توابيت ثمينة ، وان الرسول (ﷺ) كان راعياً مزواجاً شهوانياً لم يتعلم ولم يفعل شيئاً يستحق الذكر باستثناء ما اقتبسه من اليهودية والمسيحية ... إلى ما هنالك من طعن مدروس على أيدي المبشرين والمستشرقين واليهود . وثارت الحمية في نفس احدى الطالبات فذهبت إلى والدها باكية ، وقصت عليه ما حدث من المدرسة الراهبة . فذهب الوالد مع ابنته إلى الشيخ مشهور الضامن مفتي نابلس وقص عليه ما حدث . فرفع الشيخ مشهور مذكرة إلى قاضي القضاة منبهاً إلى أخطار التعليم الأهلي الحر الذي تديره هيئات التبشير لمحاربة الإسلام في عقر دار الإسلام . وأوضح التقرير خطورة التغلغل التبشيري في كل من عمان والقدس ومدن الأردن الأخرى . وطالب باشراف الحكومة على التعليم الحر ، وفرض الأنظمة الإسلامية على التعليم في بلاد المسلمين وخاصة الأردن محط آمال الصليبية واليهودية العالمية[1] .

ويستغل التبشير آلام الناس في تحقيق مآربه . فقد دأبت هيئات التبشير منذ أوائل القرن العشرين على الاكثار من الارساليات الطبية التي هدفها الأول التبشير . والطبقة الفقيرة الجاهلة هي التي تهرع عادة إلى عيادات الارساليات الطبية المجانية ظانة أنها تؤدي عملا انسانياً ، بينما الحقيقة تصرخ بأن العمل الإنساني معدوم عند المبشرين ومن يعمل معهم من أطباء وممرضات ، لأنهم يحققون أهدافهم بالمكر والكذب والرياء . وقد صرح دكتور مبشر هو اراهارس رئيس ارسالية التبشير في طرابلس الشام سابقاً ، بأنه يجب على طبيب الارسالية ان لا ينسى ولا في لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك[2] .

والفائدة الكبرى في نظر المبشرين تعود عليهم من احتكاك الاطباء والممرضات بالمرضى وهم في آلامهم مستعدين نفسياً لتقبل الحديث عن الانجيل ويسوع الفادي ، رداً لجميل الأطباء والممرضات وعطفهم المزيف . ومن هنا قال الطبيب بول هاريسون في كتابه « الطبيب في بلاد العرب » ص ٢٧٧ : [3]

(١) الصواف، ص ٣١٢ – ٣١٤ .
(٢) الغارة، ص ٣٧ .
(٣) زيد الفياض ، نظرات في الشريعة ، الرياض ، ١٣٨١ – ١٩٦١ ، ص ١٦٩ .

« ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى عمان بأسرها . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى . ولا ريب في أن الطبيب يستطيع ان يصل إلى جميع طبقات الناس حتى اولئك الذين لا يختلطون بغيرهم » .

وحين ترى هيئات التبشير فائدة من وراء انشاء مستشفى ، فانها تقيمه في منطقة حساسة تجني من ورائه الفائدة التي اقيم من أجلها . فمستشفى الهرمل التبشيري الذي بني في القاهرة اختير له مكان مجاور لمستشفى القصر العيني الذي تسير الأمور فيه بحسب الروتين الحكومي المنفر . كما ان امكانيات مستشفى القصر العيني محدودة والعناية فيه سيئة ، والمرضى مكدسون في عنابر يقوم على خدمتها ممرضون وممرضات لا يتحلون بصفات لا بد من توفرها فيمن يقومون بأعمال التمريض . وحين يواجه المرضى المسلمون المعاملة السيئة في القصر العيني يتوجهون في مرارة وخور وضعف إلى مستشفى الهرمل ، حيث يجدون الابتسامات والتحايا التي تنسيهم آلام المرض وما لاقوه في القصر العيني . وهنا تتم اللعبة التبشيرية ويبدأ النشاط السافر في اسلوب انساني رقيق ... وتوزع الاناجيل الصغيرة ، والنشرات المبسطة، وتؤخذ العناوين ليواصل اطباء المستشفى وممرضاته الاتصال بالمرضى البؤساء[1] ...

ولا يخفي المبشرون اهتمامهم بالمستشفيات والمستوصفات ، واستخدامها في تنفيذ خططهم التبشيرية . فقد ذكرت المبشرة الوقحة ايرا هاريس تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية :

« يجب ان تنتهز كل فرصة للوصول إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالانجيل . اياك ان تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فانه أثمن تلك الفرص على الاطلاق . وحين يحاول الشيطان ان يفتنك ويقول لك ، ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه[2] » .

٣ ــ المؤتمرات التبشيرية :

لجأت الهيئات التبشيرية إلى عقد مؤتمرات تضم رؤساء الارساليات المنتشرة

(١) ابراهيم خليل أحمد ، ص ٥٥ .
(٢) التبشير والاستعمار ، ص ٦٢ .

في ديار الإسلام . وفي تلك المؤتمرات يتداولون فيما تم من أعمال خلال السنوات التي سبقت انعقاد كل مؤتمر ، وفي النجاح الذي تحقق والفشل ودوافعه وعوامله. ويضعون الخطط على ضوء الدراسات والانجازات التي تمت في مختلف المناطق . ومن أهم المؤتمرات التي عقدوها وتدارسوا فيها مناهج أعمالهم[1] :

١ — مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ .
٢ — مؤتمر ادنبره عام ١٩١٠ .
٣ — مؤتمر بيروت عام ١٩١١ .
٤ — مؤتمر لكنو في الهند عام ١٩١١ .
٥ — مؤتمر القدس عام ١٩٢٤ .
٦ — مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ .
٧ — مؤتمر دلهي في الهند عام ١٩٦١ .

وقد بحثت هذه المؤتمرات التبشيرية التي كان يرأسها جميعاً صموئيل زويمر اليهودي ، في وسائل تنصير المسلمين ووسائل زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوسهم ودفعهم إلى الكفر والالحاد . وبحثوا أساليب التعليم العلماني الحكومي الذي فرضه الاستعمار على البلاد العربية الإسلامية . وشكوا من الأزهر والاعداد التي يخرجها سنوياً ويدفع بها إلى افريقيا للدعوة للاسلام . وطالبوا في مؤتمر القاهرة (١٩٠٦) بوجوب انشاء مدرسة جامعة نصرانية لمزاحمة الأزهر الذي يتهدد كنيسة المسيح بالخطر[2] . ويبدو ان القوى الاستعمارية التبشيرية اكتفت فيما بعد بانشاء الجامعة المصرية لتتولى نشر التعليم العلماني ومناهضة الأزهر .

وفي مؤتمر ادنبره عاصمة اسكتلنده (١٩١٠) ، كشف النقاب عن النفقات الهائلة التي يتم انفاقها كل سنة . ومنها مليونان ومائة ألف جنيه انجليزي تنفقها ارساليات التبشير الانجليزية والارلندية في السنة . ومليونان تنفقها جمعيات التبشير الاميركية والكندية . وثلاثمائة ألف تنفقها جمعيات التبشير الاسترالية والافريقية والآسيوية . وسبعمائة ألف تنفقها جمعيات التبشير البروتستانتية في باقي أنحاء

---

(١) ابراهيم خليل أحمد ، ص ٧٥ .
(٢) الغارة ، ص ٣٤ .

أوروبا[1] . ولا ينسى القارىء ان هذه المبالغ الضخمة قد انفقت عام ١٩٠٩ وهي في تقدير اليوم تزيد على ٥٠ مليوناً .

وبحث مؤتمر ادنبره في أحوال جيش المبشرين الذي بلغ عدده ٩٨,٣٨٨ مبشراً تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها خمسة ملايين ونصف مليون شخص . وعدد موزعي التوراة الذين يشتركون في أعمال التبشير ٩٢,٩١٣ . وعدد المعاهد الكنسية ١٦,٦٧١ وعدد ارساليات التبشير ٣,٤٧٨ في الدرجة الأولى و ٣٢ ألفاً في الدرجة الثانية . وكشفت تقارير المؤتمر عن المبالغ الكبيرة التي ترد على صناديق التبشير ، وقد بلغت ١٥٤ مليون فرنك في عام واحد[2] .

وليتأكد القارىء ان التبشير والاستعمار شيء واحد ، نذكر ان اللورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم ، كان رئيساً للجنة السابعة في مؤتمر ادنبره . وهذه اللجنة مسؤولة عن بحث العلاقات بين الحكومات الاستعمارية وارساليات التبشير وما تجده من عقبات ومتاعب . وان بلفور هذا أعلن في نتيجة ابحاث اللجنة « ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها ان تقاوم كثيراً من العقبات . وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين[3] » .

واهتم المبشرون في مؤتمراتهم الدولية كلها بتعقب انتشار الإسلام في بلاد العالم . وقدموا احصاء لعدد المسلمين في آسيا وافريقيا . ودرسوا عوامل انتشار الإسلام وتزايد عدد المسلمين مع أنهم لا ينظمون عملا تبشيرياً راقياً كذلك الذي تنظمه الدول الغربية . وأبدى المؤتمرون شديد انزعاجهم لزحف الإسلام في أفريقيا خاصة ، ومقدرة الإسلام على ازالة الهوة التي تفصل بينه وبين السود في افريقيا. وكشفت تقارير المبشرين عن اخطائهم حين كانوا يظنون ان بلداً خال من المسلمين ثم تتكشف الحقيقة عن تغلغل المسلمين في ذلك البلد بشكل مذهل . وأجمع المبشرون المتحدثون في تلك المؤتمرات على ان العدو الأول لانتشار المسيحية هو المسلم . ومن هنا انصبت أفكارهم وسياستهم وخططهم على التبشير

---

(١) الغارة ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

بين المسلمين قبل الوثنيين ، ان جمعيات التبشير لا تعنى بمئات الملايين من الوثنيين والبوذيين والهنادكة عنايتها بزحزحة المسلمين عن دينهم . ذلك لأنها تعتقد وهي على حق في اعتقادها ان تلك الأديان ميتة لا خطر منها . والخطر كل الخطر يكمن في الإسلام .

وقد شجعت تقارير المبشرين التي قدمت لمؤتمراتهم ، التعليم العلماني والدعوة القومية لتحل محل الدعوة الدينية . وطالبوا بنشر التعليم الغربي لأنه وسيلة تنحل بها عرى الروابط الإسلامية[1] . وتنادوا بتأييد البدع والخرافات والحركات الدينية التي خلقها الاستعمار وعلى الأخص البابية[2] .

على ان أخطر ما صدر عن تلك المؤتمرات من بيانات صريحة ، هو ذلك الخطاب الذي ألقاه زويمر أثناء انعقاد مؤتمر القدس (١٩٣٥) ، رداً على ما أبداه المبشرون من قلق لانتشار الإسلام رغم كل الجهود التي يبذلونها لمحاربته. ورداً على روح اليأس التي كانت مخيمة على المؤتمرين . ونظراً لخطورة ذلك البيان فاني أورده كاملاً في الملحق رقم (٢) ...[3]

وأعجب العجب ان يعلم القارىء بأن صموئيل زويمر هذا ، الذي كان يرأس مؤتمرات التبشير من ادنبره في أقصى الغرب إلى لكنو في أقصى الشرق ، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢ ، قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه ، وذلك بأن طلب حاخاماً يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره . وقد أخبرني راهب من أصدقائي أيام معركة القدس ، ان الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل ، ولا تبوح به ، حتى لا تنكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية ، وحتى لا يظهر اخفاق جمعيات التبشير التي تبذل الملايين عبثاً ، وتنخدع بمكر اليهود وخططهم الخبيثة لبث الفتن والبغضاء بين الإسلام والمسيحية .

٤ — الكتب والصحف والنشرات :

دأب المستشرقون والمبشرون على بث دعايتهم المضللة ضد الإسلام ونبي

(١) المرجع نفسه ، ص ٩١ ، ١٢١ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٥ .
(٣) مجلة العرب ، كراتشي ، ١٣٨٢ هـ ، فتوى ونداء علماء بغداد ، ١٣٧٥ هـ .

الإسلام ، عن طريق الكتب والصحف والمجلات والنشرات التبشيرية التي لا تنقطع . ولقد أوجز اللورد هيدلي الذي هداه الله للاسلام ، ما تضمنته بعض كتب التبشير ونشراته ، من شتائم وافتراءات على الرسول ﷺ وعلى المسلمين بوجه عام . وكلها تدور حول شهوانية الرسول ﷺ وزوجاته والقرآن والحديث وخطايا المسلمين التي لم تغفر ولن تغفر طالما كانوا بعيدين عن المسيح الفادي ... وألفاظ الشتائم بشعة لا يطاوعني القلم على ذكرها رغم ان ناقل الكفر ليس بكافر . ويكفي ان أذكر بأن روح تلك البذاءات لم تصدر عن الانجيل ، وإنما هي مستوحاة من روح توراة اليهود وتلمودهم وتعاليمهم الاجرامية . إنها أقلام اليهود الذين يتسترون بلباس الكهنوت المسيحي ، ويجدون مجالا فسيحاً للنيل من الإسلام ونبي الإسلام[1] .

ومن أشهر الكتب التي أصدرتها الهيئات التبشيرية والاستشراقية للطعن في الإسلام :

دائرة المعارف الإسلامية التي وضعت بأقلام المستشرقين والمبشرين من اليهود . دائرة المعارف البريطانية واختها الفرنسية (الأقسام المتصلة بالإسلام والرسول الكريم) . حياة محمد للسير وليام موير . الإسلام لالفريد جيوم . الإسلام لهنري لامانس . الإسلام لزويمر . كتاب الهداية (أربعة أجزاء) . ميزان الحق . مصادر الإسلام تأليف سنتكلير وتسدل . المسيحية في الإسلام لابراهيم لوقا[2] .

وتغمر الهيئات التبشيرية اليوم أفريقيا بالكتب والنشرات التي تهاجم الإسلام والمسلمين . ولا يخلو بلد افريقي من ركائز تبشيرية تتولى توزيع الكتب والنشرات بلغات متعددة . وآخر حركة تبشيرية هي جماعة « الويشتارو » التي تأسست في الصومال العربي المسلم ، بمساعدة اليهود الذين يمدونها بالمال ويوزعون نشراتها المخربة[3] . ومعلوم ان ٩٨٪ من الصوماليين عرب مسلمون ، ومع ذلك تحاول

---

(١) اللورد هيدلي (سيف الرحمن رحمة الله فاروق)، ايقاظ الغرب للاسلام، تعريب اسماعيل بارودي ، الإسكندرية ١٩٢٢ ، ص ٩٤ — ١٠٠ .

(٢) ابراهيم خليل أحمد ، ص ٥٨ ، ٧٧ .

(٣) الشبان المسلمون ، جمادى الأولى ١٣٨١ — نوفمبر ١٩٦١ .

الأصابع اليهودية ان تبث الفتن في هذا البلد الطاهر الذي نجا حتى اليوم من اخطبوط اليهودية العالمية . وتوالي الهيئات التبشيرية نشر الابحاث عن الإسلام وخطره الزاحف في أفريقيا ، وتهيب تلك الابحاث بالدول الاستعمارية ان تهب لنجدة المسيحية المهددة في افريقيا ، وتنبه من خطر صبغ افريقيا بالصبغة الإسلامية بعد ان تضاعف عدد المسلمين في مدى ثلاثين سنة[1]. ويبدو ان حمى القلق والحقد على الإسلام ، تعمي أبصار المبشرين وعملائهم ، فلا يرون ان افريقيا قد غدت فعلا القارة المسلمة . ذلك لأن أكثر من نصف عدد سكانها من المسلمين فقد بلغ عدد سكان افريقيا اليوم ٢٦٠ مليوناً منهم ١٥٠ مليوناً من المسلمين[2] . وبحسب النظام الديمقراطي الذي يدعيه الغرب المستعمر ، فإن أي بلد يحكم برأي أكثرية فئاته . ومن هنا وجب ان نعتبر قارة افريقيا مسلمة ، ويحق لنا ان نسميها بالقارة المسلمة بدلا عن القارة السوداء .

أما صحافة التبشير في ديار الإسلام ، فقد ركزت جهودها على نشر الفساد والخلاعة بين شباب المسلمين عن طريق المقالات الاباحية والكتب الجنسية والمجلات الخليعة التي تبث سموم الثقافة اليهودية المدمرة . وشجعت على تعاطي المسكرات والمخدرات . واشرفت على ما تسميه بالفن ، وغذته ودافعت عنه باسم الحرية ، مع كونه لا يمت إلى الفن بصلة . فهو ليس إلا دعارة رسمية سافرة تحتمي بكلمتي الفن والحرية الزائفتين . وقادت صحافة التبشير كذلك معارك الهجوم على الحضارة الإسلامية ونادت باحياء الحضارات الميتة مثل الفينيقية والفرعونية والآشورية . ونادت بالقومية العربية الملحدة المجردة عن الإسلام . فمنذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، أوجدت طلائع المستعمرين والمبشرين فكرة القومية العربية العلمانية ، ودعت إلى فصل العروبة عن الإسلام . وسوف أتحدث عن هذه النقطة من خطط التبشير والاستعمار في مكان آخر من هذا البحث .

وعاضدت صحافة التبشير الحركات الهدامة كالماسونية والشيوعية والقاديانية والبهائية ، وكلها حركات تهدف إلى هدم الإسلام واخراج المسلمين من دينهم .

---

(١) نهضة افريقيا ، ديسمبر ١٩٥٩ .

(٢) الندوة ، مكة المكرمة ، ٢٢ محرم ١٣٨٦ - ١٢ مايو ١٩٦٦ .

٥ ـ كلمة انصاف وحق :

لا يصح ان نختم هذا الفصل عن الاستشراق والتبشير كسلاحين رهيبين للغزو الفكري ، دون أن نذكر فضل بعض المستشرقين والمؤرخين ورجال الدين المسيحي والفلاسفة من الغرب ، ممن حكموا ضمائرهم ، ولم يتبعوا الهوى وتجرفهم الاحقاد الصليبية ، ولم يخضعوا للارهاب اليهودي ، أو تغريهم الصهيونية بأساليبها الكثيرة . فقالوا كلمة الحق بالنسبة للاسلام والرسول الكريم والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . ولا بد ان نشير إلى تلك الكلمات ونقتبس عنها ، ليقرأ شبابنا « التقدمي » آراء بعض المنصفين الغربيين الذين يشيدون بالإسلام بينما يحاربه أبناؤه « التقدميون » ويتنكرون له. والشهادة من الغربيين مقبولة عند هؤلاء التقدميين الذين يؤمنون بكل ما هو غربي ، ويزدرون كل ما هو عربي اسلامي ، ويتقبلون كل وارد من الغرب دون ان يتثبتوا ما إذا كان الوارد من الثقافة الغربية « يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فعل المصل المجدد للقوى أو فعل السم[1] » .

قال توماس كارليل الفيلسوف الانجليزي في كتابه « الأبطال » رداً على تهمة الكذب التي يوجهها المستشرقون والمبشرون للإسلام ونبي الإسلام :

« من العار ان يصغي انسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين ان دين الإسلام كذب ، وان محمداً لم يكن على حق . لقد آن لنا ان نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة . فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول ان تكون هذه الرسالة عاشت عليها هذه الملايين وماتت، اكذوبة كاذب؟ أو خديعة مخادع ؟... هل رأيتم رجلا كاذباً يستطيع ان يخلق ديناً ، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع ان يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد . فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين العديدة من الناس ؟ وعلى ذلك فمن الخطأ ان نعد محمداً رجلا كاذباً متصنعاً ،

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق ، ١٦ .

متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع ... وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1] » .

وقال الاستاذ سديو أحد اعضاء جمعية العلماء الفرنسية في تاريخه :

« وبعد ظهور النبي ﷺ الذي جمع قبائل العرب أمة واحدة تقصد مقصداً واحداً ، ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر تاج في اسبانيا إلى نهر الجانج في الهند ، ورفعت أعلام التمدين في أقطار الأرض أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة . وكان المسلمون مختصين بالعلوم بين سائر الأمم وانقشعت بسببهم سحائب البربرية التي امتدت على أوروبا حين اختل نظامها بفتوحات المتوحشين ، ورجعوا إلى الفحص عن ينابيع العلوم القديمة واجتهدوا في توسيع دوائرها وفتحوا طرقاً جديدة لتأمل العقول في عجائبها » . ثم استشهد سديو بقول اسكندر همبولد ، بأن العرب خلقهم الله ليكونوا واسطة تمدين الأمم بواسطة الإسلام الذي أثر في الدنياتأثيراً لا مثيل له ، وحق لهم ان يفخروا بأنهم كانوا اساتذة أوروبا النصرانية ، بما صنفوه واخترعوه من علوم كانت أساس مدنية الغرب الحالية[2] .

وهاجم الاستاذ ادوارد ميد ايرل ، أحد اساتذة التاريخ في جامعة كولومبية في الولايات المتحدة ، المبشرين الذين يغالون في عدائهم للاسلام والمسلمين وينقلون صورة مشوهة عن الشرق الإسلامي لتضليل الرأي العام الاميركي . ومما قاله في مجلة العالم الإسلامي :

« هناك وجه واحد في هذا الموضوع يجب ألا يهمل بحال من الأحوال هو ان الرأي العام الاميركي ، فيما يتعلق بالشرق ، قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل . فإذا كان الرأي العام الاميركي قد طويت عنه بعض المعلومات أو غذي بمعلومات خاطئة أو دفع إلى موقف عدائي ، فإن المبشرين هم الملومون في أكثر ذلك . لأن النظر إلى التاريخ على أساس نشر النصرانية قد حمل المبشرين على ان يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة أو ساخرة في بعض

---

(1) الإسلام بين الانصاف والجحود ، ص ١٢٩ .

(2) هانوتو ، ص ٦٠ .

الأحيان للمسلمين وللإسلام[1] » .

وتحدث المؤرخ الهولندي رينهاردت دوزي في كتابه « نظرات في تاريخ الإسلام » ، عن الإسلام وفتوحاته الخارقة وسماحته في معاملة غير المسلمين . وأشاد بتعاليم الإسلام المبنية على الاخاء والمحبة والعدل والكرامة والإنسانية ، ومما قاله[2] :

« بينما أهل أوروبا نائمون في ظلام الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوي من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك ، حيث كانت مدن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة للعلم والمعرفة . ومنها انتشرت العلوم والفنون والآداب بين الأمم التي استفادت منها على نطاق واسع ».

وقال اسحق تيلر رئيس الكنيسة الانجليزية ، بأن الإسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الإنسان ما لم يعلم ، وان منافع الدين الإسلامي جليلة لا ريب فيها ، وان فوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها[3] .

وقال العلامة الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب :

« وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض ، وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام . والإسلام وادراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم ، غالباً ، من المتناقضات والغوامض ، ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من اصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله[4] » .

وأشاد لوبون بعظمة النفوذ السياسي والمدني لدى الإسلام ، مما جعله في مدى قرن واحد ، ان يبسط سلطانه في دولة واحدة من اسبانيا غرباً إلى الهند شرقاً ، مع حضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع المدن التي خفقت فوقها راية محمد ﷺ .

---

(١) التبشير والاستعمار ، ص ٢٣ .

(٢) نظرات في الشريعة ، ص ٣٤ .

(٣) محمد أحمد باشميل ، صراع مع الباطل ، بيروت ١٣٨٠ — ١٩٦٠ ، ص ١٠٠ .

(٤) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، البابي الحلبي ، ص ١٢٥ .

أما جوهان فون جيته الشاعر الالماني (١٧٤٩–١٨٣٢) ، فقد قرأ القرآن الكريم ، وبعد ان انتهى من مطالعته قال :

« لو كان هذا هو الإسلام فإن كل مفكر في العالم مسلم ... ان هذه التعاليم لا تقصر على أن تؤدي رسالتها والغرض منها . ومع كل ما توافر لنا من أساليب ونظم فإننا لا نستطيع اللحاق بها[١] » .

وقال المستشرق الانجليزي جب :

« ما زال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتغالبين ، المتقابلين في دنيا الغرب فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الأوروبية وبين شيوعية روسيا ، فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوروبا وروسيا ... وليس هناك أية هيئة سوى الإسلام يمكن ان تنجح مثله نجاحاً باهراً في تأليف هذه الأجناس البشرية المتنافرة ، في جبهة واحدة أساسها العدل والمساواة . وإذا وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس ، فلا بد من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع[٢] » .

وهذا القول من مستشرق بريطاني كثيراً ما غمز على الإسلام وتاريخ المسلمين ، يكفي للرد على بعض « التقدميين » الذين يحسبون ان الإسلام عبارة عن علاقة العبد بربه ، وأنه لا علاقة له بالحياة والسياسة . ويؤيد جب في قوله ، المؤرخ الانجليزي ويلز صاحب كتاب « مجمل التاريخ » ، حيث يقول بأن الإسلام أفضل نظام اجتماعي سياسي يمكن ان يجيء به عصر من العصور[٣] .

و أشاد المؤرخ السير توماس ارنولد (١٧٩٥–١٨٤٧) ، في كتابه « الأجناس الغربية والعالم[٤] » . بالمظاهر البارزة في العالم الإسلامي ، مظاهر الشعور بالوحدة التي أبرزها بل أوجدها الإسلام ، متجاوزاً الحدود الجغرافية والنعرات القومية ومشاعر الانعزالية ، وهو ما لم يفعله دين من أديان العالم . كما أشاد بالحكمة

---

(١) مولانا محمد طيب الله ، الإسلام والسلام ، ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم ، الانجلو ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠ .

(٢) نظرات في الشريعة ، ص ٤٦ .

(٣) الإسلام والسلام ، ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

والفوائد الجمة التي تعود على المسلمين من الحج ، حيث يلتقي المسلم من المغرب العربي بالمسلم من جاوه والملايو والصين .

ولعل من أروع الشهادات التي أداها غير المسلمين في حق الإسلام، شهادة الباندیت جواهر لال نهرو في رسائله إلى ابنته حيث أبدى لها دهشته من هذا الشعب العربي الذي ظل منسياً أجيالا عديدة ، بعيداً عما يجري حوله ، ثم استيقظ فجأة وقام بنشاط عجيب أدهش العالم وقلبه رأساً على عقب . وقص نهرو على ابنته شيئاً من تاريخ العرب وانتشارهم في آسيا وأوروبا وأفريقيا ، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعالم، والتي تعد اعجوبة من أعاجيب التاريخ. ثم اعترف لابنته بأن الباعث على هذه اليقظة العربية هو الإسلام ، بما بثه في أتباعه من ثقة ونشاط عظيمين مضافاً إليهما رسالة الاخوة والعدل والمساواة بين جميع المسلمين . وقارن نهرو بين رسالة الإسلام هذه وبين النصرانية المنحلة ، ووصل إلى السر في تأثير رسالة الإسلام على جميع الشعوب التي وصل إليها العرب[1] . وما أروع كلمة برنارد شو الفيلسوف البريطاني ، حين رأى نار الحرب العالمية الثانية تأكل الأخضر واليابس :

« ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكله وهو يحتسي فنجاناً من القهوة[2] » .

وتحدثت الكاتبة الايطالية الدكتورة لورافيتشا فاليري ، في كتابها «محاسن الإسلام » ، عن معجزة الإسلام ، وكيف وحد بين قبائل العرب المزقة المتخاصمة ، وكيف أرسى في قلوب أتباعه أعمق الأسس ، مما جعلهم يحتفظون بحيوية الدين طوال أربعة عشر قرناً . وأشادت بعدالة الإسلام والمسلمين الفاتحين وتسامحهم ، الأمر الذي ساعد على دخول أقوام كثيرة من ديانات مختلفة في الإسلام . ونوهت بقوانين الحرب الإسلامية المبنية على الفروسية وعدم قتل الشيوخ والنساء والأطفال والأسرى[3] » .

وتحدث المؤرخ ويل ديورانت في مقدمة كتابه « قصة الحضارة » ، فأخذ

---

(١) صراع مع الباطل ، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) نظرات في الشريعة ، ص ٣٩ .

على الغرب تنكره لجميل الشرق المسلم ، الأمر الذي أدى إلى تخبط الغرب في أخطاء فاحشة ، أقلها تزييف التاريخ كأن يبدأ قصة التاريخ من اليونان ويضع عنها المجلدات ثم يكتفي بسطر واحد عن آسيا ... وأشاد ديورانت بعظمة محمد ﷺ الذي رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعبه العربي الذي ألقت به في دياجير الهمجية قسوة الجو وجدب الصحراء . ثم أشاد بالقرآن الكريم وتعاليمه الدينية السهلة البعيدة عن مراسيم الطقوس والكهنوتية المعقدة . وأوضح كيف أقام القرآن الكريم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية ، وحسن أحوال الارقاء ، ووضع أسس تحريرهم وحض عليها في مواضع كثيرة . ونوه كذلك بالتشريع الإسلامي الإنساني الرحيم ، وقدرة الدين الإسلامي على كبح جماح النفوس مما أوصل المسلمين إلى درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات ، لم يصل إليها أي شعب من الشعوب الأوروبية[1] .

وقال المستشرق النمسوي ليوبولد فايس ، ان الإسلام لم يعرف صراع الطبقات . لقد عرف ذلك الصراع عند جميع أمم الأرض ، وهو موجود بينها حتى يومنا هذا ، بيد ان الإسلام وما جاء به من عدالة اجتماعية ومساواة بين الأفراد من كل جنس ولون ، قد حقق تعاطفاً اجتماعياً نادر المثال في التاريخ[2] .

ويذكرني قول هذا المستشرق المنصف ، بحالة المسلمين الاجتماعية في عهد الخلفاء الراشدين ، وما ساد تلك الفترة العجيبة من الدهر ، من السعادة والعدل والطمأنينة . فقد ولى أبو بكر في بدء خلافته عمر بن الخطاب رضي الله عنهما القضاء في المدينة عاصمة الإسلام . فاستمر عمر يقعد للقضاء يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر حتى انقضى العام ، ولم يدخل عليه خصمان ، ولا نظر في قضية . فجاء الخليفة وطلب اعفاءه من القضاء قائلاً : « ان هذه الأمة وقد أنار الله بصائرها وملأ قلوبها ايماناً وتقوى ، تعرف كل واحد منها حدوده ، فلم يتجاوزها ، ولم يعتد على سواه ، بل بر كل بأهله وجاره وقومه ، فتعاون الجميع على البر والتقوى ، فلم يكن لهم أية حاجة للقضاء ... » .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ، ص ١٠٦ .

وفي هذا يقول الشاعر أحمد شوقي :

مضى أبو بكر وولاها عـمـر	الشمس لا تخلف إلا بالقمر
بزاهد قـام مكـان الزاهـد	مجاهد نـاب عـن المجاهـد
فلم يزل دعامـة الإسـلام	وهامـة الصحابـة الكـرام
سمحاً جـواداً في سبيل الله	ندبـاً عن الحقوق غير لاه
مجاهداً ببيضـه وسـمره	وشـهبه ودهمه وحمره
وقاضيـاً كالذكـر اليمـاني	لم يـأته في سنة خصمان[1]

وأما الفرية الكبرى التي ألصقها المستشرقون والمبشرون اليهود بالإسلام ، وهي أنه انتشر بالسيف[2] ، وأنه دين القسوة والهمجية ، فاني أفرد لها فصلاً خاصاً ، نظراً لاهميتها بالنسبة للتاريخ الإسلامي الحربي ، الذي اعتبر نفسي أحد جنوده المكلفين بايضاح حقائقه ومفاخره ، واتحدى أي مبشر أو مستشرق يهودي يعثر على كلمة واحدة في القرآن الكريم أو في الأثر الشريف ، تدل على ان الجهاد كان من أجل شعب معين أو في سبيل ملك أو حاكم ، أو من أجل أهداف سياسية أو اقتصادية ، أو ان الإسلام يكره أحداً على اعتناقه .

---

(١) أحمد شوقي ، ديوان « دول العرب وعظماء الإسلام »، مطبعة مصر ، ١٩٣٣ ، ص ٣٩-٤١ .

(٢) مراد فرج ، اليهودي معنى وعقيدة ، مطبعة مزراحي ، مصر ١٩٤٦ ، ص ٥٨ .

الفصل الثامن

استراتيجية السماء

لا بد للمتأمل في حكمة الله سبحانه وتعالى ، باختيار أمة العرب لحمل راية الإسلام ، من ان يعيش ساعات قليلة مع جاهلية ما قبل الإسلام .

كان أجدادنا العرب قبل الإسلام ، يعيشون في صحارى شبه جزيرة العرب وبواديها ، في صراع دائم عنيف مع الطبيعة . صراع مع شمس غادرة ظالمة تحيل الصحراء نهاراً إلى هجير خانق ، صراع مع برد ليل الصحراء القارس الذي لا يتقى ، صراع مع سكون الصحراء الممل وصمتها الرهيب ، صراع مع الرياح والزوابع التي كثيراً ما كانت تهب بلا انذار وتطمر بلا رحمة قوافل كاملة بإبلها ورجالها ونسائها وأطفالها ، صراع مع وحشة الصحراء ورهبتها ووحوشها الضارية .

وأثرت مرارة العيش مع تلك الطبيعة القاسية التي لا ترحم ، في تكوين الإنسان العربي . حتى أنه غدا نداً لها ، قادراً على مصارعتها . ثم دخل في صراع مع نفسه ومع أهله . ثم أخذ جانب قبيلته في صراعها الدائم من أجل البقاء ، وأسهم في حروبها من أجل ثأر أو مرعى أو قليب أو عرض أو مفاخرة . أثر كل هذا في الإنسان العربي فنشأ عنجهياً شجاعاً مقداماً ليتقي قسوة الطبيعة وأهوالها وليثبت وجوده ويبرز بطولته الفردية أمام الأصدقاء والأعداء على السواء .

فلنستمع إلى قول طرفة بن العبد مثلا[1] :

إذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيت فلم اكسل ولم اتبلد

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وقول سحيم بن وثيل الرياحي :[2]

أنا ابن جلا وطلاع التنايا متى اضع العمامة تعرفوني

ألم تر انني في حميرى مكان الليث من وسط العرين

كريم الخال من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين

فإن قناتنا مشظ شظاها شديد مدها عنق القرين

وقول أحد صعاليك العرب عروة بن الورد[3] :

ولله صعلوك صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

مطلا على اعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك ان يلق المنية يلقها حميداً وان يستغن يوماً فاجدر

ونشأ العربي عزيزاً متعالياً معتزاً بأهله وعشيرته ليستطيع مواجهة تحدي الطبيعة القاسية الظالمة ، وتحدي متاعب الحياة الخشنة المرة ومفاخرة اعدائه .
فلنستمع إلى قول عمرو بن كلثوم[4] :

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

ونحن الحاكمون إذا أطعنا ونحن العازمون إذا عصينا

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

وكنا الايمنين إذا التقينا وكان الايسرون بنو أبينا

---

(١) المعلقات العشر ، المكتبة التجارية ، ١٣٤٥ هـ ، ص ٧٣ .
(٢) الاصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف، ١٩٥٥ .
(٣) الاصمعيات ، ص ٣٩ .
(٤) المعلقات العشر ، ص ١٠٠ .

فصالوا صولـة فيمـن يليهـم وصلنا صولـة فيمن يلينـا
فـآبـوا بالنهـاب وبالسبايا وابنـا بالملوك مصفدينـا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا ان نقر الـذل فينـا
ملأنـا البر حـتى ضاق عنـا ونحـن البحـر نمـلأوه سفينا
إذا بلغ الرضيـع لنـا فطامـاً تخر لـه الجبابر ساجـدينـا

وقول بشامة بن حزن النهشلي[1] :

انـا بـني نهشل لا ندعى لاب عنه ولا هو بالأبنـاء يشرينـا
ان تبتدر غايـة يومـاً لمكرمة تلقى السوابـق منـا والمصلينـا
وليس يهلك منـا سـيد أبـداً إلا افتلينا غلامـاً سـيداً فينـا
انـا لنرخص يـوم الروع أنفسنا ولـو نسام بها في الأمن اغلينا
بيض مفارقنا تغـلي مراجـلنـا نأسوا بأموالنـا آثـار ايدينـا
اني لمـن معشر افـنى أوائلهـم قيل الكمـاة الا أيـن المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم ايـاه يعنونـا

ونشأ جواداً كريماً يتحدى بخل الطبيعة وشحها ، وهي التي تضن عليه بقطرة ماء وتبخل عليه بنبتة خضراء أو شجرة يستظل بها من حرها اللاهب فلنستمع إلى قول حاتم الطائي[2] :

أماويّ ان المـال غـاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماويّ اني لا أقـول لسائـل إذا جاء يوماً حل في مالنا النذر
أماويّ امـا مانـع فمبـين واما عطـاء لا ينهنهـه الأجر
أماويّ مـا يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
إذا أنا دلاني الذيـن أحبهـم بملحودة زلـخ جوانبها غـبر
وراحوا سراعاً ينفضون أكفهـم يقولون قـد دمىّ أناملنا الحفـر

ولنستمع إلى الإباء وعزة النفس في قول صعلوك من صعاليك العرب هو الشنفري :

(١) الكامل للمبرد : ١١١/١ والحماسة : ٩٧/١ شرح التبريزي .

(٢) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرىء سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل
أديم مطال الجوع حتّى اميته و اضرب عنه الذكر صفحاً فاذهل
واستف ترب الأرض كي لا يرى له علي من الطول امرؤ متطول

ونشأ حكيماً صافياً صريحاً ، يستوحي من صفاء الصحراء وسكونها الممل وصمتها الرهيب فلسفته وحكمته . فلنستمع إلى قول زهير بن أبي سُلمى[1]:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على أهله يستغن عنه ويذمم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ونشأ سياسياً ماكراً ليتقي مكر الناس ودهاءهم وتقلبهم . فلنستمع إلى قول مرداس بن حشيش[2] :

وذوى ضباب مظهرين عداوة قرحى القلوب معاودي الافناد
ناسيتهم بغضاءهم وتركتهم وهمو إذا ذكر الصديق أعادي
كيما أعدهم لابعد منهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد

هكذا كان أجدادنا العرب في جاهليتهم التي سبقت الإسلام، شجاعة وإباء، انفة وعزة وكبرياء ، كرم ووفاء ، عبقرية وفصاحة وبلاغة ، فلسفة وحكمة، قدرة عجيبة على تحمل المشاق ومجابهة الأهوال ، صبر على الشدائد والمكاره ، مزايا حميدة وقوى كامنة وطاقات هائلة ، بيد أنها جميعاً لم تكن لتستنفد أو تستغل إلا في سبيل الفرد أو في سبيل العشيرة على أوسع مدى .

ونظر الإله العلي القدير ، العالم بمزايا جميع أمم الأرض من عباده ، فلم يجد أجدر من أمة العرب وأقدر منها على حمل الرسالة ، رسالة الإسلام ، رسالة

(١) المعلقات ، ص ٨٦ .
(٢) ديوان الحماسة ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٩١٣، ص ٧٧ .

النور والهداية والخير والسلام ، بعد ان اخفقت الديانتان السماويتان اليهودية والمسيحية في تحقيق رسالة السماء وتحرير الإنسان من العبودية . ولا سيما بعد ان غدت اليهودية ديناً خاصاً باليهود ، اصروا على تحويلها إلى رمز لأبشع أنواع التعصب والاجرام والقسوة والغدر والرذيلة . وبعد ان غدت المسيحية رمز كهانة عاجزة عن تحقيق سعادة الإنسان ، ولا سيما حين استطاعت أصابع اليهود ان تعبث بها وتطعمها بصفات اليهود وأخلاقهم المخربة .

فبعث سبحانه وتعالى ، رسوله محمداً ﷺ نبياً عربياً من قلب شبه جزيرة العرب . ثم قضت ارادته جلت قدرته ، ان تتحول تلك الطاقة البشرية الهائلة في العرب ، إلى قوى تسخر لخدمة الإنسانية وخدمة البشر كافة .

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً [١] » .

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً [٢] » .

ونزل القرآن الكريم ، الدستور الإلهي مشتملاً على استراتيجية سماوية خارقة من أجل تحويل الطاقات والقوى الكامنة في العرب ، إلى قوة جديدة تجاهد في سبيل الله ومن أجل اعلاء كلمة الله ، غير متأثرة بالنزعة الفردية أو القبلية أو العنصرية .

وكرّم سبحانه وتعالى الأمة العربية ، فنزل القرآن بلغة العرب ، لغة الفصاحة والبيان ، لغة الأدب والعلوم ، لغة المجد والابداع والخلود . ونزلت آيات الله البينات تأمر النبي عليه السلام ومن اتبعه من المسلمين بالجهاد وتنظم اصوله ، في تكتيك سماوي خارق ، أدى إلى نتائج حربية معجزة .

ولقد تتبعت آيات الله التي اشتملت على معنى الجهاد ودفع العدوان ، وجمعت منها ما يزيد على سبعين آية انتثرت في أغلب سور القرآن الكريم . ولم أتبع في اختياري لها ترتيباً معيناً لاني اعتبرها متكاملة وصالحة لكل زمان منذ نزلت على محمد ﷺ إلى يوم الدين .

ولا يتسع المجال لذكرها جميعاً والتعليق عليها ، ولذا فقد اكتفيت باختيار بعضها مما يشكل اسس الجهاد الإسلامي الذي طبق فناً عسكرياً إلهياً .

---

(١) سبأ ٢٨ .

(٢) الفرقان ١ .

ومعلوم ان الحرب الحديثة تعتمد على دعائم خمس : تبريرها والأمر بها ، الروح المعنوية ، مقومات الثبات فيها ، الاعداد المادي لها ، الأخلاق أو مـا يسمى بالضبط والربط العسكري . ولقد اشتملت آيات الجهاد في القرآن على هذه الأسس أو الدعامات جميعها . وانفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بذكر هذه الأسس الثابتة ، ذلك لأن الدين الإسلامي دين حياة وحق وعدل وتشريع وعزة وتطور .

١ — التبرير والأمر :

لا حاجة بنا إلى شرح الظروف التي مر بها الرسول ﷺ في بدء الدعوة، وما اعترض طريقه من عقبات تزيل الجبال الرواسي ، وما تعرض له عليه السلام من عذاب واضطهاد . كل ذلك لينثني عن الدعوة إلى عبادة الإله الواحد الأحد من دون الأصنام . وحين طفح الكيل واستنفد الرسول وصحبه كل طاقات الاحتمال البشري ، وعجزوا عن اقناع كفار قريش بالتي هي أحسن ، ولم تجد المقاومة السلبية في دفع الأذى والظلم والعذاب عن المسلمين الأول ، فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على النبي الكريم وصحبه ، دفاعاً عن أنفسهم ، دفاعاً عن دين الله وحرية نشره ، دفاعاً عن الذين اعتنقوه مع رسول الله ، دفاعاً عن الضعفاء والمساكين ، دفاعاً عن العرض والمال والجار والوطن ، وردعاً لعصبة الكفر والشرك والظلم والطغيان والفساد .

« أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله[١] » .

« يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير[٢] » .

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون[٣] » .

---

(١) الحج ، ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) التوبة ، ٥٣ .
(٣) البقرة ، ٢٧٣ .

« وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم[1] » .

« وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس[2] » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً [3] » .

٢ — الروح المعنوية :

وهي أساس كل انتصار في جميع الحروب ، لأن الجندي إذا لم يكن مؤمناً بعمله فإنه لا يقدم على الموت بشجاعة ورغبة صادقة . ولقد ابدع القرآن الكريم في هذا المضمار ، وتوسع كثيراً في رفع الروح المعنوية ، نظراً لما لها من أهمية في كسب المعركة . والنقطة الرئيسية التي اعتمد عليها الله سبحانه وتعالى في رفع معنوية المجاهدين المسلمين ، هي أخذه جلّت قدرته ، جانب المحاربين المسلمين المدافعين عن دين الله . وتصوروا كيف تكون معنوية الجندي الذي يؤمن بأن الله وملائكته يشتركون معه في المعركة ، وانه لن يصاب إلا إذا أراد الله له ذلك .

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين[4] » .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين[5] » .

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من

---

(١) البقرة ، ٢٤٤ .
(٢) الحج ، ٧٨ .
(٣) النساء ، ٧٥ .
(٤) الانفال ، ٦٥ ، ٦٦ .
(٥) البقرة ، ٢٤٩ .

بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون[1] » .

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم[2] » .

« قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون[3] »

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين[4] » .

ولقد حاولت أمم الغرب والشرق ان تقلد اسلوب القرآن الكريم في رفع معنوية الجنود المحاربين. وعمدت إلى تلقين الجنود دروساً دينية لاقناعهم ان الله معهم في المعركة ، وأنهم يموتون في سبيل آلهتهم . فعلت الأمم المسيحية ذلك ، وما زالت تولي هذه الناحية عناية خاصة . وفعل البوذيون مثل هذا وخاصة اليابانيون الذين كانوا يدخلون جنود الانتحار مدارس دينية لمدة سنتين ، يخرجون بعدها مستعدين للانتحار في سبيل إلههم الذي يعبدون .

٣ ــ مقومات الثبات :

اشتملت آيات الجهاد على التشجيع والوعد بالجنة والنعيم ، والتأنيب والوعيد بالحساب والعذاب والعقاب . وحضت على الثبات في المعركة ، وتغلغلت باسلوب سماوي رائع ، إلى النفس المسلمة مبينة لها أهمية الثبات في المعركة والعار الذي يلحق بالمحارب الذي ينهزم أو ينسحب إلا إذا كان انسحابه عن خطة مدبرة .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم

---

(١) آل عمران ، ١٦٠ .

(٢) الانفال ، ١٧ .

(٣) التوبة ، ٥١ .

(٤) آل عمران ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

ان كنتم تعلمون[1] » .

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[2] » .

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص[3] » .

وشجع سبحانه وتعالى المجاهدين ووعدهم الجنة والرحمة والفوز المبين والأجر العظيم ان هم جاهدوا في سبيله ، ودافعوا عن دينه وثبتوا على جهادهم . وانذرهم بالحساب والعذاب ان هم تخلفوا أو جبنوا أو نكصوا على أعقابهم .

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم[4] » .

« فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب[5] » .

« ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون[6] » .

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً[7] » .

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار

---

(١) التوبة ، ٣٨ ، ٤١ .
(٢) الانفال ، ١٥ ، ١٦ .
(٣) الصف ، ٤ .
(٤) البقرة ، ٢١٨ .
(٥) آل عمران، ١٩٥ .
(٦) آل عمران، ١٥٧ .
(٧) النساء ، ٧٤ .

ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين[1] » .

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم[2] » .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم[3] ».

وأنذر سبحانه وتعالى بالحساب والعقاب المتخلفين عن الجهاد في سبيله :

« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير[4] » .

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله. وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين[5] » .

« فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون[6] » .

« إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير[7] » .

---

(١) الصف ، ١٠ – ١٣ .
(٢) التوبة ، ١١١ .
(٣) التوبة ، ٢٠ ، ٢١ .
(٤) آل عمران، ١٥٦ .
(٥) التوبة ، ٢٤ .
(٦) التوبة ، ٨١ .
(٧) التوبة ، ٣٩ .

٤ ـ الاعداد المادي :

وحذر سبحانه وتعالى المسلمين من غدر أعدائهم وأوجب عليهم اعداد الوسائل الحربية التي تكفل التغلب على الاعداء ورد كيدهم في نحورهم . وهذه القاعدة تسري على عدد الحرب من عهد السيوف والخيل إلى عهد الدبابة والصاروخ والقنبلة الذرية .

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً[١] » .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تفعلوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون[٢] » .

٥ ـ الأخلاق (الضبط والربط) :

أمر القرآن الكريم ان يحافظ المسلمون في جهادهم وحروبهم على فروسيتهم الموروثة ، فلا يفتكون بغير المحاربين كالنساء والأطفال والشيوخ ، وان يعدلوا وان يحافظوا على الذميين الذين يبقون على دينهم ويدفعون الجزية كسهم رمزي منهم في مصاريف الدولة التي تحميهم وتدفع عنهم كل بلاء ، وتوفر لهم الحرية الكاملة في عبادتهم وطرق معاشهم . « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[٣] » .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين[٤] » .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٥] » .

---

(١) النساء، ٧١.
(٢) الانفال، ٦٠.
(٣) البقرة ، ١٩٠ .
(٤) البقرة ، ١٩٤ .
(٥) التوبة، ٢٩.

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثختنموهم فشدواالوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم[1] »

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين[2] ».

« وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »[3] .

التطبيق العملي :

وحمل الرسول ﷺ الراية ، راية الجهاد ، لينفذ أوامر الإله . وشرع يبين للمسلمين مزايا الجهاد ويحضهم عليه . وصدرت عنه صلوات الله وسلامه عليه ، أحاديث كثيرة جاءت متممة لآيات الله في الجهاد ، اذكر منها :

« لغزوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها[4] » .

« اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله ما هي؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[5] » .

« والذي نفس محمد بيده ما من كلم (جرح) يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك . والذي نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة يشق عليهم ان يتخلفوا عني . والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل[6] » .

« ما من أحد يدخل الجنة يحب ان يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من

---

(١) محمد، ٤ .
(٢) النمل ، ١٢٦ .
(٣) النساء، ٥٨ .
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) رواه مسلم.

شيء إلا الشهيد يتمنى ان يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »[1]

« ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة[2] » .

« ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله. وارموا واركبوا ، وان ترموا أحب إلي من ان تركبوا ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها[3] » .

« ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار[4] » .

وعن أبي موسى رضي الله عنه ان اعرابياً أتى النبي ﷺ قال : يا رسول الله. الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه وفي رواية يقاتل شجاعة ويقاتل حمية فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ :

« من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[5] » .

« من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة[6] » .

« عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله[7] » .

وجاهد رسول الله ﷺ أول ما جاهد الكفار والمشركين من بني قومه وعشيرته . ولم يبدأ الجهاد إلا بعد ان استكمل عدته واطمأن إلى رسوخ الإيمان بدين الله في قلوب صحابته . وقاد عليه السلام وقائع الإسلام الأولى بنفسه ، فكان القدوة للمسلمين في الشجاعة والاستعداد للموت في سبيل الله . وضرب صحابة رسول الله رضوان الله عليهم ، المثل الأعلى في البطولة والتضحية ، يوم ثبتوا معه ﷺ في وقعة بدر ووقعتي أحد والخندق ، ويوم قادوا معه جيش

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه البخاري .

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه أبو داود .

(٧) رواه الترمذي.

المسلمين لفتح مكة وأرسوا بذلك دعامة الإسلام الأولى . ولم يقتصر عمل الرسول المعلم القائد ، على قيادة المسلمين في معاركهم الجهادية التي دافعوا فيها عن أنفسهم وعن دينهم وعن الضعفاء والمساكين ، و إنما كان عليه السلام معلماً ومربياً لنفوس المسلمين في جهادها الأكبر . فقد سمى الرسول القائد جهاد الحرب والسيف « الجهاد الأصغر » ، وجهاد النفس « الجهاد الأكبر » . وكما نجح في ميدان الجهاد الأصغر ، وانتصر في المعارك التي قادها ، نجح كذلك في ميدان الجهاد الأكبر — جهاد النفوس المسلمة التي غرس فيها مكارم الأخلاق والتمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل . وكان عليه الصلاة والسلام في أخلاقه وجهاد نفسه قدوة المسلمين الأول ، فتطهرت نفوسهم ، وزكت ، وابتعدوا عن الطمع والانانية والحسد ، والغيبة والنميمة والتجسس ، والنفاق والرياء والعصبية ، والبخل والشح وأكل مال اليتيم ، والكذب والفجور والفسق ، وعشقت نفوسهم الإباء والانفة والخضوع لله وحده . وتحولت الفروسية الموروثة في نفوسهم إلى طاقة جبارة لا تقف في طريقها قوة مهما بلغت . وتجلت قدرة الرسول ﷺ الخارقة على توحيد العرب بالإسلام ، بعد ان كانوا قبائل متفرقة تعبد الأصنام ، وتقدس الفردية والعنصرية القبلية . ولم يكن ليحقق عليه الصلاة والسلام ذلك ، لولا ما غرس في نفوس العرب من مبادىء الحياة المثلى ونظامها الرباني في السلم والحرب. كما روضها على الطاعة الواعية ، وطهرها من العداوة والاحقاد والاستعلاء والانحراف ، ورباها على الصبر والمصابرة .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون[1] »

ووقعت في زمن الرسول ﷺ حادثتان ، كانتا — في رأيي — دليلاً قوياً على رسوخ قواعد الإسلام بشكل إلهي معجز . والحادثة الأولى سلبية ، وهي عبارة عن رسائل الرسول ﷺ إلى اباطرة وملوك العالم في ذلك الوقت . وكلما تصورت نبينا الكريم ، الاعزل من كل سلاح إلا سلاح الإيمان ، الساكن في واد غير ذي زرع ، الملتف من حوله فئة من فقراء المؤمنين لا حول لهم ولا قوة ، تدفعه الروح المعنوية السامية إلى أن يكتب لكسرى وهرقل ، كلمات

(١) آل عمران، ٢٠٠ .

قليلة« أسلم تسلم وإلا وقع عليك إثم الاكارين » ، ثم لا تمضي سوى سنوات قلائل وينهدم عرشا كسرى وقيصر بالحفاة العراة من جنود محمد ﷺ . تلك كانت معجزة من معجزات الرسول والإسلام بشكل عام . أما الحادثة الثانية فقد كانت ايجابية تتعلق بالقوة التي بعثها الرسول في السنة الثامنة للهجرة بقيادة زيد بن حارثة لتأديب قوات الروم ومن كان يساعدهم من نصارى العرب ، وجس النبض تمهيداً لرسم خطط تأمين ظهر ديار الإسلام من تلك الناحية . والقصة معروفة ذكرتها كتب التاريخ والسير ، إلا أني الخصها لاصل منها إلى نقطة الاعجاز التي أرست — في رأيي — أو أسهمت بارساء قواعد الإسلام على أسس متينة ثابتة .

وصلت قوات المسلمين وكانت لا تزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، إلى موئتة بالقرب من مدينة الكرك . ودارت رحى معركة فدائية غير متكافئة مع قوات الروم التي كانت حوالي مائة ألف مقاتل . فقاتل زيد بن حارثة براية الرسول ﷺ حتى قتل . ثم تسلم الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قطعت يمينه ، فحمل الراية بشماله ، فقطعت ، فاحتضنها بعضديه حتى قتل . ثم تسلم الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل . ثم رأى المسلمون ان يتسلم الراية خالد بن الوليد . فتسلمها ونفذ خطة حكيمة للانسحاب ، وأنقذ قوات المسلمين من هزيمة ساحقة وفناء أكيد . وعاد خالد بالجيش بعد ان حقق الهدف الرئيسي من بعثه . وحينما دنت القوة من المدينة قابلهم الرسول الكريم وجمع من المسلمين . وهنا تقع العبرة الخالدة التي تدل على قوة الروح المعنوية عند المسلمين الذين أخذوا يحثون التراب على الجيش قائلين : يا فرّار ، فررتم في سبيل الله . ويرد الرسول ﷺ قائلا : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى . فأي إيمان أقوى من ذلك الإيمان ، وأية شجاعة أعظم من تلك الشجاعة ؟ جيش يعود ناقصاً نخبة من صحابة رسول الله ﷺ ، فلا يؤثر ذلك في نفوس ذويهم وعشيرتهم ، بل يسارعون إلى التنديد بالقوة المنسحبة ، آخذين عليها أنها لم تقاتل حتى آخر نسمة منها[1] .

---

(١) ابن هشام ، ج ٤ ، ص ١٧ ، ١٨ .

نعم ، لقد كانت تلك الموقعة الصغيرة في مؤتة محكاً امتحنت فيه الروح المعنوية لدى المسلمين ، واثبتت استعدادهم للتضحية والفداء في سبيل الله ، وهما الركن الأساسي في البناء الحربي الاسلامي الخالد الذي شيده المسلمون خارج جزيرة العرب .

وحمل الراية من بعد رسول الله ﷺ ، خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فواصلوا الجهاد في سبيل الله تنفيذاً لأوامره تعالى . فقاتلوا المرتدين في داخل الجزيرة العربية ، ثم غزوا معاقل الكفر والطغيان في أطراف الجزيرة العربية ، لينشروا دين الله وليحرروا العالم من ظلم الاكاسرة والأباطرة ، وليخرجوهم من الظلمات إلى النور ، وليؤمنوا سلامة الوطن العربي ، ويطهروا أطرافه من الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر .

من معجزات الجهاد :

استطاع الإسلام ان يحوّل نفوس المسلمين إلى مثالية خارقة في البذل والتضحية والفداء ، مما سهل على قادة المسلمين تعبئة قوى الأمة جميعها من أجل تحقيق فكرة الجهاد في سبيل الله وتوطيد أركان الدولة الإسلامية . ومن المضحك ان يأتي قائد كبير مثل الجنرال الالماني لودندورف ، ويدعي في كتاب أصدره بعد الحرب العالمية الأولى ، بأن الألمان هم أصحاب خطة الحرب الاجماعية ، وهي تعني حرب أمة ضد أمة أخرى في جميع النواحي المادية والفكرية[1] . وهو لا شك يجهل ان المسلمين قبل أربعة عشر قرناً ، قد خاضوا حروبهم العظيمة بالشكل الاجماعي الذي كان يحشد جميع قوى المسلمين المادية والمعنوية ، من أجل تأمين ظهر الجيش وتحقيق انتصاره .

وخاضت جيوش المسلمين المؤمنين معارك عديدة ما زالت حتى يومنا هذا ، تعد على رأس قائمة المعجزات الحربية في التاريخ . خاضت معركة العراق وفارس وهدمت عرش كسرى ، رمز الاستعباد والظلم و الطغيان في الشرق . هدمه المؤمنون الحفاة العراة الفقراء ، وسلاحهم الأول « الله أكبر » . وخاضت جيوش المسلمين معركة بلاد الشام ضد امبراطورية الروم . وغلبت الفئة القليلة مئات

---

(١) اللواء محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، دار القلم ، ١٩٦٤ ، ص ٦٥ .

الألوف من جنود الأعداء العريقين في الجندية . وانتصر المؤمنون الحفاة الفقراء على جيوش الروم الذين كانت تسندهم الامبراطورية العظيمة، رمز الاستعباد والظلم والطغيان في الغرب . وخاض المسلمون معركة بيت المقدس، وانتصروا لأنهم كانوا ينفذون استراتيجية الله .

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير[1] » .

آية واحدة من آيات الله ، لا تزيد كلماتها على احدى وعشرين كلمة ، أدت إلى نتائج خارقة تدل على عظمة القرآن واعجازه ، وتثبت أنه من صنع الله وليس من صنع بشر. فقد ربطت هذه الآية بين بيت المقدس وقلوب ملايين المسلمين ، ودفعتهم إلى ان يخوضوا في سبيله معارك حاسمة بدأت من أيام عمر، واستمرت عبر التاريخ . وهي اليوم في أوج اوارها . فالمسجد الأقصى ، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومكان الاسراء والمعراج ، جزء لا يتجزأ من استراتيجية السماء ، ولا بد من بقائه بيد المسلمين . ولا يضره ان يكون المسلمون اليوم في دور ضعف وانحلال ، فسيأتي اليوم الذي يصبح فيه المسلمون مسلمين حقاً ، جديرين بتحقيق ارادة الله واسترداد فلسطين من أيدي الطغاة المجرمين .

وإذا عدنا إلى جيوش المسلمين المجاهدين ، نجدها قد خاضت معركة مصر وحررتها من عبودية الروم وطغيانهم . وانقذت البطريرك القبطي بنيامين من تشرده الذي دام ثلاث عشرة سنة ، قضاها مستخفياً في الصحارى ، هرباً من طغيان الروم ، واعادته إلى الاسكندرية معززاً مكرماً[2].

ثم اتجهت الجيوش الظافرة غرباً ، وحررت برقة واشتبكت مع جيوش الروم في حرب دامت حوالي خمسين عاماً ، استطاع خلالها جنود المسلمين ، ان يحرروا الشمال الافريقي بأسره ، ثم يقتحموا شبه جزيرة ايبريا (الأندلس) ويفتحوها . ثم يزحفوا شمالا ويتوغلوا في داخل فرنسا . هذا في الجبهة الغربية أما في الجبهة الشرقية ، فقد فتحت جيوش المسلمين بعد العراق وفارس ،

(١) الاسراء ، ١ .

(٢) صراع مع الباطل ، ص ٩٧ .

أرمينيا واذربيجان وسجستان وكابل وخراسان والسند . ولم تمض ثمانون سنة منذ بدء الجهاد في سبيل الله ، حتى كان المسلمون يرفعون راية الإسلام على رقعة تمتد من السند وبحر الهند شرقاً ، إلى بحر الظلمات غرباً . أي على البلاد التي تشكل قلب العالم القديم ، في آسيا وأفريقيا وجزء من اوربا . فتح المسلمون هذا العالم حين كانوا يجاهدون في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الله ، منفذين استراتيجية السماء ، بتكتيك حربي ما زال إلى يومنا هذا ، يحتل قمة الفن العسكري. والأسماء الإسلامية الخالدة : خالد ، شرحبيل ، أبو عبيدة ، عمرو ، اليرموك ، خطة المروحة ، اختراق بادية الشام ، القادسية ، نهاوند ، سعد بن أبي وقاص ، القعقاع ، أيام ارماث اغواث عماث ، محمد بن القاسم ، قتيبة ، عقبة ، طارق ، موسى بن نصير ، حطين ، نور الدين ، صلاح الدين ، المنصورة ، نجم الدين ، شجرة الدر ، بيبرس ، قطز ، عين جالوت ، القسطنطينية ، اقترنت كلها بالمعجزات التي حققها الجهاد الإسلامي حين كان مقروناً بجهاد النفس – الجهاد الأكبر – ولم يكتب النصر للمسلمين في معركة ما من معاركهم العديدة ، إلا حينما كانوا يتحلون بالصفات الإسلامية والأخلاق التي ورثوها عن الرسول ﷺ . وما خسر المسلمون معركة إلا كانوا فيها على غير أخلاق الإسلام التي علمهم إياها رسول الإسلام ﷺ .

وخير مثل على انتصار المسلمين بالأخلاق الإسلامية ومجاهدة النفوس والتغلب على اطماعها ، ما حدث في معركة اليرموك حين قدم خالد بن الوليد الشام مدداً لجيوش المسلمين التي كانت مشتبكة مع الروم على ضفة اليرموك . ويومها وجدهم يقاتلون الروم مفرقين ، كل أمير على جيش . أبو عبيدة على جيش ، ويزيد بن أبي سفيان على جيش ، وشرحبيل بن حسنة على جيش ، وعمرو بن العاص على جيش . فخطب فيهم خالد قائلاً :

« ان هذا اليوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فاخلصوا لله جهادكم وتوجهوا لله تعالى بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده . فلا تقاتلوا قوماً على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وان من ورائكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه هو الرأي من واليكم ، قالوا : فما الرأي ؟ قال :

ان الذي أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم وأنفع للمشركين من امدادهم، ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم والله فهلموا فلنتعاورن الامارة، فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غداً والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليوم عليكم . قالوا : نعم ، فأمّروه وكان الفتح على يد خالد يومئذ[1] » .

فلو لم تكن نفوس أولئك القادة الأبطال مؤمنة صادقة في ايمانها ، مروضة على الإيثار والتضحية ونكران الذات ، لما وافقوا خالداً على توحيد القيادة ، ولأصر كل واحد منهم على أن يكون هو القائد العام للمعركة ، ولما كسب المسلمون معركة اليرموك التي غيرت مجرى التاريخ .

وخالد البطل الذي قاد معركة اليرموك ، وانتصر في جهاده الأصغر ، وحقق للإسلام عزاً ومجداً ، هو نفسه الذي انتصر في جهاده الأكبر — جهاد نفسه — ، حين وردت أوامر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعزله عن قيادة جيوش المسلمين وتسليمها لأبي عبيدة بن الجراح ، نعم ، لقد انتصر خالد على نفسه ، فلم يثر أو يتآمر أو يغدر أو يدبر انقلاباً . وكان بامكانه ان يفعل كل هذا ، لأنه كان في أوج مجده وقوته . ولكن روحه الجهادية الإسلامية تغلبت على وساوس النفس ورضي ان يكون جندياً عادياً في جيش المسلمين تحت قيادة أبي عبيدة . وكل الذي قاله : اني لا أحارب من أجل عمر وإنما أحارب في سبيل الله .

واذكر معركتين خسرهما المسلمون ، الأولى في أول عهد الإسلام ، وهي أُحد التي شغل خلالها فريق من جنود المسلمين بالأسلاب والغنائم ، مخالفين في ذلك روح الإسلام وخطة الجهاد في الإسلام ، فانهزموا شر هزيمة . والثانية معركة بواتيه في قلب فرنسا عام ٧٣٢م ، التي واجه فيها جيش المسلمين جيش شارل مارتل[2] . وفي تلك المعركة شغل الجنود المسلمون بالأسلاب والغنائم ، متخلين بذلك عن أخلاق الجهاد الإسلامي ، فخسروا المعركة الخطيرة التي غيرت مجرى التاريخ . إذ لو قدّر لجيش المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، ان ينتصر في تلك المعركة الحاسمة ، لتمّ للمسلمين احتلال اوربا كلها ، وصبغها بالإسلام . ونظراً لأهمية هذه المعركة ، وما قيل حولها فإني انقل في الملحق

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي — يرموك .

(٢) نظرات في الشريعة ، ص ٦٤ .

رقم (٣) خلاصة رأي عالم فرنسي منصف يتحسر على هزيمة المسلمين ويعتبرها كارثة بالنسبة لفرنسا واسبانيا واوربا والانسانية كلها ، بينما نجد كثيرين من العرب والمسلمين يذكرون تلك المعركة شامتين مشيدين بعظمة شارل مارتل وقواته الهمجية . والعالم الفرنسي المنصف هو كلود فارير عضو الأكاديمية الفرنسية[١] .

وكان أكبر عامل في هزيمة المسلمين في بواتيه ، هو انصرافهم إلى الترف والكسب الشخصي والحرص على الدنيا . وهي صفات طرأت عليهم لم يعرفها جنود محمد ﷺ . وقيل كذلك انهم كانوا يعتدون على الكنائس بقسوة ليست من الإسلام . ولذا وجدناهم ينسحبون وينهزمون بمجرد استشهاد قائدهم عبد الرحمن الغافقي . بينما رأينا في مؤتة كيف تسلم الراية ثلاثة قواد استشهدوا ثم جاء الرابع وقرر الانسحاب . انه الفرق بين أخلاق المسلمين الأول ، وبين المسلمين الذين أبطرتهم النعمة فاضعفت في نفوسهم روح الجهاد الصحيح . المسلمون الأول هم الصحابة والفقراء من عرب الجزيرة الذين آمنوا بدين محمد ﷺ ، وقدموا أنفسهم فداء للإسلام ودفاعاً عن دين محمد ﷺ . فانتصر بهم الرسول العظيم وعزّ بهم الإسلام .

أنت يا رسول الله ....
أنت آثرت ان تقيم على الفقر دعام الرقي والعمران .
فلبست الأيام لم تزه بالمعطف من خزها ولا الطيلسان .
ولمست الحصى فتاه على الدر وأزرى بروعة المرجان .
واثرت الهيجاء تعصف بالفرس وتجتاح هيكل الرومان .
يترامى إليك بالنصر من بيداثه كل جائع عريان .
فاذا بالتراب تحت أبي ذرّ مدلاً على أبي سفيان[٢] .

بطلان الفرية الكبرى :

يتضح من آيات الجهاد ، ومن جميع آيات القرآن الكريم ، ان الإسلام

---

(١) محمد جلال كشك ، الغزو الفكري ، دار العروبة ١٩٦٤ ، ص ٥٤ .
(٢) محمد علي الحوماني ، ديوان أنت أنت ، عيسى البابي الحلبي ، د . ت. ، ص ١٤٠ .

لم يأمر إلا بالحرب العادلة ، وهي التي تعلن دفاعاً عن النفس وعن العقيدة وعن الإنسانية وعن السلام . ولم يعرف الإسلام الحرب من أجل الكسب المادي وتأمين المواد الخام والأسواق التجارية واستعمار الشعوب . ونحن نعلم كيف يفسر المستشرقون والمبشرون اليهود ومعهم ملاحدة الشرق العربي نفسه ، ظهور الإسلام على أنه حركة فرضتها ظروف الجزيرة العربية الاقتصادية ، ويفترون على تاريخ الجهاد الإسلامي ناسبين إليه اطماعاً اقتصادية لا تدور إلا في عقولهم العفنة ونفوسهم الحاقدة التي يرعبها لفظ (الجهاد) . ويتجاهل هؤلاء بأن المدنية الإسلامية التي عمت أرجاء الكرة الأرضية من الأندلس غرباً إلى الصين شرقاً ، وما نتج عن تلك المدنية من خير وعمران وثراء ورفاهية ، ظلت جميعها وقفاً على البلاد التي عمرها الإسلام ولم تنقل بشكل فعال إلى الجزيرة العربية مهد الإسلام ووطن العرب الأول . ومن يتجول اليوم في الجزيرة العربية لا يجد شبراً واحداً منها يحمل أثراً من آثار مدنية الإسلام التي عمروا بها البلاد التي فتحها المسلمون . بينما يجد تلك الآثار باقية خالدة شاهدة على ان المسلمين كانوا يعنون بالبلاد التي يفتحونها ، ويستغلون خيراتها لتعميرها نفسها لا لتعمير وطنهم الأول . وتلك الآثار الباقية الخالدة ممتدة من غرناطة إلى تاج محل في الهند ، متجنبة شبه جزيرة العرب كلها .

ويكمل المبشرون والمستشرقون اليهود فريتهم حين يدعون بأن الإسلام دين سيف وأنه لم ينتشر إلا بالسيف . كذبوا وايم الله ، فإنه دين حرية وسلام وخير وهدى وحق وتسامح وعزة وإباء وعدل ورحمة .

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم [1] » .

ولقد طبق المسلمون أوامر الإله العلي القدير فلم يكرهوا أحداً على ترك دينه. وها هي وصية الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لقائد جيشه أسامة خير شاهد على ذلك :

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا

(١) البقرة ، ٢٥٦ .

شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[1] » .

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه ، ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[2] » .

والجهاد في الإسلام رمز تواضع ورحمة وأخلاق . فها هي وصية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، إلى قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص تشهد على ذلك :

« آمرك ومن معك ان تكونوا أشد احتراساً من المعاصي من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا . ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا وان اسأنا ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم[3] » .

فأين هذه الأوامر الحربية السامية من أوامر قادة اليهود حين دخلوا فلسطين قبل ثلاثة آلاف سنة ، مخربين مدمرين فاتكين بالنساء والأطفال والشيوخ والحيوانات ؟ وأين أخلاق جيوش المسلمين في جهادها من أخلاق جيوش الغرب المتمدن ، التي ترى من المدنية ان تبيد سكان البلاد الأصليين كما حدث في اميركا؟

لقد اعترف مؤرخو الغرب المنصفون بالبون الشاسع بين حروب الإسلام في سبيل الله وحروب الغرب المسيحي اليهودي في سبيل الشيطان . وصورة واحدة لعمليات القمع والتعذيب والوحشية تكفي لاعطائنا فكرة عن جنود المسيحية وطريقتهم في نشرها بين الشعوب .

« وانشغل ضباطه وخلفاوه ، أول الأمر ، باستكشاف جزيرة هايتي (اسبانيولا) واحتلالها ، وكانت ما تزال في داخلها أراض شاسعة مجهولة . وقد

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، دار المعارف ، ١٩٦٢ ص ٢٢٦ .

(٢) البقرة ، ١٩٠ .

(٣) جمال الدين عياد ، نظم الحرب في الإسلام ، الخانجي ، ١٣٧٠ هـ .

تولى هذه المهمة كل من دييفو فلاسكيز وبانفيلودي نارفيز ، فأبديا من ضروب الوحشية ما لم يسبق له مثيل ، مفتنين في تعذيب سكان الجزيرة بقطع أناملهم وفقوء عيونهم ، وصب الزيت المغلي والرصاص المذاب في جراحهم ، أو باحراقهم أحياء على مرأى من الأسرى ... ليعترفوا بمخابئ الذهب ، أو يهتدوا إلى الدين . وقد حاول أحد الرهبان اقناع الزعيم (هاتيهاي) باعتناق الدين ، وكان مربوطاً إلى المحرقة ، فقال له انه إذا تعمد يذهب إلى الجنة ... فسأله الزعيم الهندي : « وهل في هذه الجنة اسبانيون ؟ » فأجاب الراهب « طبعاً ما داموا يعبدون الإله الحق » . فما كان من الهندي إلا أن قال : « اذن أنا لا أريد ان أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمة المتوحشة(١) » .

وجنود النصرانية هؤلاء الذين شرعوا في ابادة الهنود الحمر منذ أوائل القرن السادس عشر ، هم أنفسهم الذين تركوا الأندلس بعد ان قضوا على الإسلام والمسلمين فيها ، بوحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . حتّى اننا اليوم لا نجد مسلماً واحداً في اسبانيا والبرتغال ، مع أن المسلمين عمروا هذين البلدين طوال ستمائة سنة. هذه الأعمال بنظر المستشرقين والمبشرين من اليهود، مدنية وعدل ورحمة... ولا يخفى ان شغل امريكا الشاغل في ممارسة الفن الحديث ، هو ابراز عمليات الابادة التي كان المكتشفون الأول يقومون بها للقضاء على الهنود الحمر . وأغلب أفلام اليهود التي تصدر عن هوليود تدور حول هذا التاريخ الأسود ، الذي يعتز به الامريكان وهم خلاصة شعوب أوربا كلها .

ثم هل ننسى ما فعله الصليبيون المتمدنون ، يوم استسلم لهم مسلمو القدس ، فذبحوا منهم أكثر من سبعين ألفاً دون تمييز بين رجل وطفل وشيخ وفتاة ؟ وهل ننسى الروح الجهادية السامية التي أملت على صلاح الدين تلك المعاملة الكريمة السمحة ، يوم هزمهم وأسر عشرات الألوف من قواتهم ، فأبت نفسه المسلمة المجاهدة ان تعاملهم بالمثل ، بل حقن دماءهم وساعدهم على الرحيل وافتدى عدداً كبيراً من أسراهم . اننا لا ننسى أبداً ، ونقول لهم ما قاله أبو الفوارس سعد بن محمد :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

(١) التبشير والاستعمار ، ص ١٢٣ ، عن جريدة الحياة عدد ٢٣-٦-١٩٥٤ .

وحللتّم قتـل الأسارى وطالمـا   غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكم هـذا التفاوت بيننـا   وكل اناء بالذي فيـه ينضـح

كبرت كلمة تخرج من أفواه أعداء الإسلام الكاذبين الظالمين الذين لا يهدفون من افتراءاتهم على القرآن ودين الإسلام ومعنى الجهاد ، إلا زعزعة ايمان المسلمين واضعاف تعلقهم بالقرآن، رمز عزهم ومجدهم وبقائهم . «لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا [1]» . ولو صح زعمهم وعمد المسلمون إلى نشر دينهم بالقوة ، لما كان اليوم في آسيا وافريقيا نصراني واحد ولا يهودي ولا بوذي ولا هندوكي واحد . ألا يرون ان ملايين المسلمين في آسيا وأفريقية قد دخلوا في الإسلام دون ان يروا جندياً مسلماً واحداً ؟ هل وصل جنود المسلمين إلى جزر اندونيسيا وفيها مائة مليون مسلم اليوم ؟ هل وصل جنود المسلمين إلى قلب أفريقية وغربها الجنوبي وشرقها الجنوبي ، وفيها ما يزيد على سبعين مليوناً من المسلمين ؟ وهل نسي المبشرون والمستشرقون أنه لأول مرة في تاريخ الأديان ، تعتنق جيوش متوحشة همجية غازية ، دين من غزتهم ودمرت بلادهم ، كما حدث لجيوش التتار والمغول يوم اعتنقت الإسلام . فهل اكرهت على اعتناقه بالسيف كذلك ...؟

ان أحداث التاريخ واضحة جلية يراها كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ألا ان الأمر ليس متعلقاً بالمنطق والتاريخ والوقائع الثابتة ، وإنما هـو التخطيط الصليبي اليهودي المدبر ، لتشويه معنى الجهاد الإسلامي . ذلك لأن كلمة الجهاد ترعبهم ولا يتصورون سماعها ، لأنهم أعرف الناس بعظمتها وقوتها وما تحويه من طاقة هائلة تفوق الطاقة النووية التي يتسلحون بها اليوم .

قرأت عن الحرب العالمية الأولى ان الألمان وحلفاءهم الأتراك كانوا يعلقون أهمية خاصة على اعلان الجهاد من قبل علماء المسلمين ، ويؤملون حشد الشعوب الإسلامية في الحرب ضد الانجليز وحلفائهم . ويعترف هنري مورجانتو سفير الولايات المتحدة في تركيا آنئذ ، ان هذه المحاولة من الألمان والأتراك قـد ازعجت الحلفاء ، بيد أن انزعاجهم لم يطل ، لأن كلمة الجهاد قد فقدت قدسيتها وزال مفعولها السحري ، بسبب خلاف المسلمين واصدارهم بيانات متناقضة .

---

(١) البقرة ، ٢١٧ .

فقسم من علماء المسلمين أعلن الجهاد في سبيل الله ضد الحلفاء ، وقسم أصدر بيانات تدعو للجهاد ضد تركيا والمانيا . فسقطت قيمة كلمة « الجهاد » وانتعش مورجانتو وحكومته[1] .

نعم انها الكلمة المرعبة التي ترتعد لها فرائص الغرب ، فيجند المستشرقين والمبشرين وأذنابهم في الوطن العربي ، لتشويه معناها ، وتوهين القيم الإسلامية في نظر شباب المسلمين ، ومحاربة التراث الإسلامي ، والغض من قيمته التاريخية وطمس معالم الحضارة الإسلامية ، والتنديد بحال المسلمين وارجاع أمر تخلفهم إلى الإسلام . مع أن الواقع يثبت ان الغرب لم يترق إلا بعد ان تخلى عن دينه ، وان الشرق لم يتخلف إلا حين تخلى عن دينه .وانه لمن المحزن المبكي ان نجد ان الأفكار التي يروجها اليهود والمبشرون والمستشرقون ، لتشويه التاريخ الحربي الإسلامي ومعنى الجهاد في القرآن ، قد سرت إلى كثيرين ممن يدعون بأنهم يمثلون الفكر العربي الحر ، وينادون بدعوة القومية العربية . فهذا عالم عربي كبير (أحمد زكي) ، متخصص بعلوم الطب والفلسفة والفلك والتاريخ ... وكان إلى زمن غير بعيد مديراً لأكبر جامعة علمية في الشرق العربي هي جامعة القاهرة ، يفتتح مجلته (العربي) التي تصدرها حكومة الكويت العربية المسلمة ، ذات الشعب المسلم ١٠٠٪ ، حيث لايوجد هناك مسيحي واحد أو يهودي وحد ، باستثناء الوافدين من الخبراء والموظفين ، يفتتحها بالدعوة إلى فصل العروبة عن الإسلام ، والتهجم المستتر على الدين الإسلامي والتاريخ الحربي الإسلامي . فقد جاء في مقاله الافتتاحي لأول عدد من المجلة[2] :

« والعربي لا تصل معنى العروبة بدين ، فكل الناس عباد الله ، وكل سالك إليه سبيلا ، والسبل اختلفت والغاية واحدة ، والحي يسعى لتأمين الحياة وبالدين هو يسعى لتأمين ما بعد الحياة ، والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية دلت على ان الدين — وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة — ذهب بأمن الحياة ذاتها ، فلم يبق عاقل مفكر يستمسك بحرية الفكر ، التي هي هبة الله ، الا يقول اليوم دعوا الناس تسلك إلى الله أي طريق تشاء ، وحتى غير

(١) مذكرات هنري مورجانتو ، تعريب فؤاد صروف ، مطبعة المقطم ١٩٢٣ ، ص ٦١

(٢) مجلة العربي ، الكويت ، العدد الأول ، ديسمبر ١٩٥٨ .

السالك عليه وحده تبعة انه لا يسلك لا على الناس ... »

وحين وجهت للدكتور بعض الملاحظات عن هذا الكلام العجيب يصدر عن استاذ جليل وعالم نحرير، رد في افتتاحية العدد الثاني بما يزيد الطين بلة فقال[1]:

« وأما سلوك أهل الأديان جميعاً لنصرة أديانهم عبر القرون فقد كانوبالا على الإنسانية ذهب بسلام الحياة ذاتها ... »

وهي لعمري صفاقة لم تصدر عن ماركس ولينين. لأن أقطاب الشيوعية وعلى رأسهم ماركس ولينين لم يقولوا عن الإسلام اسوأ مما قاله العالم العربي القومي المتحرر. ان أخطر ما قاله ماركس ولينين عن الأديان انها أفيون الشعوب، أي تنوّم الناس وتخدرهم.

ولم يقل قطبا الشيوعية ان الإسلام قد ذهب بأمن الحياة، وان سلوك أهله لنصرته كان وبالاً على الإنسانية. وهي تهمة ظالمة يوجهها عالم عربي مسلم. يعتبر الإسلام دين كهانة لتأمين ما بعد الحياة ... ولا أدري أي اسلام هذا الذي يتحدث عنه الدكتور العالم، فاصلا بينه وبين عروبته التي يعتز بها ويدعو لها. ليته يعرف بأن قوميته العربية هذه، حين يجردها من روحها الإسلامية، فإنها سرعان ما تتحول إلى أداة فساد وانحلال وهدم، لا يفيد منها إلا أعداء الأمة العربية، المتربصون بها، الداعون إلى تجريدها من عناصر بقائها وعوامل قوتها وعزها.

على أنني وأنا أكتب هذا البحث بقلم منصف يتقصى الحقائق المجردة قدر الإمكان، لا يسعني ان انهي هذا الفصل، دون أن اشير إلى الناحية التي استغلت لتشويه الإسلام وجهاد المسلمين وفتوحاتهم. وتلك هي الأعمال التي صدرت عن قادة مسلمين من غير العرب. افتقدوا الحساسية العربية لفهم الإسلام الصحيح فمارسوا القسوة حيناً، والظلم حيناً آخر، ولا سيما في الجبهة الأوربية التي رابطت فيها جيوش تركيا خمسة قرون، تدفع عن الإسلام أخطار الغرب المتعصب الحاقد. لقد وقعت أحداث كثيرة ليست من الإسلام. ولا يقرها دستور الجهاد الإسلامي. واستغلت تلك الأحداث لالصاق الوحشية والهمجية

(١) العربي، الكويت، العدد الثاني، يناير ١٩٥٩.

بالإسلام والمسلمين . ولم يصغ الغرب الحاقد لوجهة نظر الأتراك المسلمين الذين كانوا يدافعون عن أنفسهم وعن الخلافة الإسلامية . ولم يستمع إليهم أحد في تبريرهم لكثير من الأعمال التي صاحبتها القسوة والشدة والعنف . ففي مشكلة الأرمن مثلاً ، وما لاقوه من ظلم واضطهاد على يد الأتراك المسلمين ، لم تبرز صورة الأحداث كاملة . ولم يعرف العالم شيئاً عن أسباب القسوة التي عومل بها الأرمن . لم يعرف العالم الغربي ، ولعله لا يريد ان يعرف بأن الأرمن التابعين للدولة العلية ، كانوا يتعاونون مع الروس ، ويقومون بأعمال التخريب خلف الخطوط التركية ، وأنهم بهذه الأعمال قد تسببوا في مقتل ثلاثمائة ألف تركي مسلم ... وأنهم كانوا يستخدمون كنائسهم لتخزين الأسلحة والذخائر ، للفتك بمؤخرة القوات التركية المشتبكة مع الروس [1] . ومثل أحداث الأرمن، أحداث كثيرة وقعت في أوربا ، كانت الصليبية فيها تستفز الأتراك المسلمين، وتجبرهم على استخدام العنف والقسوة ، ثم تهب دعاية اليهود والاكليروس لتوجيه المطاعن للإسلام نفسه ، حتى انطبعت في أذهان الغرب الصليبي اليهودي صورة الإسلام المتوحش الذي يمثله بعض قادة الأتراك في أوربا . وليت قادة الفكر في الغرب يدركون بأن النكبات والمآسي التي يسببها الغرب للمسلمين ، مقتصرة على الناس الذين يعتريهم التغيير والتبديل فيبيدون ويتجددون ، أما جوهر الإسلام الخالد ، فلن تقوى خطط الغرب الجهنمية على النيل منه . وسيظل الإسلام منارة يهتدى بها ، ونوراً يشع على العالم خيراً وبركة وعدلاً ورحمة وحرية وكرامة .

---

(١) مذكرات طلعت باشا ، دار الهلال ١٩٢٢ ، ص ١٠٥ .

ملحق رقم ١

خلاصة المقررات أو المحاضر
السرية لحكماء صهيون

المحضر الأول :

يتحدث عن الجوييم (Goyim) أي غير اليهود وعن فسادهم وعن الحق الذي يكمن في القوة . والحرية السياسية التي يستخدمها اليهود طمعاً في استمالة الجماهير واغتصاب قواها . وكيف قضى الذهب على سلطة الدين، وأنه لا أخلاق في الكفاح للوصول للغاية ولا أخلاق في السياسة . ويتحدث كذلك عن :

« اليهودية الماسونية التي لا تقهر . غفلة الجماهير واستغلالها بواسطة تعدد الأحزاب المتعطشة إلى السلطة . تشجيع الادمان على الخمر والفساد لتتبلد الأذهان ويصاب الشباب بالعُته . الاستعانة على نشر الفسق والخمر بالمدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء من المسيحيين . والموظفين ، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ونساء المجتمع اللواتي يقلدن سواهن في حياة الفسق والترف .

« يجب ان يكون شعارنا استخدام جميع وسائل القوة والرياء.ودستورنا

البطش أولاً ثم لا نتردد عن شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا .

كنا أول من اخترع كلمات الحرية والمساواة والاخاء التي أخذالعميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي . وهي كلمات جوفاء ، لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقض الذي يشيع فيمدلولها.

« ان شعار الحرية والمساواة والاخاء الذي اطلقناه قد جلب لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا . وأساءت هذه الكلمات إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم . وبذلك نجحنا في تحطيم ارستقراطية غير اليهود ، ذلك المعقل الذي كانت تتحصن به ضدنا سائر شعوب الأرض...

المحضر الثاني :

« علينا ان نبذل الجهد حتى لا تأتي الحروب بتغيرات اقليمية بتوسع أحد الطرفين المتحاربين . وبذا ترتكز الحرب على قاعدة الاقتصاد وبالتالي تكون السيطرة لنا وحدنا ، ويصبح الفريقان المتحاربان تحت رحمتنا . علينا أن نضع في الوظائف الإدارية اناساً لم يكتسبوا خبرة ليسهل علينا تحريكهم كقطع الشطرنج . وندخل في روع غير اليهود أهمية النظريات التي تبث دعايتها صحافتنا ليقتنع بها الكفار ويروجوا سمومها . انظروا إلى نجاح مذاهبنا التي جاء بها داروين وماركس ونيتشه . انها من صنع دسائسنا وكان لها تأثير كبير على عقول الخوارج ... الصحافة قوة خطيرة وقعت في قبضتنا وما زلنا من وراء الستار .

المحضر الثالث :

« لم يبق أمامنا إلا قطع مسافة قصيرة ثم تغلق دائرة الحية الرمزية (١) .

---

(١) شبه اليهود قوتهم الخفية أو حكومتهم المستورة بالأفعى السامة التي بدأ زحف رأسها المميت من فلسطين بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، والذنب باق في فلسطين والرأس يعمل في جميع ممالك الأرض لدغاً وتخريباً . ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب في القدس إلا بعد تدمير العالم والتربع على أنقاضه تحت حكم ملك يهودي يحكم العالم من القدس .

ومتى اغلقت هذه الدائرة تحصر الدول الأوربية بين مخالبنا القوية . لقد وسعنا الفجوة بين الحكام وشعوبهم وبذلك أضعفنا الفريقين ليسهل علينا السيطرة عليهما . ألّبنا جميع السلطات بعضها على بعض .

شجعنا تطاحن الأحزاب وتكالبها على السلطة. أوهمنا العمال والكادحين بأنهم ينالون حقوقاً كاملة بدساتير وقوانين مزيفة يتبجح بها أعواننا وعملاؤنا الذين جعلناهم رؤساء موجهين للعمال . جعلنا عامة الشعب تقضي على الطبقة الارستقراطية التي كانت تستجيب لمطالب الشعب وتتولى الدفاع عنه. ويهمنا ان نجتذب العامل إلى صفوف جيشنا من الفوضويين والشيوعيين.

وتقضي مصلحتنا في بقاء العامل فقيراً عاجزاً ليظل خاضعاً لمشيئتنا وارادتنا ، باستغلال شعور الغيرة والحقد في نفوس العمال البؤساء .سوف نعمد إلى خلق الأزمات الاقتصادية العالمية بواسطة الذهب الذي يجري بأيدينا ، ونثير طبقات العمال على أولئك الأغنياء الذين كان العمال يحقدون عليهم منذ الطفولة . وان يلحقنا أي ضرر لأن فساد الشعوب المسيحية يعطينا القوة للسيطرة على أية حكومة تفكر في العدوان علينا ...

المحضر الرابع :

« الماسونية تغطي حقيقة أهدافنا ، وتحجب سرية خططنا عن الخوارج ، وتساعدنا على انتزاع فكرة الإله من أذهان المسيحيين والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية . علينا ان نحول أنظار المسيحيين إلى المضاربات التجارية والصناعية ، وعن طريق المضاربة تدخل جميع أموال غير اليهود إلى جيوبنا. ويخلق النزاع في سبيل الربح والمضاربات المستمرة مجتمعاً محطماً انانياً لا قلب له . فلا يكترث هذا المجتمع بالسياسة أو الدين أو الأخلاق . بل ينقاد إلى شهوة الذهب ، فيكرس كل جهده وهمه لجمعه من أجل ضمان أكبر قدر من الملذات التي تصبح معبوده الحقيقي .

المحضر الخامس :

« منذ أن اسقطنا عن رجال الدين الهالة القدسية . أصبحوا عرضة لاحتقار

رجل الشارع الذي نسيطر عليه . والطريقة المثلى للاستيلاء على الرأي العام تنحصر في العمل على اقلاقه وتشويشه بطوفان من الأفكار والآراء من كل جانب بحيث ينتهي الأمر بضياع غير اليهود ووقوعهم في خضم من الضلال . وعلينا ان نسهل زيادة نقائص الشعب وفساد عاداته ورغباته ، فيقع الشقاق بين الأحزاب وتتفرق كافة قوى الخوارج المتجمعة ضدنا ، وتثبط كل العزائم ، وتتوفر لنا أسباب الغلبة على ملايين الرجال ممن بثثنا فيهم روح الشقاق . سوف نقود المسيحيين إلى الفوضى العارمة التي تدفعهم إلى مطالبتنا بحكمهم دولياً . وبمجرد بلوغنا هذا المركز يكون في وسعنا امتصاص جميع القوى الحكومية في العالم وتشكيل حكومة عالمية عليا . ونحل محل الحكومات القائمة وحشاً ندعوه (ادارة الحكومة العليا) يمتد سلطانه بعيداً كالكماشة الطويلة أو الاخطبوط ، ويكون تحت تصرفه نظام محكم لدرجة يخضع معها جميع الأمم[1] .

المحضر السادس :

« لا بد من تنظيم احتكارات عظمى تستوعب الثروات الضخمة التي يملكها الجوييم ، بشكل تزول معه تلك الثروات تدريجياً . يجب علينا ان نستخدم كل الوسائل لكي تحظى حكومتنا العالمية بشهرة واسعة يعتقد معها اولئك الذين خضعوا لنا أنها تحميهم وتعزهم . لقد انتهت ارستقراطية غير اليهود ولم يبق سوى الارستقراطية الزراعية ، وهي ما زالت خطراً لأن الملاك قادرون على الاستقلال عنا . ولذا يتحتم علينا تجريد الارستقراطية الزراعية من أملاكها . وخير وسيلة لبلوغ هذا الهدف هي رفع الضرائب والرسوم. علينا ان نشجع الترف كوسيلة للقضاء على صناعة غير اليهود ، وان نشجع المضاربة التجارية ، وان نرفع اجور العمال لنخدعهم وفي الوقت نفسه نرفع أسعار المواد الضرورية بدعوى سوء المحصول . سوف نخرب الانتاج بتشجيع العمال على شرب الخمر ...

---

(١) اليست هي عصبة الامم أولا والأمم المتحدة بعدها ؟..

المحضر السابع :

« يجب علينا ان نحرض اوربا ونساعدها على الفتن والعداوة المتبادلة مع القارات الأخرى . وفي ذلك كسب مزدوج لنا . إذ نفرض بتلك الوسائل احترام جميع الدول لنا ، لأنها تدرك ان في مقدرتنا احداث الثورات أو اقرار النظام كما نشاء. وحين تعترض حكومة ما سبيل خطتنا نثير عليها الدولة المجاورة لها لتعلن الحرب عليها. وإذا حاولت الدولتان الاتفاق على معاكستنا فإننا عندئذ نثيرها حرباً عالمية ... ومن أجل ضمان نجاح خطتنا العالمية علينا ان نستغل ما يسمونه بالرأي العام الذي قبضنا عليه بواسطة القوة العظيمة — الصحافة — . ولاظهار سطوتنا لا بد من ارهاب احدى الدول عن طريق الجرائم والعنف ، فتهابنا جميع الحكومات غير اليهودية ... وإذا ثارت ضدنا حكومات اخرى رددنا عليها بالسلاح الامريكي والصيني أو الياباني ...

المحضر الثامن :

« لا بد من ان تحيط حكومتنا نفسها بكل قوى الحضارة التي تعمل في محيطها . وتستقطب مشاهير الكتاب والخبراء من الفقهاء والإداريين وأرباب السياسة الذين تربوا وفق تعاليمنا وفي مدارسنا العالية الخاصة . وهؤلاء الذين تخرجوا في مدارسنا يتقيدون بما يقدم إليهم من أوراق ويوقعونها دون قراءتها ويهمهم تأمين معيشتهم . وستحاط حكومتنا بجمهور من الاقتصاديين لأن الاقتصاد السياسي هو أهم ما يتعلمه اليهود. وسيكون حولنا جميع الصيارفة وأصحاب الأموال وأرباب الملايين . وبما أنه لا يلائم ان نسلم اخواننا اليهود مراكز حساسة في الحكومات فإننا نسعى إلى تسليم تلك المراكز لاشخاص ملوثين خلقياً ليكونوا مكروهين من شعبهم فيسهل علينا السيطرة عليهم ...

المحضر التاسع :

« بدأنا نسيطر على الأجهزة التنظيمية لغير اليهود من أجل ان نحرفها

عن اسلوبها الصارم المنتظم ، ونسير بها إلى التحرر والفوضى . لقد وضعنا يدنا على التشريع وعلى المناورات الانتخابية وتحكمنا في ادارة الصحافة . والأهم من ذلك كله اشرافنا على التعليم الركن الأساسي للحياة الحرة ... لقد أفسدنا الجيل الحاضر من غير اليهود ، ولقناه المبادىء والنظريات الفاسدة . ويعترض البعض قائلا ماذا يحدث لو اكتشفت الشعوب خططنا ضدها ..؟ ونجيب اننا قد احتطنا للأمر واعددنا لمواجهة قوى أعدائنا قوة هائلة ترتعد لها فرائص الشجعان . وترقباً لتلك الاحتمالات سننشىء في جميع المدن سككك حديد كهربائية وطرق سرية تحت الأرض نستطيع بواسطتها نسف جميع مدن العالم الكبرى بما فيها من هيئات ووثائق ...

المحضر العاشر :

« لا بد من تحطيم الأسرة غير اليهودية والقضاء على تأثيرها الثقافي ، وان نحول دون خروج أي رجل ذكي من قبضتنا . وعلينا ان نقيم حكومات اوتوقراطية يسهل العبث بها واخضاعها علنا عن طريق تركيز كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في أقل عدد من المرتشين وعلى رأسهم الكبار من وكلائنا الذين ينفذون الخطط بحسب ارشاداتنا . والاتجاه إلى السرية التامة في نشاطنا السياسي هو السبيل إلى النجاح ...

المحضر الحادي عشر :

« شاءت ارادة الله ان يشتت شعبه المختار لحكمة . فبينما يبدو هذا التشتت مظهراً للضعف فانه في الواقع سر قوتنا التي تدنينا من عرش العالم. ومحافلنا الماسونية هي الرباط الذي يصل بين حلقاتنا . نحن ذئاب والشعوب غير اليهودية قطيع من الغنم ، ومعلوم ماذا تفعل قطعان الغنم حين تفاجأ بالذئاب تقتحم عليها حظائرها...انها لا تملك إلا اغماض عيونها والاستسلام لمصيرها المحتوم ...

المحضر الثاني عشر :

« سنبسط نير سلطاننا على الصحافة الحزبية ، ونفرض رقابة صارمة

تحول دون نشر أي شيء يمسنا قبل الرجوع إلينا . لن يمر نبأ في وكالات الأنباء التي نسيطر عليها دون رقابتنا . وسنفرض الرسوم الكبيرة على الكتب القيمة ونرفع الرسوم عن الكتب الصغيرة والنشرات ليكثر الكتاب من الانتاج الرخيص التافه ويحجم العلماء عن التأليف . سنخفض الضرائب على كتب التسلية وسوف نشتري الصحف الدورية لاستخدامها في الرد على الصحف المستقلة البعيدة عن قبضتنا ...

المحضر الثالث عشر :

« علينا ان نحول انظار الرأي العام بعيداً عن الحقيقة . ومن واجبنا ان نشغله عن أي طريقة أو تفكير جدي سليم ، باثارة موضوعات جديدة لها طابع الاثارة الصحفية الجذابة . وسيتولى عملاؤنا المهيمنون على الصحف ابتكار هذه الموضوعات ونشرها . وعلينا ان نلهي الناس بشتى الوسائل كالملاهي الجديدة والمسابقات الفنية والرياضية ...

المحضر الرابع عشر :

« لن يكون هنالك سوى دين واحد هو ديننا الذي يرتبط به مصيرنا . ومن أجل ذلك لا بد من القضاء على كل العقائد . وإذا كانت النتيجة اليوم قد أسفرت موقتاً عن خلق الملحدين فإن ذلك من مصلحتنا ، لأن الأجيال القادمة ستشهد تحول الجميع إلى دين موسى الذي وضع جميع الأمم تحت أقدامنا ... وسوف نحصر الانتقاد في الأديان غير اليهودية ، ولن يجرؤ غيرنا على نقد ديننا لأن اسراره عميقة حافظ عليها رجال ديننا ولم يسمحوا بنشرها بين الشعوب الكافرة ... وسنواصل العمل على ترويج الأدب الخسيس في الدول التي تزعم أنها عظمى ...

المحضر الخامس عشر :

« علينا ان ننشر عملاءنا في الجمعيات السرية وفي الماسونية ليكون لنا بوليس سري دولي في كل مكان ، وعن طريق هؤلاء نعرف أخبار العالم

السرية ونتحكم في سير الأحداث . علينا ان نضاعف عدد محافل الماسون ما دمنا لم نصل للسلطة الكاملة بعد . وحين نستولي على السلطة يصبح من السهل القضاء على الماسون غير اليهود الذين قد يعترضون على خطتنا . وسوف نقضي بالموت على الماسون المعارضين بشكل هادىء لا يثير أي شك خارج جماعتهم ...

المحضر السادس عشر :

« سوف نهدم دعائم التعليم الجامعي القائم الآن ، ونعيد كتابة التاريخ لنحذف منه كل اساءة موجهة لتاريخنا ، ونبقي على الاساءات التي اقترفتها شعوب الخوارج . سنقضي على كل نوع من أنواع التربية الخاصة. سوف نقضي على استقلال الفكر بعد ان استخدمنا ذلك الاستقلال للوصول إلى أغراضنا ... لقد وضعنا خطة للسيطرة على النفوس بطريق التعليم الوجداني (التعليم بالعينين) وهي طريقة تجعل غير اليهود لا قدرة لهم على التفكير من تلقاء أنفسهم . فهم كالحيوانات المطيعة ينتظرون تصوير الفكرة قبل محاولة ادراكها . لقد أدخلنا هذا النظام في التعليم إلى فرنسا بواسطة عميلنا « بوروا » ...

المحضر السابع عشر :

« لقد عنينا بالعيب في رجال الدين غير اليهود والحط من قدرهم في نظر الشعب ، وأفلحنا في الاضرار برسالتهم التي تعوق الوصول إلى أهدافنا ... وعندما يحين الوقت لهدم القصر البابوي ستمتد يد مجهولة إلى الفاتيكان وتعطي اشارة الهجوم . وحين ينقض الشعب على الفاتيكان نظهر كحماة نمنع اهدار الدماء وبهذا نصل إلى قلب القصر البابوي . ولن تستطيع قوة ان تخرجنا قبل ان نقضي على قوة البابا .. ويصبح ملك اليهود هو البابا الحقيقي وبطريرك الكنيسة الدولية ...

المحضر الثامن عشر :

« حين تمس الحاجة إلى تعزيز قوى الشرطة نلجأ إلى افتعال القلاقل

والسخط والاضطرابات ونعلن ذلك بلسان أشهر الخطباء . والغوغاءترحب بمثل هذه الأحوال وتنضم إلينا حالا لتمثيل الرواية . عندها نتخذ من ذلك ذريعة لاصدار الأوامر بمضاعفة المراقبة والتفتيش ونجند أعواننا لهذا الغرض ...

المحضر التاسع عشر :

« لكي ننزع عن الجرائم السياسية هالة البسالة والتقدير ، علينا انْنضع المجرمين السياسيين في صف المجرمين العاديين . وان نساويهم باللصوص والقتلة وباقي المجرمين الذين يرتكبون الجرائم البشعة. وحينئذ يخلط الرأي العام بين الجرائم السياسية والعادية وينظر للجميع باشمئزاز واحتقار ...

المحضر العشرون :

« اننا نعمل على ان تحل القروض الأجنبية محل الوطنية لتنهال ثروات الشعوب على خزائننا . ولا يدرك غير اليهود بعقولهم الحيوانية أنهم باقتراضهم المال منا سوف يضطرون إلى استنزاف رأس المال الذي اقترضوه وفوائده من مواردهم ... ان استيلاءنا على ثروات العالم عن طريق الأسهم والسندات سيضطر الحكومات إلى طلب العون المالي من مصارفنا وخزائننا فتقع هذه الحكومات في قبضة الرأسماليين منا ...

المحضر الواحد والعشرون :

« سوف نغرق حكومات الخوارج بالديون عن طريق تشجيعها على الاقتراض منا ... وعلينا ان نعتمد على البورصات وألاعيبها ، وحين تتم لنا السيادة نلغي سوق الأوراق المالية ، لنحافظ على مكانتنا الاقتصادية ونحول دون تعريض أوراقنا المالية للهبوط ...

المحضر الثاني والعشرون :

« يتركز الذهب وهو أعظم قوة في العصر الحاضر بأيدينا . الا يحق لنا

بعد كل ما كسبناه عبر الأجيال ، ان يساعدنا هذا السلاح على الوصول إلى أهدافنا في حكم العالم . ولن نحتاج إلا إلى القليل من العنف لاقرار السلام النهائي تحت راية صهيون ...

المحضر الثالث والعشرون :

« أول ما نفعله لتحصين مملكتنا هو تدمير كل الهيئات والمنظمات التي أوجدناها لتعمل لحسابنا . ومن العبث ان نتركها مصدراً للخطر علينا . ان ملك اسرائيل يكون منتخباً من الله ، وأول عمل له هو القضاء على الأفكار الفوضوية التي استخدمناها وسيلة للوصول لغاياتنا ...

المحضر الرابع والعشرون :

« لا بد من أن يكون ملكنا من اسرة داود تحيط به نخبة من حكماء صهيون . وان يكون بعيداً عن الشهوات الجنسية متواضعاً يختلط بشعبه في الساحات العامة . يجب ان يكون خالياً من كل عيب ويضحي بكل شهواته في سبيل شعبه ، وان يكون رمزاً للعزة والمهابة والقوة ... » .

ملحق رقم ٢

خطط التبشير لإخراج المسلمين من دينهم

« أيها الإخوان الأبطال والزملاء ، ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس .

لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه . إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة — إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته — وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وإما آخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية — ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية — ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية — فإن في هذا هداية لهم وتكريماً — وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنئة . لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً . ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة

التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها ، الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولاً وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياته الإنسانية كلها . إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد (إخراج المسلم من الإسلام) إنكم اعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات ؛ وإذا جمع فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود كل شيء . إن مهمتكم تم على أكمل الوجوه ، وقد انتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله » .

قالها في مؤتمر القدس (١٩٣٥) :

صموئيل زويمر

رئيس جمعيات التبشير

ملحق رقم ٣

كلمة حق من صاحب ضمير حي

« في عام ٧٣٢م ألمت بالإنسانية كارثة ، قد تكون أكثر الكوارث شؤماً في العصر الوسيط كله . وقد غرق فيها العالم الغربي ، طوال ثمانية قرون ، في مهاوي بربرية كان عصر النهضة قد بدأ يبددها والتي قواها عصر الإصلاح من جديد . هذه الكارثة التي أكره حتى ذكرها ؛ هي الانتصار المقيت الذي أحرزه قرب بواتيه ، متوحشو الهاركاس من محاربي الفرانك بقيادة الكارولنجي شارل مارتل ، على الكتائب العربية والبربرية التي لم يعرف القائد عبد الرحمن أن يحشدها بما يكفي ، فتراجعت وفشلت ، لقد تقهقرت المدنية في هذا اليوم المشؤوم ثمانمائة عام . وذلك أنه يكفي أن يكون الإنسان قد شاهد حدائق الأندلس ، أو البقايا المدهشة لعواصم السحر والحلم اشبيلية ، غرناطة ، قرطبة ، طليطلة ، لكي يستشف في دوار معجز ما كانت قد آلت إليه فرنسا ، وقد خلصها الإسلام الحاذق ، الفيلسوف ، المسالم ، السمح من أهوال لا تسمى ، اجتاحت على الأثر بلاد الغال القديمة ، التي خضعت بادىء الأمر للعصابات الأوسترازية المتوحشة ، ثم جزئت ومزقت واغرقت في الدماء والدموع ، وأفرغتها من الرجال الحروب الصليبية ، وأتخمت بالجثث من جراء حروب كثيرة أهلية وأجنبية ، في حين كان العالم الإسلامي ، من الوادي الكبير إلى الاندوس ينمو وينتصر بسلام ، في ظل الأمويين والعباسيين والسلاجقة . سأسأل فيما بعد هؤلاء الفرنسيين ماذا يفكرون في انتصارنا عام ٧٣٢ على المسلمين ؟ وعما إذا كانوا يحكمون معي

ان هذا الانكسار الذي أصاب شعباً متمدناً على يد شعب بربري ، كان بالنسبة للإنسانية جمعاء مصيبة كبرى ؟.. » .

كلود فارير

عالم فرنسي ، عضو الاكاديمية الفرنسية

الفهرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع دار القلم ص. ب. ٦٦٦٤ بيروت ــ لبنان

٦٣ / ٩٠